وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)ببوزريعة
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

أثر ابن رشد الجدّ في الحركة الفقهية بالأندلس خلال القرنين (5-6هـ/11-12م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة علوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:
فاطيمة هارون

إشراف الأستاذة الدكتورة
سامية أبو عمران

أعضاء لجنة المناقشة

1- أ.د/ نشيدة رافعي	رئيسا
2- أ.د/ سامية أبوعمران	مقررا
3- أ.د/نبيلة عبد الشكور	عضوا مناقشا
4- د/أم الخير عثماني	عضوا مناقشا
5- د/ عبد الحميد خالدي	عضوا مناقشا
6- د/ عيسى بن الذيب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2017-2018

كلمــة شكـــر

بعدما وفقني الله تعالى لإتمام هذه الأطروحة .

أتقدم بالشكر الجزيل

الجزيل إلى الأستاذة الدكتوراه المشرفة سامية أبو عمران

على جميع التوجيهات والنصائح التي قدمتها لي طيلة فترة البحث ،

كما أتقدم بالشكر إلى

كلّ من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد ، وفي الختام أتقدم بالشكر الخالص إلى اللّجنة

المناقشة .

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وتعبي إلى والدي الكريمين الذين

قال فيهما الله عز وجلّ

" وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"

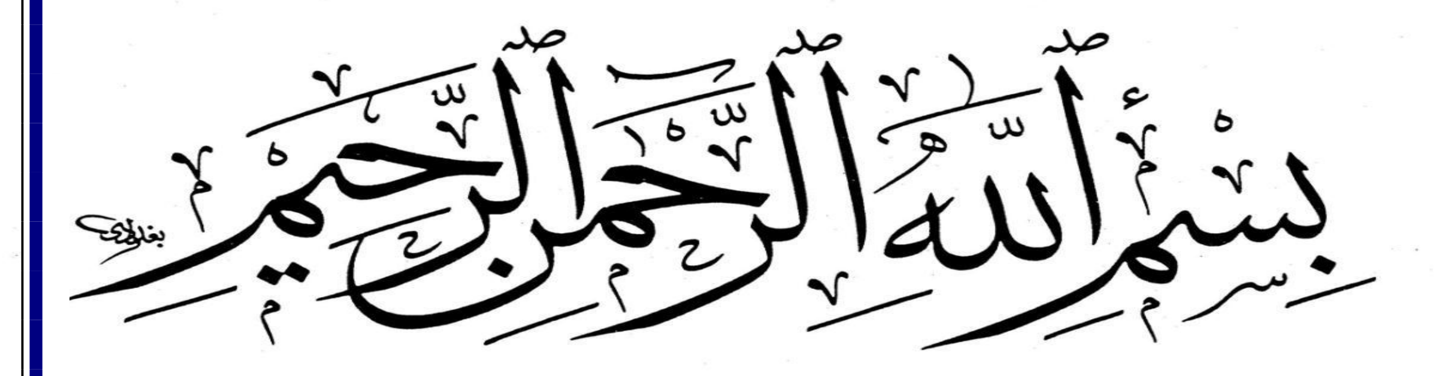
سورة الإسراء الآية 23

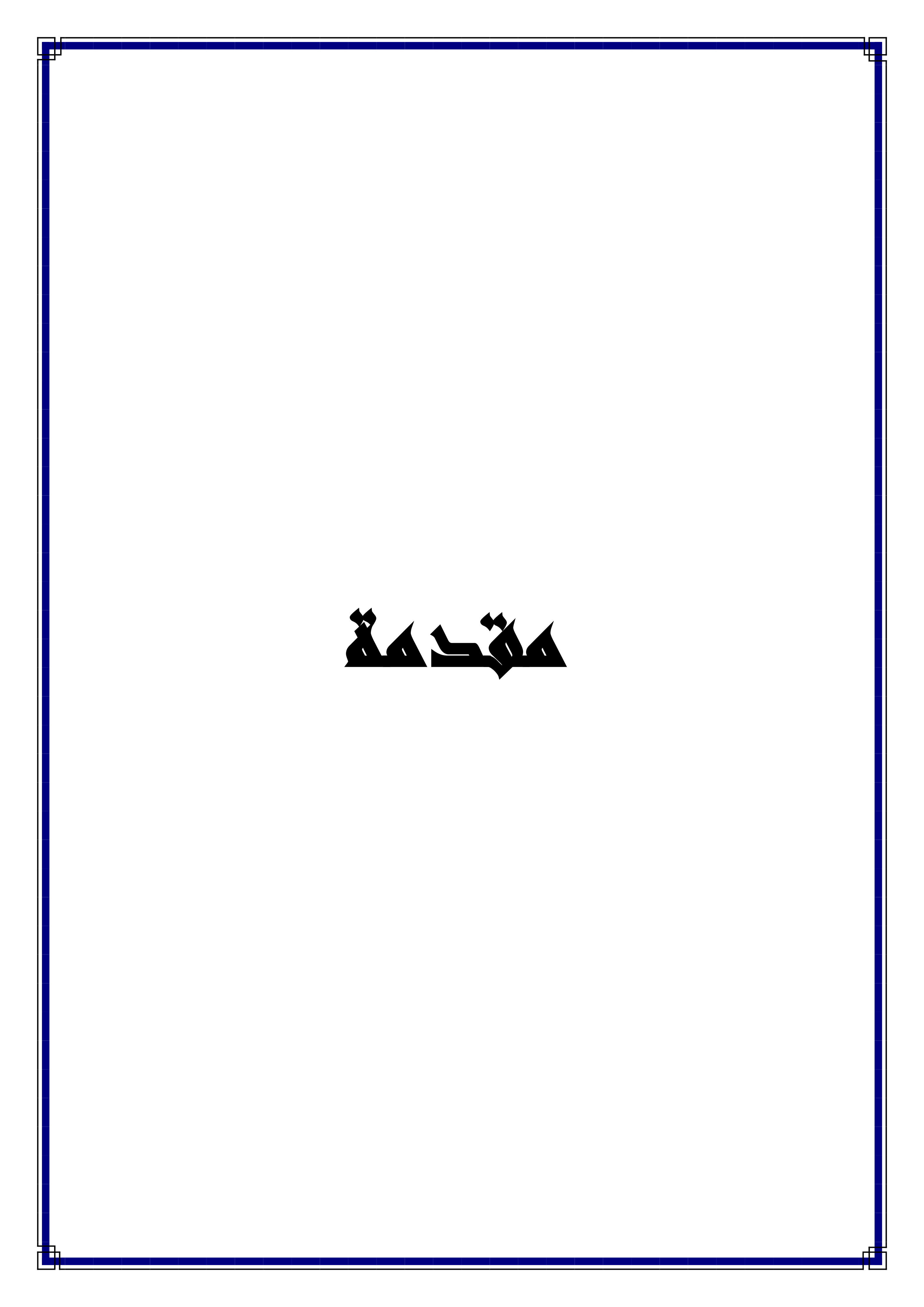
الّذين باركا عملي هذا بدعائهما ،

إلى زوجي وأبنائي عبد الرحمن ،مروة ،سامي

وكلّ أفراد عائلتي

.


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

شـهدت **الأنـدلس** خـلال النصـف الثـاني مـن القـرن 5هـ/11م، أوائـل القـرن 6هـ/11م، تطورات عديدة في شتى المجالات و في شتى فنون المعرفة ،حيث اتسع نطاق التبادل الثقافي بين أقطار العالم الإسلامي ،كما ازداد و تنوع حجم الإنتاج الفكري و المعرفي خصوصا مع دخول **الأندلس** تحت سيادة دولة المرابطين ، فبالرغم من الاضطرابات التي تخللتها خصوصا خلال المرحلة الأولى من تاريخها إلا أن هذا الأمر لم يعق مسار التقدم العلمي و الفكري ، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى التشجيع الذي امتاز به العلماء والفقهاء في هذه الفترة بالذات من طرف السلطة الحاكمة .

لكن هذه الفترة وإن ظفرت باهتمام وعناية فائقة من طرف الباحثين ،إلا أن هذه العناية قد سلطت الضوء على الطبقة الحاكمة و ما كان لها من أعمال وانجازات في إطار سياسة الدولة ،في الوقت الذي لا زالت البحوث قليلة جدًا فيما أسهم به غيرهم من فئات المجتمع الأندلسي، و بصفة خاصة الفقهاء باعتبار أنهم يمثلون أهم فئة من فئات المجتمع الأندلسي ، وذلك أنهم كانوا يمثلون طبقة خاصة لها مكانتها واحترامها سواء من قبل الطبقة الحاكمة أو المجتمع لأنهم كانوا يمثلون السلطة التشريعية ، ومن المعلوم أن هذه الفئة حظيت بعناية المؤرخين القدامى فيما ألفوا من كتب تراجم وسير وطبقات ولم يلتفت إليها إلا فئة قليلة من المؤرخين المحدثين.وبناء على ذلك قررت تناول علم من هؤلاء الأعلام الكبار ألا وهو ابن رشد الجد تحت عنوان: **أثر ابن رشد الجدّ في الحركة الفقهية بالأندلس خلال القرنين(5-6هـ/11-12م)**.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع أيضا إلى مرحلة تحضيري لرسالة الماجستير الحاملة لعنوان " السلطة العلمية بالأندلس خلال عصر المرابطين –ابن رشد الجدّ نموذجا- ، والتي لاحظت خلالها قلّة الدراسات التاريخية حول شخصية أبي الوليد ابن رشد الجدّ رغم مكانتها ودورها التاريخي خلال القرنين **5-6هـ/ 11-12م** ،فكانا هاذين السببان من أهم دوافع تفكيري في البحث و الدراسة حول هذا العلم الفقهي التاريخي الذي كان له تأثير كبير في الأندلس خلال هذه الفترة سواء في المجتمع أو السياسة أو الفكر مع إبراز أثره الفقهي و إسهاماته في إثراء المكتبة الإسلامية بمّا ألّفه من كتب متنوّعة .

وهو موضوع جديد على حد علمي لم أصادف مرجعا يشير إليه بشكل مباشر غير ما أشار إليه محققي مؤلفاته **كالمختار بن الطاهر التليلي** في كتابيه "**ابن رشد الجد و كتابه المقدمات**" ، **والفتاوى** التي تناولها بالتحقيق أيضا **محمد الحبيب التجكتاني** تحت عنوان "**مسائل ابن رشد الجدّ** ،فضلا عن دراسة **على العلوي** المتميّزة بمنهجها التطبيقي ألا وهي "**المنهج الاجتهادي لابن رشد الجد من خلال كتاب البيان و التحصيل**" .بالإضافة إلى دوافع أخرى من بينها:

1ـ فضل ابن رشد الجدّ ومكانته العلمية في تاريخ الأمّة الإسلامية، إذ ألّف كتبا من أكبر وأهمّ المدونات في الفقه المالكي.

2ـ بروز شخصية ابن رشد الجدّ خلال النصف الأوّل من القرن 6هـ/12م ، التي جمعت بين الفقه والسياسة ، والتي نادرا ما نجد شخصية جمعت بينهما، حيث كان ابن رشد الجدّ فقيها بارعا، وقاضيا عادلا، وسياسيا محنّكا.

3ـ همّته وإخلاصه في طلب العلم، والسعي الجادّ إلى نشره ونفع طلبة العلم به، وتوريثه لمن جاء بعده من التلاميذ.

4-الأثر الذي تركه ابن رشد الجدّ في الحركة الفقهية بالغرب الإسلامي ، سواء من خلال مصنّفاته الكبرى ككتابي البيان والتحصيل والفتاوى ،أو من خلال تأثر الفقهاء بفكره وآرائه واجتهاداته، الذين اعتبروا كتبه مراجع أصيلة في الفقه المالكي.

أما بالنسبة للإطار الزمني و المكاني له فيتمثّلان فيما يلي :

المجال الزمني يشتمل **عصر ابن رشد (450هـ -1058م/ 520هـ-1127م)** ، أما المكاني فهو **الأندلس في عصر المرابطين** ،ولهذه الفترة التاريخية أهمية كبيرة، خاصة وأنّ الحركة الفقهية وصلت إلى أوج تطورها وازدهارها ،خاصة وأنّها شجعت نشاط الدراسات الشرعية عامة والدراسات الفقهية على وجه الخصوص، مما أدى لبروز شخصيات في الفقه و الحديث **بالغرب الإسلامي** كان لهم دور فعال في خدمة الأمة الإسلامية عامة بما ألّفوا من كتب ، والدول التي ينتمون إليها خاصة.

إشكالية الدراسة:

يتطرّق هذا البحث إلى شخصية فقهية مالكية أندلسية مشهورة تمتّعت بمكانة خاصة لدى المجتمع والسلطة آنذاك ، مكانة لم توفيها الدراسات التاريخية حقّها ولم تتوصّل إلى إبرازها بما يليق بها ،حيث تولى **ابن رشد الجد** قضاء الجماعة **بقرطبة** للمرابطين، لكن دون أن يكون من تلك الفئة المستسلمة للسلطة الخاضعة لها ،إذ استطاع أن يحافظ على استقلالية كبيرة سواء عند توليه وظيفة القضاء أو بعد تنازله عنها ، كما نجحت هذه الشخصية في المحافظة على مكانتها في المجتمع مما جعل السلطة تحترمه وتقدّر مجهوده في خدمة الدين والدولة.

فإلى أي مدى بلغ أثر **ابن رشد الجد** في الحركة الفقهية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين؟ كيف كانت أوضاع الأندلس السياسية و العلمية خلال عصر **ابن رشد الجدّ** ؟ وهل كان لها أثر في نشأته وتكوينه العلمي ؟ ،إلى أي مبلغ بلغت مكانته السياسية و الفقهية؟ وما الأثر الذي خلّفه في نشاط الدّراسات الفقهية ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات قسّم موضوع الدراسة إلى مقدمة و خمسة فصول في بابين، و خاتمة أردفها بمجموعة من الملاحق والجداول التي تفيده و تخدمه بشكل واسع .

أما المقدمة فتضمنت أهمية الموضوع مع تحديد الإطار الزمني و المكاني له بالإضافة إلى دوافع اختيار الموضوع و عرض تفصيلي لجميع محاور الدراسة، فضلا عن المنهج المتبع ، واختتمتها بعرض تقييمي لأهم المصادر و المراجع المعتمدة.

ويليها **الباب الأول** تحت عنوان "**ابن رشد الجدّ وأوضاع عصره** قسمته إلى فصلين تناولت في الفصل الأول **الأوضاع السياسية والعلمية بالأندلس** خلال هذه الفترة ، بداية من سقوط الخلافة الأموية **سنة 422هـ/1031م** وانقسامها و تشتتها إلى دويلات عديدة عرفت باسم ملوك الطوائف حيث كان العصر عصر تفكك و انحلال اجتماعي لم تعرفه الأندلس من قبل، بالرغم مما اتصفت به تلك الدويلات من صفة السلطان وجوانب حضارية براقة، و لقد حاولت التركيز في هذه المرحلة على

إسهامات العلماء في الدعوة إلى الوحدة و لمّ شمل هؤلاء الأمراء المعاصرين **لابن رشد الجد** موضوع الدراسة مرحلة من حياته في عهدهم ألا وهي مرحلة الطفولة و النشأة ،ومما لا شك فيه أن لمجتمعه دور وتأثير كبير في نشأته و تربيته ، كما تناولت بالدراسة في هذا المبحث لمحة عن دخول المرابطين إلى الأندلس وأدوارهم الجهادية بها ، بالرغم من أنه لم يكن **لابن رشد الجدّ** مواقف بارزة في هذه المرحلة .

وتناولت في المبحث الثاني من هذا الفصل **مظاهر الحركة العلمية في الأندلس خلال عصر ابن رشد الجدّ** مبرزة فيه العلاقات علمية بين المشارقة و الأندلسيين والتأثير والتأثر المتبادل بينهما إلى أن بلغت **الأندلس** من النضج العلمي مبلغا عظيما أدى إلى ظهور الاجتهاد والنظر في الأصول، حيث وجد من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين من ذاع صيتهم في الآفاق وبلغوا رتبة الاجتهاد والنظر في الأصول بالرغم من أنهم اخذوا علومهم و معارفهم من علماء وطنهم ،ولم تكن لهم أي رحلة إلى المشرق الإسلامي **كابن رشد الجد** موضوع الدراسة، **و علي ابن حزم الظاهري** و **ابن عبد البرّ النمري** وغيرهم ، كما تناول هذا الفصل في **المبحث الثالث** منه **تطور الحركة العلمية والفقهية بالأندلس خلال عصر ابن رشد الجد**(عصر الطوائف والمرابطين بالأندلس) ، إذ أنّ الدراسات الفقهية ظلت محافظة على ازدهارها وتطوّرها رغم الاضطرابات السياسية التي عرفتها الأندلس خلالها ، فكان هذا العصر حافلا بنوابغ الفقهاء الذين أسهموا في نشاط هذه الدراسات .

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان **شخصية ابن رشد الجدّ ومكانتها الفقهية** ، أبرزت من خلاله مساره التعليمي ونشاطه العلمي ، حيث نشأ ابن رشد في بيت علمي له مكانته بين بيوت **الأندلس** العلمية وأخذ العلم على يد كبار العلماء **بقرطبة** ، فتميز و برع في الفقه والحديث و التفسير و علم الكلام و اللغة وغيرها من العلوم ، ما أهله أن ينشط علميا ويكوّن حلقات لتدريس الطلبة الذين التفوا حوله طالبين العلم منه من مختلف المناطق سواء من **المغرب** أو **الأندلس**.

كما تناولت في المبحث الثاني من هذا الفصل علاقته بسلطة المرابطين وتوليه منصبا هاما من مناصبها ألا وهو منصب قاضي الجماعة أو قاضي القضاة الذي من خلاله برزت مكانته العلمية و توسعت سلطاته ،و أشرف على الهياكل الإدارية التابعة له و عيّن فيها الأشخاص باختياره كما شارك في السياسة و العمل الدبلوماسي، وهذا ما سنلمسه جليا في مواقف قام بها سواء في إطار توليه القضاء أو بعد استعفائه عنه ،والتي تبرز مدى علو شأنه وسموّ منزلته عند الأمراء المرابطين، إذ كان له دور فعال في إخماد هيج العامة **قرطبة** سنة(**515هـ /1121م**)على والي المرابطين بالأندلس ،كما تعتبر رحلته إلى **مراكش** بالمغرب من أهم الرحلات، والتي كانت لعدة أهداف هامة استدعت منه تحمل مشاق السفر رغم كبر السنّ والمرض ، منها التحدث في شأن النصارى المعاهدين الخائنين لعهد الإسلام بهم وإفتائه بتغريبهم ،و إشارته على أمير المرابطين بناء سور حول العاصمة **مراكش** والمدن الأندلسية للأخطار الجسيمة التي تتهددهم كالخطر النصراني بالأندلس والخطر الموحدي بالمغرب ، وعزل أخيه **أبي الطاهر تميم** لتقاعسه في الدفاع عن أراضي المسلمين **بالأندلس** .

كما تناولت في المبحث الثالث من هذا الفصل **منزلته الفقهية** و مكانته بين أقرانه ،و عوامل تبوئه زعامة الفقهاء في الفقه المالكي ، فالمتصفّح لكتب **أبي الوليد ابن رشد الجدّ** والمطالع لكتب التراجم و الصفات التي وصفه بها تلاميذه ، يمكنه أن يخرج بتصوّر واضح عن مكانته الفقهية وتأثيره الإيجابي في مجال الدراسات الشرعية عامة، ويدرك أنّ هذه الشخصية لم تكن من الفقهاء العاديين المقلّدين بل كان من المجتهدين في المذهب المالكي ، القائمين على أصوله المفتين بقواعده وهذا ما جعله يتميّز فيه أصولا و فروعا و فرائض مع تخصص في المسائل الفقهية وعلم بالنوازل القضائية ،حتى عدّ بين معاصريه كثير الاطلاع في مذهب **مالك** وأصحابه مما جعل الرئاسة في الفقه المالكي تؤول إليه **بالمغرب** و **الأندلس** إلى جانب علماء عصره الكبار **كأبي بكر الطرطوشي وأبي عبد الله المازري** ، ويعود الفضل في ذلك إلى أساتذته الكبار **كأبي جعفر ابن رزق** و **أبي عبد الله بن خيرة الأموي وأبي عبد الله ابن فرج** وغيرهم.

أما **الباب الثاني** فتناولت فيه لبّ الدراسة ألا وهو **أثر ابن رشد الجدّ في الحركة الفقهية بالأندلس** خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، قسّمته إلى ثلاثة فصول تناولت في **الفصل الأول** منه أكبر أثر فقهي خلّفه لنا ابن رشد الجدّ ألا وهو **كتاب البيان والتحصيل في شرح مسائل العتبية** الذي يصنف ضمن فقه المسائل حيث أنّ لهذا كتاب قيمة كبيرة ومكانة هامة بين أمّهات كتب المذهب، لأنه استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين و مدونة القرويين اللتين كان فقهاء **المغرب الإسلامي** في العصور الوسطى يحفظونها عن ظهر قلب،و لإبراز مكانة هذا الكتاب تحدثت عن مصادره و رتبتها حسب عدد المسائل التي استشهد **ابن رشد الجد** بها في كتابه.

وللإيضاح أكثر أردفتها بجداول بيانية حول مصادر ابن رشد الجد في البيان و التحصيل ،وهي كثيرة جدّا مما يبرز مدى حفظه لأمهات الكتب في المذهب المالكي واستيعابه لمسائلها، ومن ثم أهميه قوله في المذهب والتي أردفها هي الأخرى بجدول تحوى نماذج دالة على حفظ ابن رشد الجدّ لمحتوى كتب المذهب بعد المقارنة بينها وبين النقول الموجودة في كتاب **البيان والتحصيل** ،كما تناولت في هذا الفصل استدلال ابن رشد الجدّ بأصول المذهب المالكي في كتابه البيان والتحصيل كالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس ،وعمل أهل المدينة والعرف والعادة وسدّ الذرائع ومراعاة الخلاف والاستحسان والمصالح المرسلة ، حيث عرّفت بهذه الأصول ثمّ أعطيت نماذج حول استدلاله واستشهاده بها في **كتابه البيان والتحصيل** ،حيث أصل **ابن رشد الجدّ** في هذا الكتاب لجميع أصول المذهب المالكي ، وهذا ما يدلّ إلا على معرفته بالتأصيل وبراعته فيه، ومقدرته على ردّ الفروع إلى الأصول.

أما **الفصل الثاني** من الباب الثاني فخصصته إلى **كتاب فتاوى ابن رشد الجدّ** الذي يبرز نشاط ابن رشد الفقهي وأثره الواسع والكبير في الحركة الفقهية ، حيث يعد هذا الكتاب من الكتب الجديرة بالدراسة خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والتاريخي ،وذلك لمعرفة حقيقة ما ورد فيه خاصة وأنّه تميّز بطابع خاص ، وتجلّت فيه ثقافة أصيلة تنوّعت بتنوّع عناصر المجتمع الأندلسي وتنوّع

احتياجاته ،فلقد وردت فيه معلومات اختلطت بوقائع وأحكام اجتهادية كانت وليدة العصر معبّرة عن ظروفه واحتياجاته ، كما أنه يختلف عن كتابيه "**المقدمات و البيان و التحصيل**" في الافتراضات النظرية و المسائل الجزئية ، فهو بذلك يعتبر أثر علمي وتاريخي ارتبط بصاحبه المتّصف بعدد من الخصال كالفقيه المشاور والشيخ الإمام وقاضي الجماعة في **قرطبة** وحافظ المذهب وزعيم الفقهاء، وقد ارتبطت فتاويه بفترة تاريخية هامة تمتد بداية من ظهور علمه إلى حدود (**520هـ/1126م**) فهي امتداد بين عصري الطوائف و المرابطين كانت فيها الأحداث التي عاصرها **بالمغرب والأندلس** مصطبغة بالصبغة المحلية ومتأثرة بالمؤثّرات الوقتية، خصوصا في جانب الأسئلة و الوقائع التي صورت لنا مقدارًا مهما من الواقع الأندلسي والمغربي ،لأنها في أغلب الأحيان مقترنة بأحداث واقعية و قضايا يومية ،حيث كانت تلك الأسئلة مدعاة إلى إثارة علم **ابن رشد الجدّ** وللتعرف على رأيه و على مذهبه و اختياره باعتباره كان حافظا للروايات بصيرًا بأقوال **مالك** عارفًا بمواطن اتفاقهم و اختلافهم و بارعًا في الفهم خبيرًا في الفتوى.

و بيّنت في هذا الفصل أهمية هذا المؤلف بالإشارة إلى اعتماد الفقهاء عليه ، سواء من طرف الفقهاء المعاصرين لابن رشد الجدّ أو المتأخرين عنه ممّن عاشوا بعده في فترات مختلفة. كما بيّنت في هذا الفصل موقع فتاوى ابن رشد الجدّ من فقه النوازل سواء التي كتبت قبله أو بعده ، متخذة من **أجوبة محمد بن سحنون ، والإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبغ عيسى ابن سهل ، ونوازل البرزلي** كنماذج للمقارنة بينها وبين فتاوى ابن رشد الجدّ، ثمّ انتقلت للحديث عن أهمّيتها من جميع الجوانب سواء كانت الاجتماعية التي تحدّثت فيها عن أهم مظاهرها من خلال فتاوى **ابن رشد الجدّ** مبرزة الأسرة ومشكلاتها ، و الأحباس بمختلف أنواعها ، وبعض طبقات المجتمع ، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والأعراف الأندلسية والمغربية التي أوردتها .

كما أبرزت من خلال هذا الفصل أهم مظاهر الحياة الاقتصادية من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ، كالزراعة والصناعة وأهمّ النظم ألتي أوردتها كنظام الريّ ونظامي المغارسة والمشاركة الزراعية

وغيرها من النظم الأخرى، كما تناولت في هذا الفصل النظم التجارية كالأسواق ونظام التسعير والنظام النقدي فضلا عن المعاملات المالية كنظام الشركات التجارية والوكيل التجاري، ونظام الاستدانة و المعاوضة. ثمّ انتقلت للحديث عن مظاهر الحياة الدينية من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ كالمذاهب الفقهية من مالكية وحنفية وظاهرية ، والفرق الكلامية كالأشعرية والمعتزلة، ثمّ أبرزت ظاهرة أوردتها الفتاوى ألا وهي ظاهرة الزندقة والشعوبية بالأندلس ، وبيّنت إشارتها إلى أصل اتجاه ابن رشد الحفيد في التوفيف بين الشريعة والحكمة في كتابه" **فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال**"، ثمّ انتقلت إلى الحديث عن مظاهر الحياة السياسية بها والتاريخية والأدبية.

أما الفصل الثالث من الباب الثاني فتناولت فيه **كتاب المقدّمات الممهدات لأوائل كتاب المدونة واختصارات ابن رشد الجدّ**، أما كتاب المقدّمات فهو كتاب ممهّد لفقه السنة المقارن لدى المالكية ،إذ ينتهج هذا الكتاب منهجا وسطيا بين فقه السنة و فقه المسائل ، فهو يقوم بالتّأصيل لأمهات الأبواب ويمهد لظهور فقه مقارن للسنة، فكتاب المقدمات له أهمية خاصة فهو ليس من كتب الفروع و لا من كتب الأصول، و إنما هو تأليف خاص سجّل تأملات فقيه مالكي بلغ رتبة الاجتهاد المذهبي ، ينظر في مسائل المدونة و يحللها بإيجاز اعتمادا على القواعد الأصولية ومذاهب أهل السنة ،حيث ابتدأت هذا الفصل بالحديث عن المدونة وآراء العلماء حولها باعتبارها أصل كتاب المقدّمات ، كما ذكرت بعض من شرحها و اختصرها أو علّق عليها، ثم انتقلت للحديث عن نسبتها لابن رشد الجدّ ، وأصل طريقة كتابتها ، ومكانتها كمرجع فقهيّ .

أما **اختصارات ابن رشد الجدّ** فكانت بمثابة دفاع عن المالكية والأشعرية حيث قام بتنظيم مادة تلك الكتب ومناقشتها والزيادة عليها من بينها" **اختصار الكتب المبسوطة** "، و "**اختصار شرح معانى الآثار**" وكتاب "**اختصار مشكل الآثار للطحاوي**" ، فضلا عن" **تلخيص الحسن و القبح للحكيمي**" ، و أثار أخرى في مسائل العبادات و المعاملات، وأنهيت الفصل بالحديث عن وفاته ورثاء العلماء له.

واختتمـت الموضـوع بخاتمـة شملـت نتـائج البحـث المتوصـل إليهـا ،ثمّ تلتهـا مجموعـة مـن الملاحـق من بينهـا خريطـة توضـيحية لفـترة ملـوك الطوائـف، وجـداول بيانيـة لعـدد المسـائل الـتي أصّـل بهـا ابـن رشـد الجـدّ لأصـول المـذهب المـالكي في كتـاب البيـان والتحصـيل، أمـا الملاحـق الأخـرى فهـي عبـارة عـن فتـاوى هامـة **لابـن رشـد** استفتاه فيهـا الأمـراء المرابطـون وعامـة النـاس مـن المجتمـع الأندلسـي في قضـايا أشـكلت علـيهم سـواء في المشـاكل الأسـرية كقضـايا الـزواج والطـلاق وقسـمة التركـة والمـيراث ،أو قضـايا عقديـة كالعلاقـة بـين الفـرق الكلاميـة مـن معتزلـة وأشـعرية وجبريـة ،وغيرهـا أو قضـايا تاريخيـة وهـذا مـا يـوحي بمكانتـه و عظـم قـدره لـدى الأندلسيين.

أمـا **مـنهج الدراسـة** فلقـد جمـع بـين المـنهج التـاريخي الوصـفي الـذي يبـدو بـارزا بجـلاء خاصـة في الفصـل الأول الـذي تنـاول لمحـة عـن الأوضـاع السياسـية والعلميـة خـلال عصـر ابـن رشـد الجـدّ،حيث احتفظـت فيـه بمـادة المصـادر للتعبـير عـن حقيقـة الوضـع السياسـي والعلمـي خـلال هـذا العصـر، والمـنهج التحليلـي المقـارن الـذي يعتمـد علـى التحليـل، حيـث أكثـرت مـن الاستشـهاد بالنصـوص في المـتن ، لـدعم الآراء المختلفـة، والاسـتنتاجات بمقارنـة الأحـداث أو عـرض الاقتباسـات مـن مختلـف المصـادر وتحليلهـا وتبيـين مـا يمكـن اسـتنتاجه منهـا ، ويتجلـى هـذا المـنهج خصوصـا في الفصـل الثـاني الـذي تحـدّث عـن شخصـية ابـن رشـد الجـدّ ومكانتهـا الفقهية، والفصل الثالث والرابع والخامس الذين تناولت فيهم الأثر الفقهي لابن رشد الجدّ.

عرض لأهمّ المصادر والمراجع:

ولقد اعتمدت هذه الدراسة على مصادر ومراجع متنوعة بين المخطوطة والمطبوعة رتبت حسب الأهمية للموضوع ، منها كتب الفقه و النوازل، و منها كتب الطبقات و التراجم ، ومنها كتب التاريخ العام و الأخبار، ومنها الكتب الأدبية و الجغرافية.

❖ **كتب الفقه و النوازل**

تعتبر كتب الفقه والنوازل من أهم المصادر في رسم الصورة الدقيقة لأوضاع العصر فإذا كان الأديب و الشاعر ابن بيئته؛ فإن المفتي ابن بيئته أيضا فهو لسانها و المعبر عن مشاكلها و المفكر في الحلول النافعة لها إذ تعد النوازل الفقهية ثرية بالأحداث الاجتماعية و التاريخية ، ومن هذه الكتب التي اعتمدت عليها :

1- **مصادر مخطوطة في الفقه المالكي**: من بينها **العقد المنتظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام لابن سلمون الغرناطي**(ت**741**هـ/**1341**م)، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة،تحت رقم1366،الذي اعتبر **ابن رشد الجدّ** من العلماء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد المذهبي، وأنه لم يكن من المقلّدة المغربية والأندلسية كما نعت **أبو بكر بن العربي المعافري** علماء العصر.كما استعنت بمخطوط **التاج والإكليل لمختصر خليل للمواق محمد بن يوسف**(ت**897**هـ/**1493**م)،مخطوط بمكتبة الملك سعود تحت رقم226-2/1569، وكتاب **فتح الجليل على شرح مختصر خليل للتتائي محمد بن إبراهيم** ، مخطوط من المكتبة الإلكترونية مصور طبقا للأصل ،فلقد اعتمد كل من **المواق** و**التتائي** على كتب **ابن رشد الجدّ** خاصة كتاب المقدّمات.

2-المصادر المطبوعة في الفقه المالكي وأصوله:

أهمها كتب ابن رشد الجدّ "**كالفتاوى**" التي جمعها تلميذه **الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسن المعروف بابن الوزان** إمام الصلاة بجامع قرطبة ،والتي عمد على تحقيقها كل من **المختار بن الطاهر التليلي** ، طبعة بيروت **1987م**، و**محمد الحبيب التجكتاني** طبعة مشتركة بين بيروت و المغرب **سنة1993م**، و تكمن أهميتها في أن **ابن رشد الجد** صور من خلالها جانبا هاما من حياة ملوك الطوائف و المرابطين **بالأندلس** و نقل لنا الكثير من الأخبار التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والمسائل العقائدية، من بينها موقف السلطة من النصارى المعاهدين و موقفها من المذاهب الغير مالكية ، كالمذهب الظاهري و علم الكلام و فرقه كالمعتزلة الجبربة و الأشعرية و قد أوردنا في محتوى هذه الدراسة نماذج من فتاوى في هذا الشأن، كما بينت الأثر السياسي **لابن رشد** من خلال مواقفه و فتاويه في الكثير من القضايا كموقفه من ثورة العامة **بقرطبة** على الوالي المرابطي **بالأندلس** و فتواه بتغريب النصارى المعاهدين .

ونقلت لنا الفتاوى أيضا الكثير من الأخبار المتعلقة بحياة **ابن رشد**، فالمعلومات التي سجلها تلميذه **ابن الوزان** في آخرها كانت دقيقة جدّا تتبّعت حياته في الفترة الأخيرة تتبّعا دقيقا ،وما وجد بها من أخبار و معلومات اطّلع عليها القليل من المعاصرين ، فضلا عن كتابه **المقدمات لأوائل الكتاب المدونة** الذي يعتبر كتابه الوحيد الذي اهتم فيه بالمدونة ورسومها ، استعنت به خاصة في الفصل المخصص له، و**كتاب البيان و التحصيل و التوجيه** و **التعليل في مسائل المستخرجة** الذي يعتبر من أمهات الفقه المالكي، طابق اسمه مسماه بيانا وتحصيلا وشرحا وتوجيها وتعليلا لمسائل كتاب **المستخرجة لمحمد العتبي** من أسمعة تلاميذ الإمام **مالك بن أنس**، وضع فيه **ابن رشد الجد** جميع معارفه التي اكتسبها من دراساته المختلفة خاصة الفقهية منها ،فشمل **البيان و التحصيل** الفقه المالكي عباداته و معاملاته، و استفدت كثيرا من المعلومات التي أوردها محققه محمد الحجي في المقدّمة ، واقتبست من الكتاب العديد من المسائل المتعلّقة بفروع المذهب المالكي.

وكتاب" **المستصفى من علم الأصول" لأبي حامد الغزالي(ت505هـ/1112م)** الذي يعتبر من أهم الكتب في علم أصول الفقه حيث عدّه ابن خلدون من أهمّ الكتب التي كتب فيها المتكلّمون، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه آخر كتب الغزالي الأصولية التي تبيّن وتبرز منهجه الأصولي ، وحرّية فكره وعدم محدوديته، لأنّ الغزالي لم يكن ذلك العالم المقلّد لمن سبقه ، لذلك استعنت به في التعريف بالكثير من الصول الفقهية كالكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من أصول المذهب المالكي.

وكتاب **اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزبادي الشيرازي(ت476هـ/1084م)**، وتكمن أهمية هذا الكتاب في اختصاراته للألفاظ والإتيان بالأقوال والأدلة وترجيحها والمناقشة عليها كما أنه يعتبر أهمّ مصنّفاته الفقهية التي استقر فيها على آرائه واستدلالاته ، وقد تناول هذا الكتاب بيان الفقه وأصوله مما جعله أكثر فائدة بالنسبة للموضوع.

بالإضافة إلى **كتاب بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب من تأليف شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني (ت 749هـ/1349م)** ،الذي تناول هو الآخر أصول المذهب المالكي كالاجتهاد والترجيح والقياس، والذي استفدت منه خاصة في الفصل الخاص بكتاب البيان والتحصيل.

إلى جانب كتب الفقه استعنت أيضا بكتاب النوازل الفقهية كفتاوى ابن رشد الجدّ التي تعرضت لها ضمن كتبه ، ونوازل **المعيار المعرب و جامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب للونشريسي أحمد بن يحي بن محمد (ت914هـ/1514م)** الذي جمع بين دفتي هذا الكتاب الكثير من فتاوى الشيوخ بالأندلس والمغرب ،حيث يعتبر بمثابة موسوعة فقهية عامة لنوازل و أحكام الفقهاء ، والتي أخذ علماء العصر بنصيب وافر منها إذ أورد الكثير من نوازل ابن رشد الجدّ و نوازل ابن الحاج الشهيد(**ت529هـ/1134م**)، فضلا عن العلماء الذي عاشوا في

فترات مختلفة بعده واعتمدوا على فتاويه، ولقد استعنت به كثيرا خاصة في الفصل الخاصّ بفتاوى ابن رشد الجدّ إذ بيّنت اعتماده واعتماد العلماء والفقهاء على فتاوى ابن رشد الجدّ .

وفتاوى البرزلي أو جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام للفقيه أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (**ت 841هـ/1438م**) ، الذي يعتبر من أهمّ مؤلفاته ، وتكمن أهمية هذا الكتاب بالنسبة للموضوع في أنّه تعرّض للكثير من من النوازل الفقهية **لابن رشد الجدّ** فهو القائل:" هذا كتاب قصدت فيه جمع أسئلة اختصرتها من نوازل ابن رشد ، **وابن الحاج** ، **وابن عبد النور** وأسئلة **عزّ الدين** ، وغيرهم من فتاوى المتأخرين..."ولقد استفدت منه كثيرا سواء في المقارنة بينه وبين فتاوى ابن رشد الجدّ أو في التعريف بالكثير من المعاملات المالية التي ذكرها ابن رشد في فتاويه. فضلا **كتاب الإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبغ عيسى بن سهل** (**486هـ/1094م**)، التي هي عبارة عن نوازل قضائية استفتي فيها ابن سهل أيام توليه القضاء بغرناطة، الذي استعنت به في المقارنة بينه وبين نوازل ابن رشد، فضلا عن الرجوع إلى بعض المسائل التي أشار إليها ابن رشد الجدّ .

3-كتب التراجم و الطبقات :

من بينها **كتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال** (**ت578هـ/1183م**) ، الذي استفدت من طبعتين منه ، طبعة من تحقيق إبراهيم الأبياري وأخرى من تحقيق عزت العطار الحسيني، **و** هو كتاب مهم جدّا خاصة وأنّه أحد تلاميذ ابن رشد الجدّ المعروفين بأمانتهم العلمية في نقل الأحداث التاريخية،لذلك اعتمدت عليه كثيرا في التعريف بالكثير من الشخصيات ، كما استعنت بكتابا **القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي**(**ت544هـ/1150م**) وهو أحد تلاميذ ابن رشد الجدّ النجباء ، المعروفين بنبوغهم العلمي ألا وهما:**كتاب "الغُنية** " الذي ترجم فيه للكثير من أعلام الفترة من بينهم شيخه وأستاذه **أبو الوليد**

محمد بن رشد الجد والكثير من شيوخ العصر، **كابن الحاج الشهيد ، وأبو بكر الطرطوشي و أبو عبد الله المازري،** أما كتابه الثاني فهو **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك** و قد استفدت من طبعتين منه ، الأولى من تحقيق **محمد بن تاويت،** والثانية من تحقيق **محمد سالم هشام،** الذي يعتبر هو الآخر موسوعة ضخمة في التأريخ للعلماء المالكية شرقا وغربا ،كما قام فيها بإظهار فضل علم أهل المدينة و ترجيحه على غيره بأدلة وحجج قاطعة بالنسبة إليه ، و قد استفدت كثيرًا من تراجم هذا الكتاب في جميع الفصول .بالإضافة إلى كتابا **محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار**(**ت665هـ/1268م**) **التكملة لكتاب الصلة ،والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي** ،و**تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي** ،و **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي** ،كتاب **نيل الابتهاج في تطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي** الذين استفدت منهم كثيرا في التعريف بالكثير من علماء الفترة ، مناقبهم ، أوصافهم وأهمّ أعمالهم وإنجازاتهم.

4-كتب تاريخية:

اعتمدت في هذه الدراسة على كتب التاريخية أهمها : **مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين بن زيري المسماة التبيان،** الذي صوّر السياسة المرابطية بالأندلس أحسن تصوير ، **والكامل في التاريخ لابن الأثير** (**ت630هـ/1234م**) ،وكتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لأحمد بن عذاري المراكشي**(**كان حيا712هـ/1313م**) خاصة الجزء الرابع ،و تكمن أهميته في انه نقل لنا للكثير من الأحداث السياسية التي كان **لابن رشد الجد** مواقف منها. وكتابي **لسان الدين بن الخطيب** (**ت776هـ/1375م**) ،**أعمال الأعلام ، والإحاطة في أخبار غرناطة** ،لأن فيهما الكثير من المعلومات التاريخية بالنسبة لموضوع البحث ،كما استعنت بكتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع** الذي ذكر الكثير من الأحداث المتعلقة بالفترة، فضلا عن كتب

أخرى ككتاب **الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكردبوس** ، وكتاب **العبر لابن خلدون (ت808هـ/1406م)**.فضلا عن **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** لمؤلف مجهول من **القرن8هـ/14م** .

5-المصادر الجغرافية والموسوعات الأدبية:

استعنت أيضا بالمصادر الجغرافية للتعريف بالأماكن والمواقع كالمدن والقرى وغيرها من المناطق غير المعروفة بالنسبة للقارئ منها :كتاب**المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب لأبي عبيد البكري** (**ت487هـ/1095م**)، **وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي** (**ت548هـ/1154م**) ،و كتاب **الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري وغيرها**.

بالإضافة إلى ذلك اعتمدت على موسوعات أدبية تاريخية أهمها: **كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني**(**ت543هـ/1149م**) الذي كان أعلام القرن السادس للهجرة ، مما جعل كتابه هذا يحوي الكثير من المعلومات التاريخية في ثنايا التراجم التي قدّمها ، واستفدت منه بكثرة خاصة في ما يتعلق بتطور الحركة العلمية في عصر ابن رشد الجدّ.

واستفدت أيضا من كتاب: **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد المقري التلمساني** (**ت 1041هـ/1633م**)الذي يعتبر أهم موسوعة معلوماتية عن تاريخ **الأندلس** و **المغرب** ،وهذا ما جعله عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث خصوصا الفصل الأول منه ،الذي تحدثت فيه عن الأوضاع السياسية والفكرية ،والفصل الثاني الذي تحدث فيه عن شخصية ابن رشد الجدّ ومنزلته الفقهية.

6-المراجع :

استعنت بالكثير من الدراسات الحديثة و الأعمال الجامعية التي كانت سندا قويا لي لدراسة الكثير من جوانب الموضوع ، إذ استقيت منها أراء أصحابها حول بعض الأحداث، مستأنسة بها في تأييد و جهة نظري و تأتي في مقدمتها **دراسة الدكتور المختار بن طاهر التليلي تحت عنوان ابن رشد و كتابه المقدمات** التي تطرق فيها للكثير من جوانب شخصيته و كتابه **المقدمات** ، عرفتني بمكانته العلمية في عصره ،كما استفدت من دراسة **على العلوي** المعنونة **بالمنهج الاجتهادي لابن رشد الجدّ في كتاب البيان و التحصيل،** بالرغم من أنها تناولت الفقه من جانبه النظري ، حيث يعتبر هذا المرجع من أهم ما ألف حول هذا الكتاب ، إذ تناول جوانب هامة استفدت منها كثيرا خصوصا فيما يخصّ التعريف بأهمية هذا الكتاب بين أمّهات الفقه المالكي، فضلا عن المنهج الاستدلالي لابن رشد الجدّ في كتاب البيان والتحصيل. كما اعتمدت على دراسة **محمد محمود عبد الله بن بية ،الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** التي تناول فيها إسهامات العلماء التاريخية خلال الفترة المرابطية .

بالإضافة إلى كتاب **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** من تأليف **العلامة محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف** (**ت1360هـ/1943م**) الذي ترجم فيه للكثير من الشخصيات المتعلقة بالفترة المدروسة وهذه ما جعلنا نستفيد منه بكثرة خصوصا وأنّ معظم تراجمه من المصادر، وكتاب **إيصال السالك في أصول مذهب الإمام مالك لمحمد بن يحي بن محمد المختار الولاتي،** الذي يعتبر نتاج عالمين بارزين من أئمة المالكية ألا هما الولاتي والعلامة أحمد بن محمد المحجوبي رحمه الله ، خصّصه مؤلّفه للتعريف بأصول مذهب الإمام مالك رحمه الله ، حيث قال ابن تيمية في هذا الشأن " من تدبّر أصول الإسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد، وقد ذكر ذلك الشافعي وأحمد " لذلك استفدت منه كثيرا في التعرّف على أصول المذهب المالكي. **وكتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن محمد بن**

الحسن الحجوي الثعالبي المعاصر للفترة الاستعمار الفرنسي و الذي كان أستاذا بجامعة القرويين **بفاس** ، تحدّث في كتابه هذا عن نشأة الفقه الإسلامي ، ومراتب العلوم وأطوارها فضلا عن التجديد وما يتعلق بالاجتهاد والتقليد ، وأهمّ الأعلام الفقهية عبر العصور التاريخية ، خصوصا الفترة المدروسة مما جعله من المراجع المهمة للفترة. **كتاب نظرات في النوازل الفقية لمحمد حجي**، الذي تناول فيه نشأة الفقه والنوازل خلال القرن 1هـ/8م ، فضلا عن تطوّر الفقه والنوازل من القرن 2هـ/9م حتى 9هـ /15م، حيث استفدت منه كثيرا في الفصل المخصص لنوازل ابن رشد الجدّ ، وكتاب **ميكلوش موراني (أستاذ بجامعة بون بألمانيا) ،دراسات في الفقه المالكي** ،الذي نقله من الألمانية إلى العربية سعيد بحيري ، عمار صاعد عبد الجليل ، محمود رشاد حنفي، تحدّث في هذا الكتاب عن أهم المصادر المالكية ، مما جعله عظيم الفائدة بالنسبة للموضوع خصوصا في الفصل الخاص بالبيان والتحصيل ، حيث ذكرا عددا كبيرا من المصادر التي اعتمد عليها ابن رشد الجدّ في هذا الكتاب. بالإضافة إلى المقالات كمقال **محمد أبو الأجفان، الفتاوى الفقهية وتقويم فتاوى ابن رشد الجدّ** ، ومقال **لمحمد المغراوي ، مسائل العملة والصرف والأسعار من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ** وغيرها من الدراسات العديدة المذكورة في قائمة المراجع.

وأخيرا أحمد الله سبحانه وتعالى الذي أعانني ومنحني الصبر لإتمام هذا العمل المتواضع ، وأسأله بلوغ القصد لاختياري موضوع ابن رشد ، فإن تكن إصابة فتوفيق منه عزّ وجل ، وإن يكن تقصير فإنه مني ، كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر والعرفان لأستاذتي المشرفة سامية أبو عمران التي منحتني من وقتها الكثير طيلة مشوار هذا العمل ، فلها مني جزيل الشكر.

الباب الأول

ابن رشد الجدّ وأوضاع عصره

الفصل الأول

أوضاع الأندلس السياسية والعلمية خلال عصر ابن رشد الجدّ

1 ـ أوضاع الأندلس السياسية خلال عصر ابن رشد الجدّ:

أ ـ ملوك الطوائف.

ب ـ المرابطون.

2. مظاهر الحركة العلمية في الأندلس خلال عصر ابن رشد الجدّ:

أ ـ العلاقات العلمية بين المشرق والأندلس.

ب ـ النضج العلمي للأندلس و ظهور الاجتهاد و النظر في الأصول.

ج ـ المكتبات و جمع الكتب:

3ـ تطور الحركة الفقهية بالأندلس خلال عصر ابن رشد الجدّ:

أ ـ في عصر ملوك الطوائف.

ب ـ في عصر المرابطين.

1ـ أوضاع الأندلس السياسية خلال عصر ابن رشد الجدّ:

أ – ملوك الطوائف :(422هـ/1031م–484هـ/1092م)

تعرف الفترة الممتدة من سقوط الخلافة الأموية بداية من سنة **422هـ/1031م** إلى **484هـ/1092م** بعصر ملوك الطوائف أو أمراء الطوائف، وهي فترة عايش **ابن رشد الجد** موضوع دراستنا مرحلة من حياته خلالها ،ألا وهي مرحلة الطفولة والنشأة و مما لاشك فيه أنّ لبيئته دور كبير وأثر بالغ في نشأته وتربيته ،و هذا ما يجعلني قبل أن أتطرق لهذه الشخصية و أبرز ما كان لها من أثر في الحركة الفقهية أتناول أولاً أوضاع **الأندلس** خلال هذه الحقبة الزمنية .

حيث كانت **الأندلس** خلال عصر ابن رشد الجدّ،مقسمة بين الممالك النصرانية المتمثلة في **إمارة برشلونة (Barcelona)و أرغون(Aragon) و قشتالة (Castilla) وليون (Léon)**[1] و**الأندلس الإسلامية** التي آلت لملوك الطوائف[2] ، بعد الفتنة البربرية أو القرطبية التي عصفت بكيان الخلافة الأموية ،وأخلت بأحوالها إخلالاً كبيراً ،ظل يشتد يوما بعد يوم في ظل الكيانات السياسية التي آلت إليها حتى انتهى أمرها إلى المرابطين الذين أعادوا لمّ شملها من جديد ووحدوا ممالكها[3].

إن الاسم الذي أطلق على الدويلات الإسلامية **بالأندلس** في هذه الفترة بالذات يدل على الحالة التي كانت تعيشها و يبّين الأوضاع السياسية بها، وما وصلت إليه من تمزق وتشتت واضطراب فبمجرد ما غاب نجم الخلافة الأموية حتى استقلّ كل أمير أو قائد ذي نفوذ، أو قائم على جهة معينة

---

[1] شباح يوسف: **الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تحقيق عبد الله عنان، ط2 مؤسسة الخانجي، القاهرة 1956م ، ج1 ص68؛ أنظر خريطة الأندلس في عصر ملوك الطوائف الملحق رقم18، ص308.

[2] ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** , تحقيق ج.س كولان وليفي بروفسيال ,ط1 . دار الجيل بيروت 1983م ،ج3، ص 152؛ العروي عبد الله :**مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، د ـ ط، د ـ ت، ص ص122. 123 .

[3] التليلي ،المختار بن الطاهر: **ابن رشد الجد وكتابه المقدمات** ، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، 1988م.ص25.

بما وصلت إليه يده و قدر عليه، فأصبح لكل مدينة من مدن **الأندلس** أمير مستقل وذهبت في مهبّ الريح تلك الوحدة التي عرفتها من قبل ،وسارت البلاد الأندلسية إلى وضع مزري ، وأصبحت فريسةً بين المتغلبين ،فلقد استأثر البربر بالجنوب و خضع الشرق **للصقالبة** ، أما باقي المناطق فلقد ظفرت بها بعض الأسر القديمة ، والتي بلغ عددها نحو عشرين أسرة أشهرها **بنو عباد**[1] **بإشبيلية**(**Sevilla**)[2] **وبنو حمود** [3]الأدارسة **بمالقة** (**Malaga**)[4] و **بنو زيري** في **غرناطة**[5] وبنو هود **بسرقسطة**(**Zaragoza**)[6]و **بنو ذي النون** في **طليطلة**(**tolido**) [7] .

---

[1] المقري ،أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** تحقيق إحسان عباس،دار الصادر بيروت،1968م ، ج1 ،ص 348وما بعدها ؛ابن الأثير ،أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الملقب بعزّ الدين :**الكامل في التاريخ**،راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998م ،ج8، ص180وما بعدها ؛ إحسان عباس :**تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين**،ط1 دار الشروق ،عمان،1997،ص13.

[2]الحموي ،ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي:**معجم البلدان** ،ط1، دار إحياء التراث العربي،**1988م** ،ج1،ص 254؛ الحميري ،محمد بن عبد المنعم:**صفة جزيرة الأندلس ،منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**،إ يفي برفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة القاهرة 1993م،ص18 و ما بعدها.

[3] أنظر ابن عذاري ،المصدر السابق ،ج1،ص 119 وما بعدها؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج 6،ص177؛أحمد أمين: **ضحى الإسلام** ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2004م، ج3،ص316.

[4]الحموي،المصدر السابق،، ج 7،ص367؛ الحميري ، المصدر السابق،ص177 .

[5]أنظر : ابن بلقين عبد الله :**مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة المسماة التبيان** ؛تحقيق ليفي بروفنسال،دار المعارف ،مصدر القاهرة،1955 ، ص18 وما بعدها؛ ابن الأثير الصدر السابق،ج 8،ص113.

[6]كانت تعرف بولاية الثغر الأعلى الذي كان يشمل مدينة سرقسطة وأعمالها تيطلة **Tudela**وشقة**Huesca**، **بربشتر Babastro**، **لاردة Lerida**، **إفراغة Fraga**، **طركونة Taragona طرطوشة Tortosa أنظر**:المراكشي ،عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية 1998م ، ص84؛ حسين مؤنس،**معالم تاريخ المغرب و الأندلس**،دار الرشاد ط5 ،القاهرة،2000م،ص422 -423.

[7] أصلهم من قبيلة هواره البربرية ،وكان جدهم الأعلى **ذي النون بن سليمان** حاكم حصن **إقليش** وولده إسماعيل هو الذي انتهز فرصة سقوط الدولة الأموية واستولى على **طليطلة** بدعوة من أهلها وأعلن استقلاله منذ سنة **427هـ/1035م**، ،أنظر ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري ،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1998م،

إضافة إلى **بنو الأفطس**[1] في **بطليوس**، وبنو **صمادح**[2] في **المرية**(**Almeria**) وغيرها من الإمارات الأخرى . وبذلك انقسمت **الأندلس** إلى مقاطعات صغيرة متحاسدة فيما بينها [3] .

ولقد أطلق هؤلاء الأمراء على أنفسهم ألقاب الخلافة ، كالمعتمد على الله، و المعتضد والمأمون، و المستعين بالله ،وغيرها من الألقاب[4] ، وكانوا يعيشون حياة اللهو و المجون و الفسق[5] ، ولم

=مج4،ص89 وما بعدها؛ ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج 8،ص110؛ إحسان عباس،المرجع السابق،ص 12؛عدنان فائق العمبتاوي :**حكاياتنا في الأندلس**،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1998،ص99.

[1] كان يحكمها أحد الفتيان العامريين بمساعدة وزيره **عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفطس** ،ولما توفي **سابور** استغل هذا الأخير فرصة تعرض المملكة لهجمات النصارى للاستبداد بالحكم وخلع **ابني سابور** وظل يحكمها هو حتى توفي فخلفه في حكمها ابنه **المظفر** ثم حفيده **المتوكل بن الأفطس** :أنظر ابن خافان الفتح بن محمد بن عبد الله، **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، ط1، مطبعة التقدم العلمية، مصر ،ص37؛ ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص110؛ القلقشندي: **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج،عالم الكتب ،د ـ ت،ج1،ص350؛ محمد رجب عبد الحليم : **العلاقات بين اسبانيا الإسلامية و اسبانيا النصرانية**،دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني،مصر-بيروت،1955،ص368 وما بعدها؛محمود مقديش:**نزهة الأنظار في عجائب** التواريخ و الأخبار،تحقيق علي زاووي-محمد محفوظ،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988،ص ص427-428.

[2]حكموها بعد وفاة **زهير العامري** وأولهم **أبو الأحوص المعتمد معن بن صمادح التجيبي** الذي كان أميرا حسن السيرة فاقتفى ابنه أثره وزاد عليه اهتمامه بمجالس العلم.أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق ، ج8،ص118؛المراكشي ،عبد الواحد ، المصدر السابق، ص56 ؛إحسان عباس،المرجع السابق،ص ص392-393

[3] أنظر :ابن الخطيب: **تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، ط2، دار الكشوف، القاهرة1339هـ/ 1973م ، ص114وما بعدها؛ فاطمة هارون : **السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين، ابن رشد الجدّ نموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذة الدكتورة سامية أبو عمران، السنة الجامعية 2008/2009م، ص123وما بعدها.

[4]المراكشي ،عبد الواحد،المصدر السابق،ص53.

[5] المراكشي ، نفس المصدر،ص144.

يصلوا إلى ذلك إلا بعد إثقال كواهل رعاياهم بالضرائب و الجبايات[1]، فلم يكن يمنعهم في ذلك أيّ مانع لا من الدين و لا من الأخلاق[2]، ووصل بهم الأمر إلى تقريب اليهود و النصارى على حساب إخوانهم المسلمين دون إقامة أيّ اعتبار للكرامة الشخصية[3].

أما مماليكهم فلقد كانت تفتقر إلى أبسط مقومات و عناصر الدول المستقلة حيث كانت أشبه إلى وحدات الإقطاع أو الأسر القوية ذات العصبية.[4] وهذا ما جعل النصارى يوّحدون قواهم مستغلّين ضعفهم وتناحرهم فيما بينهم من أجل إسقاطهم واحدة تلوى الأخرى [5] . وصدق ابن الأثير حين **قال**:" أنهم ما طمعوا في **الأندلس** إلا عندما تفرقت وصارت كل مدينة بيد ملك فحينئذ طمعوا فيهم و أخذوا كثيرا من ثروتهم و أنهكوا قوى المسلمين و استنزفوها[6].

أما العلماء والفقهاء فلم يتحمل الكثير منهم مسؤولياتهم اتجاه مجتمعهم ، حيث كانوا يعملون على خدمة الأمراء و الملوك ليحصلوا على النفوذ والمال، ويصدرون الفتاوي بما يتناسب و مصالح هؤلاء الأمراء[7]، مما جعل بعض الفقهاء والعلماء يستنكرون الوضع

---

[1] ابن حزم الأندلسي الظاهري، أبو محمد علي:**الرسائل**،تحقيق حسان عباس،ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت ،1967، ج3،ص173.

[2] الشعبي المالقي، **الأحكام**، تحقيق الصادق الحلوي ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992م ،ص23.

[3] ابن الكردبوس ، عبد الملك التوزري:**الاكتفاء في أخبار الخلفاء**،تحقيق عبد القادر بوباية ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 2009م، ص ص394-395.

[4] عنان عبد الله :**دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني ، عصر الطوائف وبداية المرابطين** ،ط2، مكتبة الخانجي ،القاهرة1990م،ص402.

[5] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار –عبد القادر الزمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 1339هـ/1979م، ،ص 47 ؛المصري ،جميل عبد الله : **الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس** ،(**مجلة الجامعة الإسلامية**)، المدينة المنورة،1460هـ، عدد ،69 و 70،ص173.

[5] ابن الأثير:المصدر السابق ،ج8،ص 479.

[7] عنان، المرجع السابق ،ج2 ،ص420-421؛ الفيومي محمد إبراهيم: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، دار الجيل ، بيروت سنة 1417هـ/1997م،ص 68؛ محمد رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 279

الذي وصلوا إليه من بينهم "**أبو مروان بن حيان**"[1]، الذي قال في شأنهم: " فالأمراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا إلى الفرقة ،والفقهاء أئمّتهم صموت عنهم صُدُف عماّ أكده الله عليهم من التبيين لهم "[2]، "**وأبو محمد علي بن حزم الظاهري**"[3] الذي تذمر هو الآخر من الفوضى السياسية والدينية والاجتماعية ،فكتب عدة رسائل موضحا فيها الوضع المخزي الذي وصلوا إليه[4] .

أما "**ألفونسو السادس (الأذفونش)**"[5] ملك **قشتالة** فاستغل الوضع أحسن استغلال تمهيدا لتجسيد خطته الكبرى. فكان لا يترك أيّ فرصة تمر دون استثمارها حتى استولى على **طليطلة** سنة **478 هـ /1086م**[6] ،حيث كان سقوط هذه الأخيرة السبب المباشر لتدخل المرابطين **بالأندلس.**

---

[1] حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان، ولد **بقرطبة** سنة **337هـ/949م** ، من أبرز علماء الأندلس ومؤرخيها، ومن أشهر مؤلفاته : المقتبس في أخبار الأندلس ، الذي يتحدث عن تاريخ **الأندلس** من الفتح في عصر ملوك الطوائف ، أنظر ابن حيان:**المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمان حجي،بيروت، دار الثقافة ،1965،ص 11 وما بعدها؛ ابن عذاري، المصدر السابق ،ج3،ص254.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق،ج3، ص253.

[3] أحمد بدر :**دراسات في تاريخ الأندلس و حضاراتها من الفتح إلي سقوط الخلافة الأموية** ،مطابع ألف باء للأديب ،دمشق،1969 ،ج1،ص170.

[4] أنظر رسالته **التلخيص لوجوه التخليص** ،ابن حزم ، **الرسائل**، ج3، ص173.

[5] هو ملك **قشتالة و ليون** حكم ما **بين1015 –1159م** بعد وفاة والده **فرناندو الأول(1035-1065م)** ،من أشهر قادته **رودريجودياز دي بيفار** المعروف **باسم السيد القمبياطور** الذي كان من المغامرين المؤجرة سيوفهم تارة لصالح المسيحيين وتارة للمسلمين، انظر : الناصري السلاوي: **الاستقصا في أخبار دوّل المغرب الأقصى** ،تحقيق جعفر خالد الناصري ومحمد الناصري،دار الكتب ، الدار البيضاء،1954م ،ج2،الهامش رقم 57،ص 201، ليفي بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.د-ت ،ص155 وما بعدها.

[6] الزهري : **كتاب الجغرافيا**،تحقيق محمد حاج صادق،القاهرة مكتبة الثقافة الدينية،ص84.

اختلفت مواقف أمراء الطوائف من تلك الهجمات على طليطلة، "**فالمتوكل بن الأفطس**" الذي حكم مابين(**464هـ-1072م/484هـ-1092** م) [1] قدّم كل ما في وسعه للمساعدة[2] ، أما "**المعتمد بن عباد** (**488 هـ/ 1096م**)"[3] فعقد معاهدة مع "**ألفونسو**" تعهد بموجبها بدفع الجزية له و بعدم تدخله أثناء احتلاله **طليطلة**، وبالمقابل تعهد ملك قشتالة بدوره بتقديم العون العسكري له ضدّ أعدائه من ملوك الطوائف[4] .

وهذا ما أدى إلى سقوط هذه الحاضرة من حواضر الإسلام **بالأندلس** ،والتي بسقوطها أحسّ هؤلاء الأمراء بضعفهم وتنبّهوا إلى نهايتهم بل نهاية دولة الإسلام في الأندلس،[5]و كيف لا يبلغون هذا المبلغ وقد ذلّ قال **أحد المؤرّخين** :"الرئيس و المرؤوس وافتقرت الرعية وفسدت أحوال الجميع بالكلية وزالت من النفوس الأَنَفة الإسلامية"[6] .

بدأ فقهاء الأندلس يفكرون في حلّ مستعجل لهذا الوضع ،حيث لعبوا دورًا مهمًا قبل سقوط **طليطلة** و بعدها ،من بينهم "**ابن حزم**" الذي جاب مدنها داعيا إلى الوحدة والجهاد موجها

---

[1] **أنظر ترجمته:** ابن خاقان، **قلائد العقيان** ، ص 37؛ الذهبي ،شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء بهامشه إحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال،** تحقيق محي الدين أبي سعيد عمر بن غلاف العمري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،ج14،ص197؛ مروان سليم أبو حويج : **أصالة التثقيف التربوي في الفكر الأندلسي**، الدار الجامعية ، الكويت 1997م، ص 320.

[2] المصري جميل عبد : **الزلاقة معركة من معارك الإسلام بالأندلس**،ص 177 .

[3] أنظر :ابن خافان ، **القلائد** ،ص4 و ما بعدها ؛ابن خاقان: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،ط1، مطبعة الجوابي،1302هـ،ص10؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ،ص157؛ الذهبي:**سير أعلام النبلاء** ،ج14،ص 114 و ما بعدها ،؛ ابن عماد الحنبلي ،عبد الحيّ بن أحمد الدمشقي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** المركز التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د ـ ت، المجلد 2،ص386.

[4] مؤلف مجهول : **الحلل الموشية**،ص 71؛ المصري ،جميل عبد الله، المرجع السابق،ص176.

[5] سالم عبد العزيز: **المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981م،ج2،ص718.

[6] ابن الكردبوس، **الاكتفاء**، ج1، ص394-395.

النقد لملوك الطوائف، ومبيّنا استهزائهم و قلة مسؤوليتهم مما سبق ذكره، **و" أبو مروان حيان بن خلف الأموي** " الذي علّق على أوضاع **الأندلس** وبشكل خاصّ على **"نكبة بربشتر(456هـ/1064م)"**[1] التي لام عليها عامة الشعب و الحكّام ،حيث أرجع سببها إلى تهاونهم وتقصيرهم في الدفاع عن أرض الإسلام[2].

وأبو عمر يوسف بن عبد البرّ النمري[3]، شيخ علماء **الأندلس** وكبير محدثيها مما سيأتي ذكره في الأوضاع العلمية ، والذي تنقّل بين **قرطبة،و** غرب **الأندلس** ،ثم شرقها، مارا **بدانية(Denia)** ،**و بلنسية(Valencia)** ،**و شاطبة (Shatiba)** ،و **أشبونة**[4] ،**(Lisboa)** ،**وشنترين (Santrem)** التي تولى وظيفة القضاء بهما في فترة حكم **المظفر بن الأفطس** حاكم **بطيليوس(437-461هـ/1046-1069م)**[5] ، حيث كان كلّما

---

[1] يعود سبب هذه النكبة إلى الهجوم النورماني والفرنسي المفاجئ على هذه المدينة أيام ملوك الطوائف فقتلوا ونهبوا وهتكوا أعراض المسلمين ،وقد قام **المقتدر بن هود** أمير سرقسطة بإنقاذ ها في السنة الموالية.**أنظر**: البكري أبو عبيد الله: **جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك والممالك** ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، ط1، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1968م،ص95؛ ابن عذاري، المصدر السابق ،ج3، ص ص225-226؛ الحميري: **الروض المعطار**،ص ص90 -91.

[2] المصري جميل عبد الله، **الزلاقة** ،ص179.

[3] المالقي ، **الأحكام** ،ص ص 34-35؛ ابن خلكان شمس الدين محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،تحقيق إحسان عباس، دار الصادر ، بيروت، 1991م،ج 7، ص66 وما بعدها؛ محمد الشريف قاهر: **ابن عبد البر(368هـ-463هـ/978-1070م)**،**معجم مشاهير المغاربة**،جامعة الجزائر1995م، ص337 و ما بعدها.

[4] تقع على نهر **تاجة** غرب المحيط الأطلسي وقد ذكر الإدريسي انه من هذه المدينة ينطلق المغامرون لاكتشاف نهاية بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي ،**أنظر**: اليعقوبي، المصدر السابق، ص10؛ الإدريسي ،الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة **الدينية** ،القاهرة1994م،مج2، ص77 وما بعدها.

[5] **أنظر** : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص ص95-96؛ ابن الخطيب :**أعمال الأعلام**، ص181 -148؛ إسماعيل باشا البغدادي :**هدية العارفين وأسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد 1995 م ،مج2،ص72.

مرّ بمدينة من هذه المدن يدعو إلى الوحدة ،ونبذ التفرّق، ولمّ شمل المسلمين بالأندلس تحت كيان سياسي واحد[1].

و "**أبـو الوليـد سـليمان بـن خلـف البـاجي التجيبـي القرطبـي**" [2]، الـذي وّلي قضـاء أمـاكن متعـددة فـدعا إلى وحـدة **الأنـدلس** مـن تلقـاء نفسـه أولا ثمّ نشـط أكثـر بعـد حادثـة **بربشــتر** الــتي نبّهــت المســلمين إلى الخطــر الــذي يهــددهم، وقــد دعمــه وســاعده في ذلــك **المتوكـل بـن الأفطـس** ،فرفـع كمـا ذكـر "**ابـن بسـام**" : "صـوته باحتسـاب ومشـى بـين ملـوك أهـل الجزيـرة يـدعو إلى الألفـة "[3]، إلاّ أنـه تـوفي أثنـاء قيامـه بهـذا الواجـب[4] ، "**والفقيـه عمـر بـن الحسـن الهـوزي**[5]" الـذي تـأثر تـأثرا بليغـا للهجـوم المسيحي علـى **بربشـتر**، وتـألّم للمجـازر الـتي عـانى منهـا سـكانها فبعـث إلى "**المعتضـد بـن عبـاد** "[6] برسـائل حماسـة يـدعوه فيهـا إلى تـزعّم الجهاد ضدّ النصارى شارحا له حال المسلمين التي تزداد سوءًا يوما بعد يوم[7].

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق ،ج 7 ،ص 66 وما بعدها؛ المصري جميل عبد الله، المرجع السابق،ص179.

[2] ابن خاقان: **قلائد العقيان**،ص ص 196 – 197 ؛ ابن الخراط الاشبيلي : **في اختصار اقتباس الأنوار** ، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وخاثيونتو بوسك بيلا، سلسلة مصادر أندلسية ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد1999م ،ص107 و ما بعدها؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق ،مج 2،ص344 وما بعدها .

[3] ابن بسام، المصدر السابق ، مج 2،ص55-56.

[4] القاضي عياض بن موسى اليحصبي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك**،ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1418هـ/1998م ، مج2، ص351.

[5] ابن بسام، المصدر السابق، مج2،ص47.

[6] ثاني أمراء بني عباد **باشبيلية** تولى الحكم بعد أبيه **أبو القاسم بن عباد** سنة(**433هـ/1041م**)،أنظر أخباره ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص155 وما بعدها ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج8، ص ص108-109.

[7] ابن بسام ، المصدر السابق،ج1،ص381؛ المقري: **نفح الطيب**،ج2،ص93؛ محمد رجب عبد الحليم، المرجع السابق،ص280.

أما بالنسبة ،**لأبي الوليد بن رشد الجدّ**، فعاصر الأحداث هو الآخر هذه الأحداث ودعا كغيره من الفقهاء إلى الوحدة ونبذ التفرّق ولمّ شمل المسلمين[1]، و لكنه لم يكن له نشاط واسع و مواقف بارزة في هذه المرحلة ،على خلاف مرحلة المرابطين بالأندلس التي برز فيها على رأس علماء عصره[2].

وبتواصل تهديدات **ألفونسو** تأزم الوضع أكثر فأكثر فأصبح من الضروري إيجاد مخرج لإنقاذ المنطقة من المد المسيحي المتزايد[3] ، فعُقد اجتماع في **قرطبة** حضره جماعة من الفقهاء و العلماء لمناقشة أحوال **الأندلس** و ما وصلت إليه من ضعف و تخاذل[4]،و قد شارك **ابن رشد الجد** في هذا المؤتمر غير متميز عن فقهاء **قرطبة** ،وقام بدور هام فيما قام به الفقهاء و أهل الرأي لإقناع أمراء الطوائف بطلب المعونة العسكرية[5] ،وبعد التشاور فيما بينهم اقترح بعض المشاركين الاستنجاد **بعرب إفريقيا الهلالين**[6] ،إلا أنّ قاضي قرطبة **عبد الله بن محمد بن الأدهم** رفض هذا الاقتراح مخافة تخريب البلاد كما فعلوا بإفريقيا ،واقترح عليهم عرضا آخر و المتمثل في الاستنجاد بالمرابطين الذين حملوا لواء الجهاد في سبيل الله **بالمغرب الأقصى**، فوافق الجميع على هذا الاقتراح لأنهم رأوا فيه

---

[1]المصري جميل عبد الله ، المرجع السابق، ص180.

[2]ابن رشد: **المسائل** ، تحقيق محمد الحبيب التجكتاني، ط2، دار الجيل ،دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ المغرب، 1414هـ/1993م، ج1،ص ص 30-31.

[3] المصري جميل عبد الله: **الزلاقة** ، ص 182.

[4] حسن أحمد محمود : **قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، ط2، دار الكتاب الحديث، القاهرة 1992م،ص231 .

[5] ابن رشد ، **المسائل** ،ج1،ص 30-31.

[6] زحفوا نحو المغرب **سنة 440 هـ/1049م** للانتقام من **المعز بن باديس الصنهاجي** الذي خرج عن طاعة الخليفة الفاطمي. أنظر المراكشي، المصدر السابق،ص157 وما بعدها؛ الساحلي حمادي : **فصول في التاريخ و الحضارة**، ط1، درا الكتب العلمية بيروت ،1998، ص ؛ حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط5، دار الرشاد القاهرة، 2000م، ص166 و ما بعدها.

الصواب[1] ، و بذلك بدأت الاستعدادات للعبور إلى للمنطقة من أجل القضاء على العدوان المسيحي بها وهذا ما كان في **موقعة الزلاقة**[2] أعظم مواقع الإسلام في **الأندلس**.

ب ـ المرابطون بالأندلس:

يعود أصل المرابطين إلى قبيلة **صنهاجة الجنوب** الصحراوية ، وبالضبط إلى **قبيلة لمتونة** التي تأتي على رأس قبائل المنطقة ،والتي كانت تمثل عصب الدولة وقاعدتها الأساسية، وينتمي إلى **صنهاجة** فضلا عن **لمتونة** عدد كبير من القبائل البربرية منها **مسوفة، مسراتة، مداسة ،جدالة ،لمطة ، جزولة،** وبنو **إبراهيم و بنو تاشفين ،و بنو محمّد، و بنو منصور**... "[3] ، و رقعتهم الجغرافية تمتد من الشمال إلى الجنوب شاملة **وادي السوس**[4] ،ووادي **درعة**[5] **وصحراء شنقيط**[6] إلى شاطئ نهر **السنيغال** [7] ،أما نسبهم فيرجع إلى **حمير** من العرب اليمنية وهي النسبة التي تتّفق عليها

---

[1] ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج3، ص446؛ حسن احمد محمود ، المرجع السابق،ص231 .

[2] **بالإسبانية** (**Sagrajas**) وهي اسم سهل يقع شمال شرقي مدينة **بطيليوس** على مقربة من الحدود البرتغالية الحالية، أنظر: الحميري ،**الروض العطار**، ص287و ما بعدها؛الحموي،المصدر السابق ،ج 3،ص146؛ السلاوي، المصدر السابق،ج2،الهامش رقم81 ،ص214.

[3] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المكتبة التاريخية، طبعة حجرية، ص 75؛ ابن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت 1979، ص 98.

[4] أنظر : الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار** ، ص 329.

[5] يقع **بجنوب المغرب**، وتقع به **مدينة درعة** التي تبعد عن **مدينة سجلماسة** بثلاث مراحل. الحميري، نفس المصدر، ص 236.

[6] العبّادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 2001، ص 288، الهامش رقم 2.

[7] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية** ، ص 17، السيد محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموّحدين في المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص 22؛ Clot (André): **L'Espagne musulmane** VII, XV siècle, , académique, Paris,1999 ,p196. librairie

الكثير من النصوص[1]. وفي ذلك يقول أحد **المؤرّخين:** " شرف صنهاجة أصيل ومجدهم أثيل ورئاستهم قديمة ونسبتهم إلى حمير معلومة "[2] .

كان يتولى زعامتهم"**يحي بن إبراهيم الجدالي"** الذي أتيحت له فرصة سماع عالم من أعظم أئمة المالكية بالقيروان ألا وهو الفقيه "**أبو عمران بن عيسى بن أبي الحاج الفاسي"**[3] ،فقارن بين حياة العلم والمعرفة التي يعيشها سكّان **القيروان**، وحياة الجهل والظلام المتفشية بين عشيرته ومواطنيه، فاشتكى حال قومه له وسأله أن يبعث بعض طلبته النجباء لتعليم قومه القرآن وتفقيههم في الدين [4]. فكتب إلى أحد طلبته **بالسوس** الأقصى

---

[1]ابن الأثير، المصدر السابق، مج8 ،ص 327؛ ابن خلدون عبد الرحمن: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون**، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1991، ، ج6، ص 201؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 46.

[2] أبو الخطاب عمر بن حسين بن دحية الكلبي(**ت542هـ/1148م**) : **المطرب في أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، دار العلم ، القاهرة، 1955م، ص 61؛ أب عبد الله بن عسكر-أبي بكر بن خميس ،**أعلام مالقة** تحقيق الترغي أبي عبد الله المرابط ،ط1، دار الغرب الإسلامي-دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت 1999م، ص 322 وما بعدها.

[3]كان فقيها من أئمة المذهب المالكي حافظا للحديث و عارفا لمعانيه،أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه ثمّ رحل إلى **الأندلس** ودخل **قرطبة** فأخذ من مشاهيرها، ثمّ انتقل إلى **القيروان** فتفقه عن **أبو علي القابسي** ثمّ رحل إلى المشرق ودخل بغداد ،وحضر مجلس القاضي **أبو بكر الباقلاني**، في الأصول، بعد ذلك عاد أبو عمران إلى القيروان فاستوطنها، وصارت إليه رئاسة العلم بها إلى أن **توفي 430هـ/1039م**. **أنظر**: ابن الزيات التادلي : **التشوف على رجال التصوّف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والبحوث الإنسانية، المغرب 1997، ص 64؛كنون عبد الله : **النبوع المغربي في الأدب العربي**،ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1975م، ج1، ص 59.

[4] البكري أبو عبيد الله، المصدر السابق، ص 163؛ حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي ، الديني، الثقافي والاجتماعي**، ط15، دار الجيل ، بيروت،1998م، ج4، ص 269؛ بلغيث محمد الأمين، **الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة مقدمة نيل دكتورة دولة في تاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1423هـ-1424هـ/2002-2003،ج1، ص

وهو "**الفقيه وحاجّ بن زلوا اللمطي**"[1]؛ ليبحث له عمّن يصلح لهذه المهمّة[2]، فاختار له "**عبد الله بن ياسين الجزولي**"[3]، الذي أصبح الزعيم الروحي لدولة المرابطين ، أما "**أبو بكر بن عمر**" رفقة ابن عمه "**يوسف بن تاشفين**" فكانا المطبّقين لتعاليم زعيمهما ، وبعد وفاة أبو بكر صار يوسف بن تاشفين هو الحاكم الشرعي لهذه الدولة الناشئة ، إذ كان له الدور الأكبر في إرساء قواعدها ،حيث قام خلال فترة حكمه بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية تدعيما لدولته وتنظيما لشؤونها ،إذ واصل فتح منطقة **المغرب الأقصى** وأنشأ أسطولا ساعده على فتح الثغور الشمالية المطلة على مضيق **جبل طارق** ، كما عمل على ضمّ **المغرب الأوسط** حيث وصلت جيوشه إلى كلّ من **تلمسان ووهران وتنس والجزائر**[4]، كما أتمّ بناء **مراكش** واتخذها عاصمة له وأسس بها دارا للسكّة وعمل على إنشاء الدواوين والإدارات المختلفة[5]، أمّا الحدث الأهمّ الذي تميّزت به هذه السنوات القليلة هو بداية مرحلة عظمة الدولة وتوسعها في إطار الجهاد **بالأندلس**[6].

استجاب أمير المسلمين "**يوسف بن تاشفين**" إلى استنجاد الأندلسيين به، وكان دافعه الأكبر في ذلك هو الجهاد في سبيل الله وردّ الخطر النصراني المتزايد على أرض الإسلام بالأندلس، ومن ثمّ

58؛ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموّحدين"**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص 19.

[1] من أهل **السوس الأقصى** رحل إلى **القيروان**، فأخذ عن **أبي عمران الفاسي**، ثم عاد إلى بلده لنشر العلم أين أسسّ مدرسة للمالكية كثر عدد طلابه بها، وبذلك أصبحت حصنا من حصون الحقّ في منطقة عمها الجهل والظلال في بداية ،أنظر :ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 89.

[2] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 19.

[3] عياض ، **ترتيب المدارك** ،مج2، ص 333.

[4] العبّادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص 292.

[5] العبّادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص 292.

[6] للمزيد من التفاصيل أنظر: ماجستير هارون ، المرجع السابق، ص50 ما بعدها.

كان جوازه الأول إليها سنة **479 هـ/1086م** ، هذا الجواز الذي سرّ له الفقهاء كثيراً و اعتبروه نصراً بحد ذاته[1] ، لذلك سارعوا إلى دعوة الناس و العمل على توحيد جهودهم للانضمام للقوات المجاهدة الآتية من **المغرب**[2].

هكذا رجع الأمل للأندلسيين واجتمع شملهم بعد تفرق وتوحدت كلمتهم ،وكأنّ" **يوسف بن تاشفين** "وصل ما انقطع من تاريخها المجيد منذ وفاة "**الحاجب المنصور بن أبي عامر**" حين كان المجتمع الأندلسي تحت سلطة واحدة يتوافد إليه المسلمين المتطوعة من كلّ أنحائها ،ولقد أراد أمير المرابطين المحافظة على هذا الشعور فاتّفق مع أمراء الطوائف على جمع كلمتهم وجهودهم لغزو الروم بمعونته[3]. أما "**الفونسو السادس**" فقد أدرك أنّ ثمة تغيراً في الجبهة الإسلامية ،وأنّ الوحدة شملت صفوفهم وشدّت أزرهم[4] .

ويطول الحديث لو تكلّمنا عن تفاصيل هذه المعركة لذلك سنكتفي بالقول أنّ الجيشين الإسلامي و المسيحي التقيا شمال **بطيليوس** في فحص **الزلاقة** أين جرت أحداث معارك طاحنة تعدّ من أعظم معارك الوجود الإسلامي **بالأندلس**[5] ،حيث باغتت قوات **ألفونسو** معسكرات الجيش

[1] انظر موقف **أحمد بن القليعي** من ذلك، ابن بلقين عبد الله :**المذكرات** ، ص134.

[2] حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ،ص134.

[3] حسن أحمد محمود ،نفس المرجع ،ص ص234-235.

[4] حسن أحمد محمود ،نفس المرجع ،ص ص234-235.

[5] **أنظر تفاصيل معركة الزلاقة**: ابن بلقين عبد الله، المصدر السابق، ص ص121-125؛ مؤلف مجهول : **الحلل الموشية**،ص ص287-289:؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص64 وما بعدها؛ ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص69ح المقري : **نفح الطيب**، ج6،ص ص 422-448 .

الإسلامي في **سنة 479هـ /1086م**[1]، فانهزمت عند أول لقاء لها ، أما **الفونسو** فقد تمكن من الفرار مع بعض فلول جيشه الذين تسللوا ليلا هاربين إلى **طليطلة**.[2]

وبذلك شكلت موقعة **الزلاقة** منعرجا حاسما في تاريخ **الأندلس** و وّلدت لديهم أملا في غد يحلّ فيه الأمن و العدل و الرخاء الاقتصادي والاجتماعي ،بعد أن أكدت لهم أنّ الغزو المسيحي نسبي و أنّ إمكانية هزيمته ممكنة إذا توفرت النية في الجهاد و القوة و وحدة الكلمة[3] ،و رجع أمراء الطوائف بعد عودة **يوسف بن تاشفين** ،للمغرب إلى ما كانوا عليه متصارعين ومتنافرين ناقضين العهد الذي قطعوه له ،ما سمح **لألفونسو** بإعادة تنظيم صفوفه وأتاح له الفرصة لغزو المدن الأندلسية من جديد[4].

مما أكدّ للفقهاء الأندلسيين أنّ ملوكهم لم يتغيروا مع رعيتهم مهما كانت محاولة إصلاحهم[5] ، فأخذت الوفود الشعبية وعلى رأسها الفقهاء تستغيث لأنقاض **الأندلس** من المحنة التي عادت[6]، فاستجاب لهم **"يوسف بن تاشفين"** ووعدهم خيرًا وكان ذلك سنة **481هـ/1089م**[7] .

---

[1] ابن بسام : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،مج 2،ص 149.

[2]مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص61؛ ابن بسام، المصدر السابق، مج 2، ص152؛ سالم عبد العزيز: **المغرب الكبير** ،ج2،ص726.

[3]بن بيّة محمد محمود عبد الله: **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، الطبعة الأولى**، دار الأندلس الخضراء –درا ابن حزم، جدة، بيروت، 2000م، ،ص146.

[4] ابن بلقين :**المذكرات**،ص107و ما بعدها؛ حسن احمد محمود: **قيام دولة المرابطين**،ص235؛ سالم عبد العزيز : **المغرب الكبير**،ج 2،ص ص728-729؛ شوقي أبو خليل: **الزلاقة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين**،ط2، دار الفكر ،دمشق1998،ص58.

[5]بن بية ، المرجع السابق،ص149.

[6] عباس سعدون نصر الله : **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت1985م ،ص105

[7] بن أبي زرع، المصدر السابق،ص98.

لعب الفقهاء دورا كبيرا في الأحداث التي جرت **بالأندلس** في هذه المرحلة إذ شكلوا وسيطا مهما بين الشعب الأندلسي وأمير المرابطين، فلقد سرّهم عبوره الأول إليهم[1]، وانتصاره في **موقعة الزلاقة** طمأن قلوبهم وشجّعهم على التكلم بصراحة مطلقة عن مواقفهم والإدلاء بآرائهم دون الخوف من حكامهم[2]، حيث تقدم الكثير من الناس يتزعمهم فقهاؤهم إلى أمير المرابطين[3] ،وكان في مقدمة هؤلاء الفقهاء **أحمد بن القليعي** الذي لعب الدور الأكبر في المجاهرة بمساوئ أمراء الطوائف[4]، فلقد اشتهر هذا الأخير بالعلم و الاستقامة و الورع[5]،وقيل فيه أنّه كان:"شيخ فضل وصدق موقوفا على حوائج المظلومين والمضطهدين[6] ".

فضلا عن ذلك فإن مسألة الضرائب و المكوس لم تكن التهمة الوحيدة التي قدمها العلماء **ليوسف بن تاشفين** بل قدموا تهمة أخطر بذلك بكثير و هي اتهام أمرائهم بالخيانة بسبب تعاونهم مع عدو الإسلام ومواصلتهم تقديم الجزية **لألفونسو السادس**[7].

لقد أثرت هذه الحملة التي شنها علماء **الأندلس** كثيرا في نفسية أمير المسلمين الذي عاد إلى **المغرب الأقصى** مقررا أن يتخذ في حق هؤلاء الأمراء الطوائف موقفا حاسما[8] ، لكنّه لم يقدم على أمر بهذه الخطورة حتى يعرض الأمر على مجلس شوراه المتكون من الفقهاء و يستفتي أكبر عدد من الفقهاء سواء من **المغرب** أو **الأندلس** ليطمئن لسلامة موقفه بمطابقته لشرع الله[9]، حيث بعث

---

[1] ابن بلقين ، المصدر السابق، ص109؛ عباس سعدون نصر الله ، المرجع السابق،ص ص 112-113

[2] عباس سعدون عبد الله ، المرجع السابق،ص113

[3] ابن بلقين: **المذكرات** ، ص109.

[4] ابن بلقين، المصدر السابق، ص109.

[5] ابن بشكوال أبو القاسم خلف ابن عبد الملك: **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة –بيروت، 1989م، ج1،ص157.

[6] ابن عطية المحاربي: **الفهرس**، تحقيق أبو الأجفان ومحمد الزاهي،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت1980م،ص125.

[7] بن بية محمد محمود عبد الله: **الأثر السياسي للعلماء في عهد المرابطين**، ص ص 153 - 154.

[8] المراكشي عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص ص97- 98.

[9] بن بية محمد محمود عبد الله، المرجع السابق،ص154.

رسائل يستفتيهم في هذا الشأن ، فأفتاه الجميع بجواز خلعهم وإزالتهم[1] ،بسبب ظلمهم لشعوبهم وحكمهم على غير سنة **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ومحالفتهم لعدو الدين وقعودهم عن الجهاد[2]، وإعانتهم للعدو على محاربة إخوانهم المسلمين و بالتالي وجب عليك خلعهم لأنهم خائنين لدين الله[3] ، من بينهم القاضي" **يوسف بن عيسى المعروف بابن ملجوم**"[4].

كما طلبوا منه استفتاء كبار العلماء **بالمشرق** ، فبعث إليهم يستفتيهم وكان رسوله في ذلك "**الفقيه أبو بكر بن العربي المعافري** "،فجاءت فتواهم مؤيدة وموافقة لفتاوى علماء **المغرب** و **الأندلس**[5]،من بينهم "**الإمام أبو بكر الطرطوشي**"، و "**الإمام أبو حامد الغزالي**"[6] الذي أفتى بأنهم خانوا الأمانة وجاوزوا الحدود كما قال في شأنهم : يجب على **يوسف بن تاشفين** قتال هؤلاء المتمردين لاسيما و قد استنجدوا بالنصارى"[7].

هكذا حاز **يوسف بن تاشفين** ثالث جواز له إلى **الأندلس** [8]بقصد الجهاد بعد أن اطمئن إلى سلامة قراره في إزاحة هؤلاء الأمراء وكان ذلك **عام 483هـ /1091**م[9].و بدأ المرابطون بأمير

---

[1]ابن خلدون: **العبر** ،ج6،ص187.

[2]العروي عبد الله :**مجمل تاريخ المغرب**،ص125.

[3] ابن الكردبوس: **الاكتفاء**، ص ص97-98؛ بن بية محمد محمود عبد الله، المرجع السابق،ص152.

[4]مؤلف مجهول، **بيوتات فاس الكبرى**،(**شارك في تأليفه ابن الأحمر**)، دار المنصور للطباعة الوراقة ، الرباط،1972م، ص15.

[5]حسن أحمد محمود، الرجع السابق،ص262.

[6]العروي، المرجع السابق،ص125؛ المالقي: **الأحكام** ،ص27

[7]أبو بكر بن العربي: **شواهد الجلّة** ، دراسة وتحقيق محمد يعلى،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،الوكالة الإسبانية للتعاون **الدولي**، مدريد1996م ص303؛ نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، دار الأمير الدولية للثقافة والنشر، بيروت، 1995م ، ج2،ص267،

[8]ابن أبي زرع ، المصدر السابق ص 99؛ مؤلف مجهول: **الحلل الموشية** ،ص71.

[9] السلاوي، المصدر السابق، ج2،ص 225؛ حسن مؤنس:**الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين و سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م** مع أربعة وثائق جديدة، المكتبة الثقافية الدينية ، مصر 1992م ،ص7؛ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص ص 118-119.

غرناطة عبد الله بن بلقين[1] صاحب المذكرات التي أوصلت لنا الكثير من المعلومات و الحقائق حول ما كان يدور في هذه الفترة ، ولقد كان هذا الأخير من أكثر أمراء الأندلس خيانة و تآمرا و اتصالا بالعدو[2] ، بعدها توجه إلى **مالقة**[3] ،فاستسلم أميرها **تميم بن بلقين** وسلّم مدينته[4] .

أما المرحلة الثانية فكانت بتوجيه ضربة إلى أمير **إشبيلية المعتمد بن عباد** الذي تريث في شأنه ومنحه فرصة جديدة لتصحيح أخطائه بتطبيق أحكام الشرع وإلغاء المغارم و المكوس والتزام الجهاد ومدافعة النصارى غير أنه امتنع عن ذلك[5]، الأمر الذي جعل أمير المرابطين يدخل اشبيلية بالقوة و يلقي القبض على أميرها و ينفيه إلى **المغرب سنة484هـ/1092م**[6] ،و واصل المرابطون خطتهم التوحيدية فسقطت في أيديهم **المرية**[7] سنة **484هـ/1092م**، ،ثم اتجه جيش المرابطين إلى **بطليوس** ،وكان أميرها يومئذ "**المتوكل بن الأفطس**" فسقطت هي الأخرى في أيديهم[8].

إنّ عدم وفاء أمراء الطوائف للرعية الأندلسية وخيانتهم لها ،و استعانتهم بالعدوان المسيحي على بعضهم البعض كان أقوى مبرر استغلّه المرابطون للتخلّص من هؤلاء الأمراء و تلك الممالك الضعيفة حيث لم يبقِ "**يوسف بن تاشفين**" إلا على **إمارة سرقسطة** التي حرص على مهادنة أميرها

---

[1] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص71؛ عنان عبد الله: **دول الطوائف**، ص ص 328-329.

[2] عقد **عبد الله بن بلقين** في ظلّ هذه الظروف معاهدة مع **ألبير هانس** و أخرى **مع ألفونسو** ودفع له مالا كبيرا كجزية و لم ينكر على نفسه هذه الصلة ولم يحاول نفيها في مذكراته بل حاول أن يبرر موقفه بحجج لا أساس لها.أنظر عبد الله بن بلقين، المصدر السابق،ص120و ما بعدها؛ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ،263.

[3] شوقي أبو خليل: **الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين**،ص61.

[4] ابن بلقين ، المصدر السابق ،ص 162؛ عباس سعدون نصر الله، المرجع السابق،ص120.

[5] ابن بلقين، نفس المصدر ،ص 169؛ بن بيّة محمد محمود عبد الله :**الأثر السياسي للعلماء في عهد المرابطين**، 158

[6] **أنظر تفاصيل أكثر حول إسقاط أمراء الطوائف** ، هارون، المرجع السابق، ص157وما بعدها.

[7] ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله: **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة1974م ،مج 2، ص119؛ المصري جميل عبد الله، المرجع السابق ،ص 201؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق ،ج2 ،ص 731.

[8] ابن الخطيب ، نفس المصدر، ص185؛ شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 66.

"**المستعين أحمد بن هود**"[1] ، وذلك لوقوعها على حدود النصارى وحتى تكون بمثابة خط دفاعي أمام أي هجوم أو خطر مسيحي مفاجئ[2].

إن الملاحظ من خلال ما قدم من أدوار المرابطين **بالأندلس** أنّ الفقهاء كان لهم أثر كبير خلال هذه المرحلة بالذات وإن لم نلمس مواقف بارزة **لمحمد بن رشد الجد** خلال هذه المرحلة (فترة حكم **يوسف بن تاشفين**) على خلاف المرحلة الثانية أي (فترة **علي بن يوسف**) التي سيظهر فيها زعيم علماء عصره مما سيأتي توضيحه في الفصول التالية.

فإذا كانت هذه نشاطات الفقهاء و العلماء في الجانب السياسي خلال عصر ابن رشد الجدّ فإلى أي مدى وصلت نشاطاتهم العلمية ؟

---

[1] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**،،ص ص74-75؛ جميل عبد الله المصري،المرجع السابق، ص204؛ عبد العزيز سالم:**المغرب الكبير**، ج2، ص732؛ العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، ص125.

[2] حسين مؤنس: **الثغر الأعلى الأندلسي**، ص16.

2. مظاهر الحركة العلمية في الأندلس خلال عصر ابن رشد الجد.

أ. العلاقات العلمية بين المشرق والأندلس:

كان العالم الإسلامي في القرن **5هـ/11م** يمثل ثقافة وكيانا فكريا واحدا، فالإسلام ساوى بين المسلمين على خلاف أجناسهم وأزال ما بينهم من حواجز رغم تعدد الكيانات السياسية في العالم الإسلامي، **كالعباسيين في المشرق** و**الفاطميين في مصر** و**الأمويين** ثم **ملوك الطوائف** و**المرابطين بالأندلس**، إلا أنّ ذلك لم يمنع من حرية التنقل بين الأمصار الإسلامية، فلم تكن هناك أنظمة و قواعد تحول دون التنقل بين أجزاء العالم الإسلامي، وهو ما سهل لفئة العلماء من تحصيل العلم و المعرفة في أي قطر من الأقطار، فالدارس لهذا الجانب من الحركة العلمية يلحظ رحلة عدد كبير علماء الأندلس إلى **المشرق** وانتقال عدد كبير من علماء المشرق إلى **الأندلس**[1].

ومما لا شك فيه أنّ لهذه الرحلات أثر كبير في نهوض العلوم و الآداب في **الأندلس** ، ويظهر هذا الأثر في عصر الدولة الأموية **بالأندلس** خاصة، وما إن وصل إلى عصر الطوائف و المرابطين حتى ضعف هذا الأثر وخفّ تياره، وهذا الأمر راجع بالذات إلى ما وصلت إليه الحركة العلمية **بالأندلس** في عصر **بن رشد الجد** من رقي وتطور، فقد بلغت أوجها مما لفت الأنظار إلى أنّ في **الأندلس** من العلم و المعرفة ما يغني عن السعي إلى **المشرق** ،أو على الأقل محاولة التخفيف من الاعتماد على علماءهم بعدما عرفته **الأندلس** من ازدهار في حضارتها، و هذا الأمر يعطينا تفسيرا واضحًا لظهور علماء و فقهاء أندلسيين ليس على مستواها فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي كله **كابن حزم الظاهري و ابن عبد البّر النمري و ابن رشد الجد** رغم أنهم لم يرحلوا إلى **المشرق** للأخذ من علمائه[2].

---

[1] البشري ،سعد بن عبد الله : **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**،ط1، الرياض 1993م ، ص 168؛ عبد الواحد دنون طه:**دراسات أندلسية**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ،لبنان، 2004م،ص ص190-191،

[2] البشري، نفس المرجع، ص169.

ولكن بالرغم من ذلك فلقد ظل الأندلسيون و خاصة علماء الدين من فقهاء ومحدّثين وقراء وعلماء بالأصول على اتصال **بالمشرق الإسلامي**[1]، نذكر من بين هؤلاء العلامة **ا"لفقيه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ/1082م)**"، الذي كانت له رحلة طويلة إلى المشرق قصد بها **بغداد** التي أقام بها ثلاث سنوات يتلقى العلم من فقهائها و محدثيها "**كأبي إسحاق الشيرازي**" وغيرهم، كما أقام **بالموصل** حيث أخذ عن علمائها علم الكلام و كان من أشهر من أخذ منه "**الخطيب البغدادي**" الذي أخذ بدوره عن **الباجي**، ولقد بقي على هذه الحال ما يقارب ثلاثة عشر عامًا في **المشرق** يحصل العلم إلى أن عاد إلى **الأندلس** موسوعة علمية ضخمة في مختلف العلوم من حديث وفقهه وعلم الكلام [2]. ولقد تشرّب أثناء رحلته تلك ألوان الصبر و الجلد في سبيل تحصيل العلم حيث قال عنه **ابن بسام**:" دخل **بغداد** و الحرمان قد كساه سرابيل ورماه بطير أبابيل"[3]، كما أنّه كان يقوم بحراسة الطرق **ببغداد** مقابل أجرٍ يعينه على ظروف عيشه، وحدّث أصحابه أنه كان يأتي إلى حلقات العلم في يده أثر المطرقة حيث كان يضرب ورق الذهب للغزل، ولكنه بعد أن عاد إلى **الأندلس** انتشرت سمعته وعلت مكانته و منزلته بين الرؤساء و الملوك[4].

وكان" **لأبي الوليد الباجي**" دورًا كبيرا في ازدهار الدراسات الفقهية و العلوم الإسلامية بشكل عام ، كما أنه انتصر للمذهب المالكي أمام منافسه القوي "**ابن حزم الظاهري**" ، وكان لهما مناظرات علمية اشتهرت في أوساط العلم وانتشرت بين العلماء، وخلف الباجي عددًا من المصنفات سنشير إليها عند الحديث عن تطور الحركة الفقهية خلال هذا العصر، و الجدير بالذكر أن نشير إلى

---

[1] عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق،ص192.

[2] المقري : **نفخ الطيب** ، مج2، ص ص 71-72 ؛ الداوودي ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد: **طبقات المفسرين**، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ، ج1، ص ص 203-204.

[3] ابن بسّام، المصدر السابق، ق2،ج1، ص ص98-99.

[4] عياض: **ترتيب المدارك** ،مج2، 347 وما بعدها.

نقطة هامة في رحلته، وهي أنّ علامة **المشرق** وحافظه "**الخطيب البغدادي**" لم يمنعه علمه وسعة معرفته أن يأخذ أيضا عن **الباجي** بعض علومه و معارفه، وهذا فيه إحالة إلى مكانته وغزير علمه[1].

ورحل إلى **المشرق** أيضا من علماء **الأندلس أبو بكر محمد عبد الله بن العربي** (**468هـ-543هـ /1076م-1149** م)و كان آنذاك شابا يافعا ورافقه في رحلته والده الذي حرص على أن ينال ابنه مزيدًا من العلم و المعرفة بلقاء علماء **مصر** ، **الشام** و **العراق**، و قد اكتسب **أبو بكر** في رحلته المذكورة كثيرًا من العلم وعاد إلى وطنه بعد أن برع في الفقه و الحديث وعلوم القرآن[2] ، و مما تذكر المصادر عن رحلته العلمية و إقامته في **المشرق** أنه كان يحفظ خلال إقامته في العراق كل يوم سبع عشر ورقة[3] ،وقد بلغ من تحصيله للعلم و المعرفة وم ما أخذه من علماء وفقهاء **المشرق** أن قال :"كلّ من رحل لم يأت بمثل ما أتيت من العلم إلاّ **الباجي**".[4]

ولمـّا رجع **ابن العربي** إلى **الأندلس** توجه إليه العلماء و طلبة العلم آخذين عنه كثيرا من علمه و معارفه واستطاع بفضل ذلك بث روح نشطة في ميدان الدراسات الدينية ، وذاعت شهرة مجالسه وخصوصا مجلسه الذي ألقى فيه كتابه" **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**"، كان وهذا المجلس يشهد إقبالا كبيرًا جدًا من علماء و طلبة **قرطبة** و غيرها من مدن **الأندلس** الأخرى[5].

---

[1] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق، ص170.

[2] القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي: **الغُنية، فهرسة شيوخ القاضي عياض**،(**467هـ-544هـ/1083، 1149م**)تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت.1982م ، ص ص66-67 ؛ ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري :**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ، د.ت ،ج2، ص 252وما بعدها.

[3] الضبي، محمد بن يحي بن عميرة: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**،تحقيق إبراهيم الأبياري،ط1 ،دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني،القاهرة- بيروت،1989م، ج1، ص125وما بعدها.

[4] المقري: **نفخ الطيب**، ج2،ص 29.

[5] الضبي ، المصدر السابق، ص125.

ومن أعلام الراحلين إلى **المشرق** في هذا العصر "**عبد الله بن محمد التجيبي السرقسطي (ت513هـ/1120م)**"،الذي رحل إلى **مصر** و **الحجاز** و **العراق** و **الشام** وحصّل علوما كثيرة وأخد من علماء **المشرق** علوم الشريعة ، ولمّا لمع نجمه في تلك المعارف طلب إليه شيخه **الباجي** أن يخرج **صحيح البخاري** لما عرف عنه من البراعة في علم الحديث مع إجادة اللغة[1]. وإلى المشرق أيضا توجه العلامة الأديب المحدّث الشاعر، "**أبو حفص عمر بن الحسن الهوزي** " وكان موصوفا بالعلم والأدب وقال عنه ابن بسام أنه :"كانت تضيق عن فخره الآفاق و تتهادى عجائب ذكره **الشام** و**العراق**"[2]،التقى أبو حفص بعدد من العلماء و الفقهاء و روى في رحلته تلك "**كتاب الترميذي**" في الحديث وعنه أخذه أهل **المغرب**[3].

وممن اشتهر أيضا باتساع رحلاته و تنقلاته إلى **المشرق** ،العلامة "**الحسن بن إبراهيم بن محمد الجذامي المالقي**"[4]، الذي خرج من بلده فسمع **بالإسكندرية** ثمّ رحل عنها إلى **مكة** فسمع بها ومنها اتجه إلى **بغداد** فأخذ من شيوخها ثمّ قصد **أصفهان** و دخل **خرسان** ثمّ **نيسابور** و أقام بها وكان عالما بارعا في الحديث و الأدب و اللغة[5].و اشتهر العلامة "**محمد بن احمد بن إبراهيم الخزرجي الجياني بالبغدادي**" لطول إقامته بغداد أثناء رحلته إلى **المشرق** ، و قد لقي فيها عددا

---

[1]ابن الأبار: **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي** ، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، دار المصري- دار الكتب اللبناني، القاهرة، بيروت 1990م، ص ص209 -210.

[2] ابن بسام ، المصدر السابق، ق2، ج1،ص82.

[3] نفسه.

[4] يكنى بأبي علي روى **بقرطبة** عن **أبي محمد بن عتاب** وعن **أبي سكرة الصدفي بمرسية** ،كما صحب **أبا مروان بن مسرة**، وقدكان من أهل العلم والرواية والتقييد وكانت له رحلة إلى **المشرق** سمع عن علمائها. المقري ، المصدر السابق، ج2، ص508.

[5] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق، ص172.

كبيرا من الفقهاء منهم "**علي بن محمد الطبري**"، و اخذ عنه مصنفاته وأدخلها **الأندلس** منها **كتاب "أحكام القرآن** "،و كتاب" **الرّد على أحمد بن حنبل"**[1].

أما فيما يخص علوم اللغة و النحو فلقد ارتحل "**عبد الله بن حمود الزبيدي"**[2] إلى **المشرق** حيث صحب "**أبا علي الفارسي"** في مقامه و سفره، وأكثر من الأخذ عنه حتى روي أنّه خرج لصلاة الفجر يوما، ففوجئ بخروج "**عبد الله بن حمود** "من مزود كان لدابته خارج منزله، وكان عبد الله قد قضى ليلته فيه ليبكر في حضور مجلسه قبل حضور الطلبة الآخرين ، فارتاع أبو علي وقال :"ويحك من تكون قال: **أنا عبد الله بن حمود الأندلسي ، فقال الحاكم تبعتني ؟ و الله ما على وجه الأرض أنحى منك"**[3] ،و لمّا شد رحلة العودة إلى وطنه عن طريق البحر غرقت المركب التي كان فيها قبل وصوله إلى **الأندلس** بيوم أو يومين ، فهلك من كان فيها من بينهم عبد الله ، وغرق معه كثير من كتبه التي جلبها من **العراق.**[4]

وفي ميدان الطب و الهندسة رحل إلى **المشرق** العلامة و الرياضي "**عمرو بن عبد الرحمن الكرماني** (**458هـ/1066م**)، حيث توجه إلى **كرمان** فدرس فيها الهندسة و الطبّ و جلب معه **رسائل إخوان الصفا**، و نقله لهذه الرسائل خطوة عظيمة في دفع تيار الدراسات الفلسفية في **الأندلس** و توسيع دائرة البحث فيها[5].

---

[1] ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس** ،دار المنصور للطباعة الوراقة ، الرباط 1994م،ق2،ص262.

[2] كان من أصحاب **أبي على البغدادي**، رحل إلى **المشرق** ولم يرجع إلى **الأندلس**، كان من كبار النحاة وأهل المعرفة بالشعر جمع شرحا لكتاب **سبويه**، ويقال أنه توفي سنة **372هـ/982م**، المقري ، المصدر السابق، ج2، ص647.

[3] القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف: **أنباء الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق إبراهيم أبو الفضل ،ط1، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953م، ج2،ص 17-19.

[4] القفطي، نفس المصدر ، ج2،ص119.

[5] إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، ،ص50.

وفي هذا العصر دخل "**كتاب القانون لابن سينا** إلى **الأندلس**" ، فلقد جلب تاجر عراقي نسخة من ذلك الكتاب جميلة الخط زاهية التجليد أتحف **بها "الطبيب أبو العلاء بن زهر (ت525هـ/1113م)**" تقربًا منه و كسب مودته كطبيب ، لكن **أبا العلاء** ما لبث بعد أن تأمل الكتاب أن ذمه و ألقى به و لم يحتفظ به بين كتبه، بل أخذ في تقطيع أوراقه إلى قطع يكتب فيها أسماء الأدوية لمرضاه[1].

أمّا فيما يخص الرحلة إلى **الأندلس** من أهل **المشرق** ، فلقد كانت نشطة و موجودة في هذه الفترة بالذات وهذا ما يظهره "**أحمد المقري التلمساني**" في كتابه "**نفخ الطيب**" الذي كتب فيه فصلا لمن دخل **الأندلس** من أهل **المشرق** قال فيه:"و اعلم أنّ الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان عنهم فضلا عن غيرهم و منهم من اتخذها موطنا، وصيرها سكنًا إلى أن وافته المنية ومنهم من عاد إلى **المشرق** بعد أن قضيت **بالأندلس** أمنيته".[2]

ومن المشاهير القادمين إلى **الأندلس** قبل هذا العصر "**أبو علي القالي**"[3] الذي أسهم بدورٍ فعال وكبير في نشاط الدراسات الأدبية و اللغوية بعلمه الواسع و براعته في تلك العلوم، وبالكتب اللغوية والأدبية التي أدخلها معه إلى **الأندلس** على السواء[4].

وفي **القرن 5هـ/11م** دخل **الأندلس** مجموعة من العلماء طمعا في نيل المكانة و المنزلة الرفيعة في قصور ملوك الطوائف أو قد يكون السبب الاضطرابات السياسية و الاجتماعية في أوطانهم في تلك الفترة و انعدام الاستقرار ،و يأتي على رأس هؤلاء العلامة الحافظ "**أبو زكريا عبد الرحيم بن**

[1] ابن أبي إصبيعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1965م، ص244.

[2] المقري ، **نفخ الطيب**، ج3،ص5.

[3] صاحب **كتاب الأمالي والنوادر**، وفد على **الأندلس** أيام عبد الرحمن الناصر، الذي أمر ابنه **الحكم** أن يستقدم أبي علي إلى **قرطبة** ، ففعل ذلك وسار معه نحو قرطبة موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار،إلا أن بعض المؤرخين يقولون أن قدومه إلى قرطبة كان في أيام الحكم المستنصر. أنظر: المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص70 وما بعدها.

[4] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق ،ص174.

أحمد بن نصر التميمي (**382هـ-471هـ/993م-1089 م**)"، الذي سمع من العلماء والفقهاء من مختلف الأمصار ، ثمّ توجه إلى **الأندلس** و كتب عن شيوخها و كان يحدّث عن مئات من أهل الحديث ، وذكره **ابن عساكر** في تاريخه و أشار إلى سماعه في في **العراق** و**مصر** و**اليمن** و**القيروان**، ودخل **دمشق** فترة من حياته ثم رحل منها إلى **مصر** قبل انتقاله إلى **الأندلس** وكان يقول:" لي **ببخارى** أربعة عشر ألف جزء حديث أريد أن أمضى و أجيء بها"، وأثنى عليه **المقري** فقال فيه:" و الذي اعتقده أنه لم يدخل **الأندلس** من أهل **المشرق** أحفظ منه للحديث [1].

وفي هذه الفترة أيضا دخل **الأندلس** "**ثابت بن محمد الجرجاني**(**ت431هـ/1040م**) " وكان ماهرًا في اللغة و الأدب وحفظ الشعر الجاهلي و الإسلامي، بارعا في علوم الأوائل ولقد كان يجمع فضلا عن ذلك خصالا حميدة كالفروسية و إتقان فنون القتال [2] ، ولقد قام بدور هام في ازدهار الدراسات اللغوية و الأدبية ، بما قدمه من شروح لغوية لكتبه التي دخلت إلى **الأندلس**.

وعن الداخلين **للأندلس** أيضا، "**أبّو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي** (**ت 455هـ/1063م**)"، الذي دخل **المغرب** كرسول للخليفة العباسي "**للمعز بن باديس الصنهاجي**" بعد تركه موالاة الفاطميين ، بعد ذلك خرج إلى **سوسة** ، و ظلّ يتردد على مختلف مناطق **المغرب** ثمّ شد رحاله إلى **الأندلس** عن طريق البحر ، فنزل **دانية** ثم **طليطلة** التي آثر الإقامة بها في بلاط أمير **طليطلة** "**المأمون بن ذي النون**" الذي أعلى مقامه، وكان ذلك **سنة 406هـ/1015م**، ويعد أبّو الفضل أوّل من أدخل كتاب "**يتيمة الدهر للثعالبي**" إلى **الأندلس**[3].

---

[1] المقري : **نفح الطيب**، ج3،ص 63و ما بعدها

[2] ابن بسام: **الذخيرة** ، ق4، ج1،ص124.

[3] نفس المصدر، ق4، ج1،ص88-89.

كما رحل إليها العلامة **نصر بن الحسين بن الأشعث الشاشي** المولود سنة **406هـ/1016م** نزيل **سمرقند** ، كان رجلا ثقة فاضلا،حدّث **بالأندلس** بكتاب **صحيح مسلم** وسمع من علمائها "**أحمد بن عمر بن أنس**" و غيره من العلماء و المشايخ.[1]

وبذلك كان للعلاقات العلمية بين **المشرق** و **الأندلس** أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية والفقهية وتنشيطها ،فلقد كان هؤلاء العلماء الراحلون إلى **المشرق** أو الوافدون إلى **الأندلس** يحملون معهم كثير من العلوم و المعارف المختلفة إلى جانب أعداد كبيرة من المصنفات و الكتب في شتى فروع المعرفة سواء من خلال ما يحمله العالم في صدره من علم و معرفة أو من خلال ما نقله إلى **الأندلس** من كتب قيمة . و من هنا لا ضير إن وجد **بالأندلس** من نبغ من العلماء و لم تكن لهم الرحلة إلى **المشرق**.

ب ـ النضج العلمي للأندلس و ظهور الاجتهاد و النظر في الأصول:

إنّ الرحلات العلمية المتبادلة بين **المشرق** و **المغرب** لها فضل كبير على ازدهار الحركة العلمية في **الأندلس** في مختلف المجالات ،ولكن هذا الدور الذي قام به المشارفة في بناء الكيان الفكري لها قد قاد العديد من العلماء إلى سلوك نفس المنهج العلمي و الأدبي لإخوانهم المشارقة فقلّدوهم في كثير من الأحيان وكأنهم فقدوا الثقة في استقلاليتهم و تميزهم العلمي و الثقافي [2]، و لهذا الأمر تألم مؤرخ الأندلس و أديبها الكبير **ابن بسام** وحزت في نفسه هذه التبعية الثقافية **للمشرق الإسلامي** فقال في مقدمته:" .... ومازال في أفقنا هذا الأندلسي القصيّ إلى وقتنا هذا من فرسان الفَنّيْن وأئمة النّوْعين ،قوم هم طيب مُكاسر وصفاء جواهر و عذوبة موارد ومصادر ... إلاّ أنّ أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل **المشرق**، يرجعون في أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، و طّن بأقصى **الشام** و **العراق** ذباب لحثوا على هذا صنماً و تلوا ذلك

---

[1] الضبي : **بغية الملتمس** ،ص 476.

[2] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق،ص 179.

كتابا محكماً ،فغاضني منهم ذلك و أنفت مما هنالك فأخذت بنفسي ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن بلدي و عصري غيرةً لهذا الأفق الغريب"[1].

لقد كان هذا الشعور الصادق من **ابن بسّام** في تلك العبارات أكبر رد فعل ضد تقليد الأندلسيين الأعمى للمشارقة، ولم يكن وحده من كان له هذا الرأي بل وجد قبله من سبقه إلى ذلك من بينهم الأديب **أبو عمر أحمد بن فرج الجياني** الذي صنف كتابًا في محاسن أهل زمانه عن وطنه سماه"**كتاب الحدائق**" الذي لم يضمه إلا أشعار و آداب أهل **الأندلس**، وهذا الشعور بالوطنية والقومية نجده واضحًا أيضا عند العالم الكبير **ابن حزم الظاهري** (**436هـ/1045م**)،الذي ألف "**رسالة في فضل الأندلس**"، وقام فيها بذكر علماء عصره ومصنفاتهم ،وقارن ذلك بعلماء **المشرق** وانتهى فيها إلى تفوق علماء وطنه وبراعتهم في شتى حقول المعرفة، وأنهم لا يقلون شأنا عن إخوانهم المشارقة ، وقد ذكر **المقري** هذه الرسالة في كتابه **نفخ الطيب من غصن الأندلس الطيب**[2].

وإذا أردنا إعطاء أمثلة لتقليد الأندلسيين للمشارقة لوجدناها واضحة جلية في الدراسات الدينية و الأدبية ،و لكن ذلك ليس من قبيل التقليد الأعمى الذي لا يميز بين الخطأ و الصواب والحسن والقبيح، فبالنسبة للدراسات الدينية كالحديث و الفقه و علوم القرآن الكريم نجد فيها الكثير من أوجه التشابه بين الدراسات الأندلسية و الدراسات المشرقية، و مما لا شك أنّ هذا راجع إلى وحدة المصدر وهو كتاب الله عزّ وجلّ و سنة **رسول الله صلى الله عليه وسلّم** ، فما دام المصدر واحدًا لدى علماء **المشرق** و**الأندلس** ، فمن الطبيعي أن تكون النتائج متشابهة و متقاربة. أما بالنسبة للأدب العربي بشكلٍ عام فهو يستند في كيانه إلى حضارة واحدة في المشرق و المغرب ولذلك يوجد تشابه كبير بينهما[3].

---

[1] ابن بسّام، المصدر السابق ،ق2،ج1،ص11- 12.

[2] المقري ، **نفخ الطيب**،ج3،ص 156و ما بعدها.

[3] إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة** ،ط2، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان 1969م ،ص39-40.

وقد كتب **المؤرخ ابن حزم الظاهري** رسالته في فضل علماء وطنه و مكانة إنتاجهم العلمي التي نذر مثلها في أقطار **المشرق كفارس ،مصر، اليمن ، الشام**، رغم أنّ شهادته مجروحة لأنّه أندلسي ،إلاّ أنّ ما وصلنا من تآليفهم التي ذكرها في رسالته، يؤكد حقيقة ما وصلت له الأوضاع العلمية بها ، كما تؤكد أنّ **ابن حزم** لم يبالغ في امتداحه للمستوى الثقافي لوطنه.

وفي عصر **ابن رشد** شهدت **الأندلس** أبهى عصورها الثقافية، و ألمس ذلك من آثار علماء عصره حيث اكتملت الشخصية الأندلسية وأصبحت قادرة على إبراز ذاتها في الميدان الفكري، والذي ظهر بصورة قوية و فعالةٍ في عصر ملوك الطوائف و المرابطين[1]،و من الدلائل على ذلك أنني وجدت علماء أندلسين أخذ عنهم أهل **المشرق** علومهم ،و هي ظاهرة مميزة في تاريخ العلاقات بين الطرفين ،ومن هؤلاء **العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد (ت 450هـ/1059م)**[2]، الذي رحل إلى **المشرق** وحدث عن شيخه **إبراهيم بن محمد الأندلسي** ، وسمع منه **الخطيب البغدادي** و أخرج عنه في غير موضع من تأليفه[3].

والعلامة **محمد بن فتوح الأزدي الحميدي (488هـ/1096م)**الذي رحل إلى **العراق** فاستوطن **بغداد** فأفاد بعلمه واستفاد من علمائه، و قال فيه **ابن ماكولا** :"صديقنا الحميدي من أهل العلم والفصل ورد **بغداد** وسمع عن علمائها، وسمع منه خلق كثير"، وتتجلى نزعة الأندلسيين نحو المساواة بالمشارقة و الوقوف أندادا لهم واضحة في سيرة العلامة الفقيه **عيسى بن إبراهيم القيسي الطلبيري (ت 517هـ/1124م)**، الذي رحل إلى **بغداد** و ناظر فيها عددًا من العلماء والفقهاء[4].

---

[1] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق، ص181.

[2] كان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية في طلب العلم ،كتب **بالأندلس** كثيرا ثم رحل إلى **المشرق** فأفاد واستفاد.الحميدي ، أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي : **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،** تحقيق دار إحياء التراث ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966م ،ص317،

[3] نفسه.

[4] ابن بشكوال : **الصلة،** ج2،ص440.

و يدل ذلك على المستوى الرفيع الذي وصل إليه علماء **الأندلس** حيث أصبحوا في ذلك العصر أهلا لأن يردوا بعض فضل **المشرق** عليهم ، فيرحلوا لا ليأخذوا العلم فقط و إنما لعرض علمهم أيضا، فلقد تفوق علماء هذا العصر في جميع المجالات ونبغوا أكثر ممّن سبقهم في عصر الخلافة فعندما دخل العلامة الحافظ **عبد الرّحيم بن أحمد التميمي البخاري (ت 471هـ/1078م)** **الأندلس** دهش لكثرة علمائه وعلومهم ومعارفهم الوافرة في علم الحديث والفقه ووجد نفسه مرغمًا على الأخذ عنهم و السماع على البارزين منهم، رغم أنّ **المقري** قطع على أنّه لم يدخل **الأندلس** مشرقيٌّ أحفظ منه للحديث [1].

و**الحافظ السلفي أحمد بن محمد بن أحمد (ت 576 هـ /1180م)** رغم تضلعه في الحديث و مهارته فيه، فقد أوصى صديقه **علي بن إبراهيم بن يوسف الأنصاري** أن يأخذ له عددًا من علماء وشيوخ **الأندلس كابن عتاب و ابن رشد** و غيرهم[2] ، وهذا فيه دلالة واضحة على تطلع المشارقة إلى **الأندلس** و اعترافهم بقدرها العلمي .

فلقد سار الأندلسيون في هذا العصر نحو ترسيخ قواعد الاستقلال العلمي لشخصيتهم ومحاولة تثبيت الإطار المميّز لها في خضم العلاقات العلمية بين وطنهم و**المشرق** ،و السعي إلى التقليل الفكر المشرقي، و هذا الأمر يلفت إلى قيمة أثار الأندلسيين وأهمية إنتاجهم، لكن هذا لا يعني أنّ **الأندلس** أصبحت مستقلة عن **المشرق** ،واكتفت ببناء شخصيتها بالاعتماد فقد على أبنائها، بل ظل التواصل الثقافي بينهما مستمرا رغم أنّ تياره ضعف بداية **من القرن 5هـ/11م**[3].

إنّ هذا الأمر طبيعي لأنّ **الأندلسَ** اختلف وضعها الثقافي عن قبل، فبعد أن قضت ما يقارب ثلاثة قرون في الأخذ عن أهل **المشرق** و الاعتماد عليهم ، أحست خلال القرن 5هـ

[1] المقري ، **نفخ الطيب**، ج3، ص64.

[2] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق ،ص 184.

[3] للمزيد من التفاصيل أنظر: البشري، نفس المرجع ،ص184.

/11م بالنضج العلمي و الحضاري ، فتوجّهت لتعميق معالم شخصيتها، وإبراز ذاتها بين بقية الأقطار الإسلامية، حتى وجد خلال هذا القرن علماء انتشرت سمعتهم بالرغم من أنهم أخذوا علومهم و معارفهم من علماء وطنهم ،ولم تكن لهم أي رحلة إلى المشرق[1] ، فهم و إن كان من مميّزات هذا عصرهم الحرص على تتبع الشيوخ و أخذ الفقه المالكي عنهم جيلا عن جيل متمسكين به أحيانا إلى درجة التعصب، فقد وجد منهم من كان مجتهدا ، نظر في الأصول ، وفهم النصوص فهمًا جيدًا،"**كابن حزم الأندلسي**" و" **الباجي**" ، فضلا عن"**ابن رشد الجد**" الذي امتاز بحسن الفهم للمذهب المالكي و تطبيقه في إجاباته و قضاياه، و أمثال **أبو بكر بن يحي بن الجد الفهري** الإمام المشاور الحافظ الذي كان مذهبه النظر في الحديث والفقه، [2] ،و**أبو المطرف عبد الرحمن بن القاسم الشعبي المالقي** الذي كان كبير العلماء في الفتيا والرواية ،و كان يحفظ عن ظهر قلب **الموطأ و المدونة،** فلما تولى القضاء تصرف في الأقضية، وذهب في ذلك مذهب العلماء المجتهدين، كما نظر في الأحكام ، ففلم يقيده حفظه بالتقليد، و إنما كان يتصرف ويجتهد في مشكلات عصره[3].

---

[1] من بينهم **ابن حزم،** المؤرخ و الأديب ، الفقيه الأصولي الذائع الصيت، **وابن عبد البرّ النمري** حافظ الأندلس لوقته، و **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد** ،فقيه الأندلس على الإطلاق.

[2] مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،** خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد الخيالي ، ط1، دار الكتب العلمية، 2003م ،ج1، ص229.

[3] التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ،ط2، منشورات دار الكاتب ، طرابلس 2000م،ص237-238.

ج ـ المكتبات و جمع الكتب:

كان من نتائج ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر انتشار المكتبات العامة والخّاصة انتشارا ملحوظا، حيث أصبحت كل مدينة أندلسية يتنافس أمراؤها في امتلاك الكتب النفيسة والدواوين النادرة التي كانت تصل إلى **الأندلس** من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، من بينها **قرطبة**[1] التي امتازت زيادة عن المدن الأخرى بكونها أكبر مراكز العلم و أهم مواطن للدراسات الممتازة النادرة، حيث ذاع صيّت أهلها و شغفهم بالكتب و نفائسها و الظفر بنوادرها حتى اعتبروا أشد الناس اعتناءً بالكتب بل إنّ البعض منهم لم يكن من أهل العلم وكان يسعى لشراء الكتب و إنشاء المكتبات الكبيرة في منزله، حتى يقال لدى فلان خزانة كتب تباهيا بذلك[2] .

وقد عرفت **قرطبة** الكثير من الألوان العناية بالكتب حيث كان سوق كتبها يشهد الكثير من الباحثين عن نفسائها، و يروي **موسى بن سعيد** قصة وقعت لبعض أصدقائه يدعى **الحضرمي** أنّه قال:" أقمت مرةً في **قرطبة** ولا زمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخطٍ فسيح وتفسير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إليّ المنادي بالزيادة علي إلى أن بلغ فوق حدّه فقلت له :يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه و قلت له : أعز الله سيّدنا الفقيه إن كان لديك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده فقال لي: لست بفقيه و لا أدري ما فيه لكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمّل بها بين أعيان البلد، و بقي فيها موضع يتسع لهذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخطّ ،جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد الله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير ، **فقال الحضرمي** : فأحرجني و حمّلني على أن

[1] المقري ،**نفخ الطيب**، ج2،ص146 و ما بعدها؛ المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص456 وما بعدها.

[2] المقري، نفس المصدر ، ج1،ص462-463؛ ليفي بروفنسال ، المصدر السابق ،ص65؛ البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق،ص 187.

قلت له :نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلاّ عند مثلك، يعطى الجوز من لا له أسنان، و أنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني و بينه...."[1]

من أجل ذلك اجتذبت **قرطبة** إليها أمراء الطوائف و المرابطين على السواء، فكانت محلّ أطماعهم ففكروا الاستيلاء عليها وضمها إليهم ليتم لهم أسباب العظمة باستحواذهم على عاصمة الخلافة[2] ، ومن أثر احتلال **قرطبة** مركز الصدارة في نظر أمراء الطوائف ما روي عن **أبو الوليد محمد بن جهور**(**ت 462هـ/1070م**) أمير **قرطبة** أنّه قال:" وردت عليّ من الكتب في يوم واحدٍ كتاب **ابن صمادح** صاحب **المرية** يطلب جارية عوادة، و كتاب من **ابن عباد** يطلب جارية زامرة وكتاب من **سواجات**[3] صاحب **سبتة** يطلب قارئا يعلم القرآن، فوجهت إليه من طلبة **قرطبة** رجلا يعرف بعون الله **نوح**"، ولقد علّق **ابن جوهر** على هذه الطلبات منتقدا و متعجبا بقوله :" جاهل يطلب قارئًا وعلماء يطلبون أباطيل"[4].

ولم تكن **قرطبة** وحدها في ميدان الاهتمام بالكتب و جمعها بل نافستها مدن أخرى في هذا النشاط ، و من تلك المدن **إشبيلية** التي شهدت في عهد **بني عباد** نهضة علمية كبيرة جدًا، فكان بها سوق خاص بالكتب تباع فيه جميع الكتب في شتى حقول المعرفة[5] ، هذا فضلا عما حوته من

---

[1] المقري: **نفح الطيب**،ج2،ص11؛ خوليان ريبرا ،**التربية الإسلامية في الأندلس،أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة طاهر أحمد مكي،ط2، دار المعارف ،القاهرة، 1994م، ،ص ص 171-172؛ كما نقل لنا المقري مناظرة جرت على العهد **الخليفة الموحدي المنصور** بين **الفقيه أبي الوليد بن رشد الحفيد و الطبيب بن زهر** ، فقال **ابن رشد لابن زهر** في تفضيل قرطبة : "ما ادري ما أقول غير أنّه إذا مات عالم **باشبيلية** ، فأريد بيع كتبه، حملت إلى **قرطبة** حتى تباع فيها، و إن مات مطرب في **قرطبة** ، فأريد بيع آلاته حملت إلى **إشبيلية**". أنظر المقري ، نفس المصدر،ج1،ص205.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق ،ص 74.

[3] هو مولى **يحي بن علي حمود** حاكم **سبتة** اشتراه من قبيلة **برغواطة** وهو طفل صغير، فحظي عنده بمكانة هامة ولما سار يحي بن علي لأندلس تركه خلفا له .انظر : ابن عذاري ،المصدر السابق ،ج3،ص250.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، 250.

[5] البشري سعد بن عبد الله، المرجع السابق، ص190.

الوراقين حتى نسب إليهم أحد شوارعها الكبيرة حيث سمي بشارع الوراقين[1] ،كما احتوت على مكتبتهم الملوكية الكبيرة [2]، كما كانت **بطليوس** في ظل **بني الأفطس** معروفة بتقدمها العلمي والثقافي واشتهرت **طليطلة** بكونها مركز البحوث العلمية ،كما اشتهر **بنو ذي النون** بجمعهم للكتب و كانت لديهم مكتبة عظيمة[3]، و**المرية** كانت من المدن المشهورة بمكانتها العلمية حيث كان وزير **زهير العامري أبو جعفر أحمد بن عباس**[4] ، فضلا عن علمه الواسع من هواة جمع الكتب حيث احتوت مكتبته الخاصة على أربعمائة ألف مجلد[5]، و قد أورد **الضبي** في ترجمته **لعبد الله بن حيان الأروشي (ت 409هـ/487هـ)**[6]، الفقيه المحدث نزيل **بلنسية** أنّه كانت له همة في اقتناء الكتب و جمعها وأورد أنّ **ابن ذي النون** صاحب **بلنسية** أخذ كتب **الأورشي** من داره وسيقت إلى قصره ....وقيل أنّه أخفى منها الثلث [7]".

كما وجدت ظاهرة استنساخ المؤلفات لاقتنائها والاستفادة منها عند أغلب علماء العصر فكثيرًا ما تجد في كتب التراجم عبارات دالة على ذلك أمثال "**جيد الخطّ**" "**حسن التقييد**" و"**كتب منها كذا و كذا** "إلى غير ذلك ، وقد ورد في ترجمة **المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني(ت547هـ/1153م)** أنّه "كان ملوكي الأدوات سامي الهمّة نزيه النفس راغبا في العلم منافسا في الدواوين العتيقة و الأصول النفيسة، جمع من ذلك ما عجز أهل زمانه[8]."

---

[1] خوليان روبيرا، المرجع السابق،ص178.

[2]التليلي ، المرجع السابق، ص 47.

[3]نفسه.

[4] ابن بسام ،المصدر السابق ق1،مج2،ص 151 و مابعدها.

[5] ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1964م ،ج2،ص206.

[6]الضبي ، **بغية الملتمس**،ص343و ما بعدها.

[7]الضبي، المصدر السابق، ص343.

[8] ابن الأبار، **المعجم**،ص199.

كما ورد في ترجمة **أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية** صاحب" **الوجيز في التفسير**" أنه "كان سريّ الهمة في اقتناء الكتب"[1].

ومن الظواهر الفريدة من نوعها في هذه الفترة ، أنّ بعض العلماء كان يوقف ما لديه من الكتب على طلبة العلم، و هي طريقة بلا أدنى شك من أعظم الخطوات الإيجابية في الحركة العلمية ومن هؤلاء العلماء **محمد بن عيسى التجيبي الطليطلي** (**485هـ/1093م**) ، الذي أوقف كتبه على طلبة العلم[2] .

يعتبر هذا المجال من النشاط العلمي المتمثل في الاهتمام الكبير بالكتاب و السعي في اقتناء الكتب و إنشاء المكتبات، و بذل الجهد الكبير في تحقيق هذه الرغبة السامية سواءً من قبل العلماء أو أفراد المجتمع أو أمراء العصر من أزهى الصفحات المشرقة في تاريخ الفكر الأندلسي ومن هنا لا بأس إن وجدنا من العلماء و الفقهاء **بالأندلس** من بلغ أسمى درجات العلم ليس على مستوى الأندلس فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي .

---

[1] مخلوف، المصدر السابق، ص 174 و ما بعدها.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ج2،ص 558؛ البشري سعد بن عبد الله ، المرجع السابق، ص 196.

3 ـ تطور الحركة الفقهية بالأندلس خلال عصر ابن رشد:

أ ـ في عصر ملوك الطوائف:

بالرغم من الضعف العسكري و الانحطاط السياسي الذي منى به المسلمون في **الأندلس** بداية القرن **5هـ/11م** ، فلقد كانت الحياة العلمية خلال هذا القرن قوية ومزدهرة ، و لهذا اعتبر كثير من المؤرخين هذا القرن بمثابة العصر الذهبي بالنسبة للحياة العلمية خلال عصر الطوائف و التي امتد ازدهارها حتى عصر المرابطين ، و مما لاشك فيه أنّ هذا الازدهار العلمي في هذه الفترة بالذات لم ينشأ من فراغ و إنما جاء نتيجة عدد من العوامل التي تضافرت على تهيئة المناخ المناسب لعلّ أهمها:

1ـ الميراث الثقافي الضخم الذي ورثه ملوك الطوائف عن الدولة الأموية، حيث بلغت الحياة العلمية إبان عصر الدولة الأموية **بالأندلس** مبلغا عظيما في جميع مجالات العلم و المعرفة و أصبحت **قرطبة** في عهدهم منارة للعلم و قبلة للعلماء [1]،و قد وصفها **ابن بسام** بقوله :" وكانت منتهى الغاية و مركز الراية...... وبها أنشأت التآليف الرائعة و صنفت التصانيف الفائقة....[2]" .

2 ــ اهتمام ملوك الطوائف بالعلم و العلماء ،حيث كان معظم هؤلاء الملوك من أكابر العلماء والأدباء و الشعراء ، فكانت قصورهم بمثابة منتديات علمية ، و في ذلك تنافسوا في اجتذاب أرباب الفكر حتى أصبح عددا من رجالهم و مستشاريهم و وزرائهم من الأدباء و العلماء[3]. و يمكن أن نذكر من المبرزين في هذا العصر بعض أمراء الطوائف منهم **مجاهد العامري صاحب دانية**[4]و **محمد بن أحمد بن طاهر صاحب مرسية (480هـ/1087م)**[5]، حيث كان **مجاهد** من أكبر علماء

---

[1] التركي عبد الله بن عبد المحسن :**بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ** ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1994م ، ص179.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج1،ص33-34.

[3] التركي عبد الله بن عبد المحسن: **بحوث ندوة الأندلس**،ص192.

[4]الزركلي: **الأعلام**، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1997،ج6 ،ص162.

[5] الزركلي ، المصدر السابق ،ج6،ص207 و ما بعدها.

عصره في علوم القرآن وكان بلاطه مجمعا لطائفة من أشهر علماء العصر في مقدمتهم **ابن عبد البّر النمري** و **ابن سيده**[1] ، وقد نوّه **بمجاهد العامري ابن عذاري** فقال فيه:" وكان ذا نباهة و رياسة زاد على نظائره من ملوك طوائف **الأندلس** ....منها العلم و المعرفة و الأدب...فقصده العلماء والفقهاء من **المشرق و المغرب** و ألفوا له تواليف مفيدة من سائر العلوم." [2]

وكما كان **المقتدر بالله بن هود** أمير **سرقسطة** متبحرًا في علوم الفلسفة و الهندسة [3] **والمظفر بن الأفطس** أمير **بيطليوس** الذي لم تشغله الحروب و لا الملك عن همة العلم و الأدب حيث ألف في فنون الأدب كتابا قوامه مائة مجلد[4]، كما اشتهر **بنو عباد** في **إشبيلية** بحب العلم والعلماء من بينهم **محمد بن إسماعيل بن عباد** الذي قال فيه **الحميدي** :" كان له في العلم والأدب باع ولذوي المعارف عنده سوق و ارتفاع وكذلك عند جميع آله، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر...."[5].

إلى جانب هذه النهضة الأدبية و الفكرية على العموم ، تميز عصر **ابن رشد الجدّ** بازدهار الدراسات الفقهية و نبوغ جماعة من العلماء ارتفع صيتهم، و علا ذكرهم بين أقرانهم في تفكيرهم ومستواهم العلمي الرفيع ، فنظرا لارتباط هذا العلم بالدين الإسلامي فقد نال من المسلمين الأندلسيين عناية بالغة حيث اعتمدوا في بداية دراستهم الفقهية على المصادر الرئيسية في الفقه

---

[1] هو اللغوي **أبو الحسن على بن سيّدة المتوفى سنة 458هـ/1066م** ، عاش **بدانية** في كنف العالم **مجاهد العامري**، أنظر ترجمته : ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ،ج3، ص17م وما بعدها؛ الضبي، المصدر السابق، ص418 و ما بعدها.

[2] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3،ص 156 و ما بعدها.

[3] التركي عبد الله بن عبد المحسن :**بحوث ندوة الأندلس**،ص133.

[4] المقري: **نفخ الطيب** ،ج3،ص193-194.

[5] الحميدي، المصدر السابق ،ص80.

المالكي "**كموطأ مالك بن أنس**" و "**مدونة سحنون**" و "**واضحة ابن حبيب**" و "**مستخرجة العتبي**" [1] وسوف أتحدث عنهم بإفاضة في الفصل الخامس .

والملاحظ أن العلوم الفقهية حظيت بتقدير الأندلسيين فيتحدث **المقري** عن الفقه لديهم فيقول:" فله عندهم رونق ووجاهة ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك... و سّمة الفقيه عندهم جليلة حتى أنّ الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه "[2]، وبلغ من سمو معرفته و منزلته أنّ صفته كانت تطلق على النحوي و اللغوي لأنها أرفع السمات و أرقى الصفات العلمية لدى العامة[3].

و نشطت الحركة الفقهية **بالأندلس** فظهر ألاف الفقهاء لا يقلون عن كبار علماء **المشرق**، فلقد كان في **قرطبة** وحدها ثلاثة ألاف مُقَلّس وكان لا يَتَقَلّسُ عندهم إلا من صلح الفتيا[4]، ويعود إقبال الطلبة على دراسة الفقه و تعلم مسائله إلى ما كانوا يرغبون فيه من تولي الوظائف الدينية كوظيفة الشورى و القضاء و الحسبة و خطباء المساجد و غيرها[5]،و قد امتاز هذا العصر بأعداد كبيرة جدا من الفقهاء نقتصر على أبرزهم و ما قدموه من إنتاج فقهي و يأتي في طليعتهم الفقيه **ابن حزم الظاهري** [6]، الذي برع في جميع العلوم الشرعية ، فكان آية في نضج الذهن ودقة البحث و عمق التفكير ومصنفاته المتنوعة

---

[1] البشري، المرجع السابق، ص233.

[2] المقري ، **نفخ الطيب**،ج1،ص211.

[3]نفس المصدر و الصفحة

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص520.

[5] البشري، نفس المرجع ،ص235.

[6] أنظر ترجمته: الضبي : **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي،ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص365؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق،ج2،ص ص395-396؛ محمد بن إبراهيم بن جعفر الكتابي: **الاجتهاد و المجتهدين بالأندلس** و المغرب،ط1، تقديم الشريف بن حمزة بن علي الكتابي،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،1425ه/2004م ،ص69 و ما بعدها.

تظهر فعلا سعة اطلاعه وعمق تفكيره حيث كتب وخلّف لنا عشرات من الرسائل و الكتب المتنوعة الموضوعات سواء كانت فقهية أو تاريخية أو فلسفية أهما كتاب " **الأحكام لأصول الأحكام**"،" **كتاب في الاجتماع و مسائله على أبواب الفقه**"،"و**كتاب جوامع السيرة** " وهو عرض لسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و غزواته ذكر أصحابه ومن روى عنهم و"**كتاب جمهرة أنساب العرب**"وهو عبارة عن وثيقة هامة جامعة لأصول القبائل العربية و أنسابها ومن نزل منها **الأندلس** .

كما ألف كتابا في الفقه على مذهبه اجتهاده أطلق عليه اسم "**المحلى**" في ثماني مجلدات ، وكتاب "**نطق العروس**" الذي يضم بين دفتيه سلسلة من النوادر و الحوادث و المقارنات و المناظرات التاريخية[1]، وغيرها كثير سواء في ميدان الفقه أو غيره من العلوم حيث أورد **ابن بشكوال** أنّ **أبو محمد بن حزم**"كان أجمع أهل **الأندلس** قاطبة لعلوم الإسلام و أوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان و وفور حظه في البلاغة والشعر و المعرفة بالسير و الأخبار ...وقال ابنه أنّه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"[2] ، أما من الناحية الفقهية فلقد تغلبت عليه النزعة الظاهرية على سائر بحوثه الكلامية و الفقهية، حيث اعتبر إماما من أئمة الذهب الظاهري[3] ،الذي اشتهر بإخلاصه له إلى درجة تكوين أتباع له، سموا فيما بعد بالحزمية"[4]، و قد أثار بن حزم بآرائه و نظرياته الأصولية خصومات كثيرة إلي درجة اتهم بالزندقة و الخروج عن الدين ،

---

[1] البشري، المرجع السابق، ص238 و ما بعدها؛ التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص90.

[2]ابن بشكوال: **الصلة** ،ج2،ص395.

[3] المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ص34.

[4] أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، 2004م، ج3،ص63.

حيث أحرقت كتبه في **اشبيلية** بأمر **المعتضد بن عباد** و استقر في آخر حياته **بلبلة** إلى أن توفي **سنة 456هـ/1064م**[1].

وممن امتاز بسعة العلم و المعرفة العلامة **الفقيه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري** (**362هـ-460هـ/973-1068م**)،الذي برز في بلاط **مجاهد العامري بدانية** ثم بلاط بني **الأفطس** في **بطليوس**[2] ،كان كبير محدثي **الأندلس**، قدم لنا كثير من روائع إنتاجه و دراسته الفقهية على المذهب المالكي فصنف في ذلك كتابه"**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**" في سبعين جزء، مدحه "**ابن حزم الظاهري**" وذكر أنّه ليس له مثيل في فقه الحديث [3]،كما ألف كتابا سماه " **الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار في شرح ما تضمنه الموطأ من المعني و الآثار**"،كما ألف كتابه "**الكافي**" الذي ضم العديد من المسائل و الآراء الفقهية ، وكتاب في "**اختلاف أصحاب مالك واختلاف رواياتهم عنه** "شمل على أربعة و عشرون جزء [4]، و غيرها من المؤلفات وقد لاقت مؤلفاته من طرف أهل عصره ومن جاء من بعدهم تقدير و عناية أهل العلم حتى أصبحت متداولة في شتى الأقطار .

كما برز في هذا العصر **العلامة الفقيه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي** السابق الذكر الذي لمع في التفكير الديني و الشرعي حيث كان فقيها و محدثا عظيم المنزلة بين علماء عصره، له مصنفات قيمة في الفقه[5]، منها كتابه "**الاستيفاء**"الذي ألف عليه كتابا آخر سماه "**المنتقى في شرح الموطأ**" في سبع مجلدات، و يعد هذا الكتاب أحسن

---

[1] المراكشي ، المصدر السابق،ص37؛ التليلي، نفس المرجع ،ص41.

[2] ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج2،ص679.

[3] الحميدي، **جذوة المقتبس** ، ص368.

[4] نفسه.

[5] ابن بسام ، المصدر السابق ،ق2،ج1،ص94-95 ؛ عياض،**ترتيب المدارك**،ج2، ص347 و ما بعدها.

مصنف في مذهب "**مالك**" لأنه شرح شرحا وافيا أحاديث الموطأ كما أنه فك جميع غموضها ،و له أيضا كتاب" **إحكام الفصول في أحكام الأصول**" و"**الإشارة إلي أصول الفقه** "، و "**مختصر المختصر في مسائل المدونة**" وغير ذلك من المؤلفات القيمة[1] .

كما برز في ميدان الدراسات الفقهية "**أبو بكر محمد العربي المعافري**"[2] ، الذي أشرنا إليه في المبحث السابق و إلى مكانته العلمية بين معاصريه، حيث ألف مصنفات عديدة في الفقه منها" **كتاب القبس في شرح موطأ مالك**"،و"**الإنصاف في مسائل الخلاف**"في عشرين مجلدا وغيرها[3].

كما حفل هذا العصر بعدد كبير جدًا من الفقهاء فضلا من ذكروا سابقا كالعلامة "**محمد بن عتاب بن محسن القرطبي (ت462هـ/1070م)**"،والذي برع في العلوم الدينية من بينها الفقه[4] كما برز أيضا الفقيه "**أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي (ت 469هـ/1077م)**"[5]،و الفقيه "**محمد بن عبد الله البكري المعروف بابن ميقل المرسي(ت 436هـ/1045م)** "الذي ذاع صيته في الفقه لحفظه التام لمذهب " **الإمام مالك**" مع براعته في المسائل الفقهية حتى عدّ من بين من يحتج بقوله و رأيه[6]، و "**الفقيه أحمد بن سليمان بن خلف الباجي (ت**

---

[1] المقري ، **نفخ الطيب**،ج2،ص69؛ الداوودي: **طبقات المفسرين** ،ج1،ص202-203.

[2] عياض، **الغنية**،ص66 وما بعدها.

[3] المقري، المصدر السابق ،ج2،ص35-36.

[4] عياض، نفس المصدر ، ج2، ص353، ابن بشكوال : **الصلة** ،ج2،ص544 .

[5] ابن بشكوال ، نفس المصدر، ج2،ص175و ما بعدها.

[6] عياض، **ترتيب المدارك**، ج4،ص751.

493هـ/1100م) "الـذي خلـف أبـاه في حلقتـه العلميـة بعـد وفاتـه حيـث كـان يوصـف بالعلم و الفهم للفقه[1].

ب ـ في عصر المرابطين

أشادت أغلب الروايات التاريخية بتطبيق الأمراء المرابطين لأحكام الشرع وحرصهم على تطبيقها ،وتعظيمهم للعلماء والفقهاء وذلك عن طريق الرجوع إليهم والأخذ بآرائهم وفتاويهم ، ولقد تبنى المرابطون المذهب المالكي في الفقه كمذهب رسمي لدولتهم ،وعملوا على نشره والتمكين له في سائر أقطار المغرب والأندلس ، حيث شجعوا العلماء في التأليف على هذا المذهب تعريفا به ونشرا لمبادئ إمامه **مالك ابن أنس** ، وأحسن مثال على ذلك ما قام به القاضي "**عياض بن موسى اليحصبي**"[2] الذي ألّف موسوعته " **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك**" ، مبرزا فيها فضائل إمامه، ومبادئ مذهبه ،مبيّنا للناس بالأدلة والقرائن، أنّه أحق أن يتبع في قوله:" وحق على طالب العلم ومريد الصواب أن يعرف أولى الأئمة بالتقليد ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التفقّه طريقه ...وأنّ مالكا هو ذاك لجمعه أدوات الإمامة ، وتحصيله درجة المجتهد وكونه أعلم أهل زمانه"[3].

ولما قامت دولة المرابطين على أساس ديني، فلقد عمل حكامها على تشجيع الدراسات الفقهية ،فقربوا الفقهاء إليهم وأغدقوا الأموال عليهم ، وأخذوا بمشورتهم في الأمور الكبيرة والصغيرة ، فالفقهاء هم الذين كانوا يوّجّهون سياستها ، ويتحمّلون مسؤولية حماية كيانها، والإشراف على تنفيذ تعاليمها ، وهذا ما يعكس المكانة الاجتماعية والسياسية الرفيعة التي بلغوها في هذا العهد ، وهي

---

[1] ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2،ص71.

[2] انظر ترجمته: القفطي: **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، ج3، ص ص363-364؛ الشواط، الحسن بن الحسين محمد : **القاضي عياض إمام أهل الحديث في وقته**، دار القلم، دمشق، 1994م، ص155.

[3] عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص64.

مكانة لم يصل إليها الفقهاء في أيّ دولة إسلامية أخرى ، مما جعلهم في مركز يحسدون عليه من طرف بعض فئات المجتمع ، وبالخصوص من طرف الشعراء والأدباء.[1]

ومن أهم فقهاء العصر الذين برزوا في الفقه وأصوله، **محمد بن حكيم بن أحمد الجذامي**(**ت 538هـ/1143م**) من أهل **سرقسطة** ، كان متحققا في علم الفقه وأصوله، وحافظا له، من أهم مؤلّفاته، **شرح كتاب الإيضاح للفارسي**[2] وغيرها، **أحمد بن علي بن يحى بن أفلح ابن زرقون** (**ت 542هـ/ 1148م**،[3] **وأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صقر الأنصاري**، الذي يعدّ من أصحاب الثقافة الموسوعية ، والذي كان ممن تقدّموا في علوم مختلفة كالحديث والقراءات والفقه والأصول وعلم الكلامّ [4]،و"**إبراهيم بن جعفر اللواتي المتوفي عام 513هـ/1120م** الذي ألّف كتابا سماه "**مختصر الفقه**"[5]، فضلا عن "**ابن رشد الجدّ**" موضوع الدراسة، الذي توجهت معظم كتاباته إلى التأليف في الفقه المالكي، أهمها كتاب "**البيان والتحصيل**،" وغيرها مما سيأتي الحديث عنه، ومؤلّفات القاضي "**عياض بن موسى اليحصبي**".

حيث انتشرت الدراسات الفقهية المالكية في هذا العصر بصفة كبيرة وواسعة ، لدرجة تقدمت على غيرها من فنون العلم الأخرى ، مما جعل بعض المستشرقين[6] ،وممن تبعهم من المؤرّخين العرب[7] ، يشنون عليهم حملة انتقادات واسعة ، أرادوا من خلالها التقليل من سأنهم وشأن فقهاء العصر ،حيث

---

[1] الهرفي سلامة محمد سليمان: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية**، القاهرة، 1985م، ص ص319_318.

[2] ابن فرحون: **الديباج المذهب** ، ج2، ص283.

[3] ابن الأبار :**المعجم**، ص42.

[4] الهرفي : **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين** ، ص323.

[5] نفسه.

[6] أنظر موقف المستشرقين أشباخ و دوزي : أشباخ ، المرجع السابق، ج2، ص150.

[7] أنظر موقف عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر، القاهرة، 1922م، ص436.

اعتمد هؤلاء المؤرّخون لتوثيق ادّعاءاتهم على مواقف بعض معاصري الدولة المرابطية[1] ، كمواقف لبعض الشعراء الذين كانوا يمدحون أحيانا ويهجون أحيانا أخرى [2]، أو مواقف مؤلّفين كتبوا رسائل في فضل الأندلس على المغرب[3] ، فضلا عن مصادر موحدية معادية للمرابطين ، "**كعبد الواحد المراكشي**" الذي اتهم المرابطين بالاهتمام بالفروع على الأصول، وإهمال الكتاب والسنة فهو **القائل**:" لم يكن يقرب من أمير المسلمين ،ويحض عنده إلا من علم علم الفروع ، أعني فروع مذهب مالك ، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ،وعمل بمقتضاها ،ونبذ ما سواها وأكثر من ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4].

لكنّ الدارس للدراسات الدينية خلال هذا العصر بالذات يلاحظ عكس ذلك ، فإذا انتشرت الدراسات الفقهية في هذا العصر بصورة واسعة، فإنّ هذا لم يمنع من انتشار العلوم الدينية الأخرى كالحديث وعلم القرآن والتفسير خصوصا مع الارتباط الوثيق الذي يربط بينهم ، من الأمثلة الحية الشاهدة على ذلك في علم القراءات الذي "يعتبر من العلوم التي تهتم بكلام الله تعالى من حيث الاختلافات المتواترة ، معتمدا على اللغة العربية لصون كلام الله تعالى من التحريف وتحصيل ملكة ضبط الاختلافات" [5]، العالم الشهير الذكر **أحمد بن خلف المعروف بابن الباذش،** الذي كان من إماما في القراءات ، المتفننين فيه ، المستبحرين في العلوم ، العارفين بالأدب والإعراب، ومن

---

[1] الجراري عباس: **صبابة أندلسية، دراسة مهداة ليوسف بن تاشفين**،ط1، منشورات نادي الجراري، الرباط، 1992م، ص22.

[2] **كالأعمى التطيلي أبو العباس،** وهو شاعر أندلسي نشأ **بإشبيلية** ، له ديوان شعر انتقد فيه ذلك التحول الكبير الذي أعطى للفقهاء ما كان يعطى إليهم.**أنظر ترجمته:** الزركلي: **الأعلام**، مج1، ص158، ابن خاقان : **قلائد العقيان** ، ص275 ؛**والشاعر أبو بكر بن سهل إليكي** المشهور بالهجاء الذي قيل عنه أنّ قريحته لا تجيد غيره، ولا تشتط إلا به. **أنظر ترجمته:** ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص266.وما بعدها.

[3] أنظر رسالة أبي الوليد الشقندي:المقري: **نفح الطيب** ج3، ص186.

[4] المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص122.

[5] بطاش كبرى زادة: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مج2، ص6.

كتبه في القراءات كتابي **الإقناع والطرق المتداولة** [1]، **وأبو الحسن علي بن النعمة** المري الذي انتهت إليه الرئاسة في الإقراء والفتوى في عصره[2]، **وابن غلام الفرس أبو عبد الله محمد بن سعيد المقرئ**، الذي كان من أمهر مجوّدي القرآن ومثقّفيه[3]، **وابن عظيمة أبو محمد بن طفيل العبدري** الذي صنّف كتبا مهمة في علم القراءات وما يتعلّق بها منها جالب الإفادة في مخارج الحروف ، وله أرجوزة في القراءات السبع[4].

أما بالنسبة للحديث فلقد عرف عصر **ابن رشد الجدّ** ظهور أعلام كبار المحدّثين نذكر من بينهم القاضي الشهيد **أبو علي الحسين بن محمد الصدفي** إمام المحدّثين في الأندلس[5] ، والقاضي **أبو بكر بن العربي** السابق الذكر خاتمة علماء الأندلس ، وآخر أئمّتها وحفاظها[6]، والقاضي **عياض بن موسى اليحصبي**، الذي كان من كبار محدّثي الفترة ، وكتبه الكثيرة في هذا المجال خير دليل على تبحّره في هذا العلم نذكر منها **مشارق الأنوار في صحاح الآثار، وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع**[7].

فضلا عن أعلام كبار آخرين ممن اهتموا بهذا العلم **كعبد الله بن عيسى الشيباني**، الذي كان يحفظ سنن أبي داود وصحيح البخاري عن ظهر قلب[8]، **وعبد الله بن علي الرشاطي**، صاحب كتاب المؤتلف والمختلف[9]، **وعلي بن النعمة المري**[1]، **وميمون بن ياسين الصنهاجي**[2] وغيرهم.

---

[1] ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مأمون بن يحي الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1992م، ص106-107.

[2] الضبي :**المعجب**، ص ص371-372.

[3] ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1996م ج2، ص476.

[4] ابن الأبار ،نفس المصدر، ص576.

[5] الذهبي شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1956م، ج2، 1254.

[6] ابن بشكوال: **الصلة**، ج2، ص558.

[7] ابن الأبار ، **المعجم**، ص602.

[8] ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج1، ص285.

[9] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص452.

أما بالنسبة لعلم التفسير فلقد اشتهر به العديد من العلماء هذا العصر من بينهم عبد **الحقّ بن عطية المحاربي أبو محمد** ، الذي كان من رجال الفقه الجامعين للفقه والحديث والأدب، من أهم كتبه **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**[3] ، والقاضي **أبو بكر بن العربي** السابق الذكر الذي ألف تفسيرا للقرآن في ثمانين جزء[4] ، بالإضافة إلى **أبو القاسم بن ورد التميمي** الذي كان جامعا للفقه والحديث والتفسير[5].

إنّ الدارس للحركة الفقهية خلال **عصر ابن رشد** الجدّ يلحظ جليا حقيقة هامة ، وهي أنّ هذه الدراسات رغم الاضطرابات السياسية التي عرفتها **الأندلس** خلال عصر الطوائف والمرابطين، فقد ظلت تسير في صورة جيدة و محافظة على ازدهارها ، فكان هذا العصر حافلا بنوابغ العلماء الذين أسهموا في نشاط الدراسات الفقهية وأضافوا الكثير من إنتاجهم إلى المكتبة الإسلامية و عملوا طوال حياتهم على أن يكون لهم دور فعال و جهد ملموس في تراث هذه الأمة وفكرها.

---

1 التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ص185وما بعدها.

2 ابن الأبار ، **التكملة** ،ج2، ص718.

3 ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص368؛ عمر الدباغ: **ابن عطية المحاربي وتفسيره المحرر الوجيز**، مجلة دعوة الحق، المغرب1994م، العددين، 305-306، ص82وما بعدها.

4 ابن بشكوال ، المصدر السابق،ج2، ص558.

5 ابن الأبار : **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، 1989م، ص31وما بعدها.

الفصل الثاني

شخصية ابن رشد الجدّ ومكانتها الفقهية

1–مساره التعليمي ونشاطه العلمي:

أ–مساره التعليمي .

ب– نشاطه العلمي.

2–علاقته بالسلطة المرابطية.

أـ ابن رشد قاضي الجماعة والمشاور

ب–ابن رشد الجدّ والعمل الدبلوماسي

3– منزلته الفقهية

أ ـ ابن رشد الجدّ وأقرانه.

ب ـ عوامل زعامته الفقهاء في المذهب المالكي

ج ـ ابن رشد وألمع فقهاء العصر(الطرطوشي والمازري

1–مساره التعليمي ونشاطه العلمي:

أ– مساره التعليمي:

نبغ واشتهر في **الأندلس** الكثير من الشخصيات العلمية التي اهتمت المصادر التاريخية بذكر أسمائها ، وتشرفت كتب التراجم ببث محاسنها، ومن بين هذه الشخصيات الكبيرة التي تستحقّ أن يهتم ويعتنى بها ،ويطّلع الدارسون على مكانتها ، شخصية **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجدّ** الفقيه المالكي المشهور بالأندلس وكافة أقطار العالم الإسلامي.

نشأ هذا الفقيه في مدينة **قرطبة** بالأندلس[1]، في بيت كبير من البيوت العلمية المعروفة التي تميّزت بأثرها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلى جانب الأسر الأندلسية الكبرى[2]، كأسرة "بني مغيث" ب**قرطبة**[3]، و أسرة "بني الباجي" **بأشبيلية**[4] و" أسرة بني حمدين"[5] ، وأسرة "بني زهر"[6] وغيرها ، ويعود أصلهم إلى أسرة غير عربية من **سرقسطة** ،رحلوا إلى قرطبة واستقروا بها لما كانت تتميّز به من منزلة علمية كبيرة[7]،حيث لم تذكر

[1] ابن رشد الجدّ، **المسائل**، ج1، ص21.

[2] التليلي المختار بن الطاهر : **ابن رشد وكتابه المقدمات**، ص83.

[3] ينسبون إلى **مغيث بن الحارث الغساني**، الذي دخل الأندلس في فترة الفتوحات ، وهو من قام بفتح **قرطبة**، وقد اشتهر منهم **يونس بن عبد الله بن مغيث**. أنظر: المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص 12 وما بعدها.

[4] من أسر الأندلسية العريقة وهي التي ينسب إليها العالم الكبير أبو **الوليد سليمان بن خلف الباجي**، **أنظر**: ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، **ج1**، ص 403 وما بعدها.

[5] كانت من الأسر الطموحة إلى إلى النفوذ سياسي ،ومن أهم أعلامها القاضي **أبي جعفر بن حمدين**، بقائد ثورة أهل **قرطبة** في نهاية عهد المرابطين **أنظر**: ابن **سعيد**، المصدر السابق، ج1، ص 162، الجابري محمّد عابد: **ابن رشد سيرة وفكر**، الطبعة الأوّلى بيروت، 1998، ص ص 26- 27.

[6] سكنت **إشبيلية** في عهد دولة **بني عبّاد** ، **أوائل القرن 5 هـ/11م**، وتمتعت بالنفوذ الكبير والثروة، فضلا على الشهرة العلمية خصوصا في مجال الطبّ. أبو مصطفى كمال السيد : **دراسات في التاريخ والحضارة**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997م ، ص ص 9- 10.

[7] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 79.

المصادر أيّ معلومات تدّل على أنّها عربية الأصل، في وقت كان فيه النسب العربي ميزة يفتخر بها [1] ، بل هناك من اتهمها بالأصل اليهودي ،وحدث ذلك بعدما نفي "**ابن رشد الحفيد**" إلى **اليسانة Lucena**، المنطقة التي كانت عامرة باليهود[2]، وقويت هذه التهمة عليه لما كان لمؤلّفاته عندهم من مكانة فهم الذين ترجموها إلى العبرية ثمّ إلى اللاتينية[3].

غير أنّه لا يمكن إثبات هذه التهم على "**ابن رشد الحفيد**" وآله، لأنّها وردت من طرف أشخاص منافسين له على مكانته في الدولة الموحدية ،والذين أشاعوا أنّ أبو يعقوب يوسف "**المنصور الموحدي**"[4] ،قد أرجع الفيلسوف إلى أصله وحكم عليه بالإبعاد إلى بلده، لذلك لا يمكن أن يؤثر ذلك مكانة أسرة "**بني رشد**" التي جمعت بين الوجاهة والشهرة والحسب والجلالة[5]، حيث كان والده "**أحمد بن أحمد بن رشد**" ،من أهل العلم والجلالة والعدالة[6]،وكذلك ابنه "**أبو القاسم أحمد**"[7] ،ترعرع في أسرة محبّة للعلم فشبّ على حبّه[8]، حيث حصّل علوما

---

[1] إنّ المتصفح لكتب التراجم و الطبقات المعرّفة برجال **الأندلس**، يلمس حرص الأندلسيين في المحافظة على النسب العربي، ويجدّه صفة مميّزة لهم عن سواهم، ومقرونا دوما بأسمائهم، **كالقيسي والأسدي والغساني** ،**أنظر**: عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص 363؛الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج14، ص 124، ؛ ابن بشكول: **الصلة** ،ج1، ص141.

[2] ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، طبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م، ص ص 25- 26.

[3] العكاوي رحاب: **ابن رشد فيلسوف قرطبة**، الطبعة الأوّلى، دار الفكر العربي، بيروت، 1979م، ص7؛ هارون، المرجع السابق، ص81وما بعدها.

[4] **أنظر ترجمته**: ابن خلكان، المصدر السابق ،ج7، ص3وما بعدها.

[5] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص82 وما بعدها.

[6] ابن فرحون: **الديباج المذهب**،ج1، ص 111.

[7] ابن فرحون ، المصدر السابق، ص 122.

[8] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 87.

كثيرة من فقه وحديث وتفسير وعربية[1] ، وكتب مؤلّفات عدة من بينها "**تفسيرا جمعه في أسفار**"، "**شرح سنن النسائي**"، و "**برنامجا حافلا جمع فيه مروياته**".[2]

وقد تولى القضاء للمرابطين سنّه **535هـ/1141م**[3]، مثل والده ثمّ طلب الإعفاء عنه فأعفي[4]، وقد أرجع بعض المؤرخين سبب ذلك إلى ضعفه وموالاته للمرابطين وخضوعه في الكثير من الأحيان لمشيئتهم مما أدى إلى ثورة العامة عليه،غير أنّ "**أحمد ابن رشد**" لم يهتمّ بتلك الثورة ولم يقف موقفا حازما منها، ولم يسعى إلى تهدئة العامّة الوضع الذي استغله "**ابن حمدين بن محمّد بن حمدين**"[5] الذي قام بالتصدي لأهل **قرطبة**، وتسكين ثائرتهم، فاستعف "**أحمد بن رشد**" بسبب تلك الفتنة عن القضاء، فاستجيب له في طلبه ،وبقيت قرطبة فترة دون قاض يفصل في أحكامها تأديبا لهم من طرف المرابطين، ثمّ سمح لهم باختيار قاض، فأجمعوا على اختيار **ابن حمدين سنة 536هـ/1142م**.[6]

---

[1] التليلي ،عبد الرحمن: **ابن رشد الفيلسوف العلم**، المنظمة العربية للحربية والثقافة والتوزيع والعلوم، تونس، 1998، ص 13.

[2] مخلوف : **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ص146.

[3] النباهي ، أبو الحسن علي بن محمد المالقي : **تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** ،تحقيق مريم الطويل، الطبقة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه/1995م ص 135.

[4] ابن فرحون : **الديباج المذهب**، ص 122.

[5] ولي القضاء بقرطبة ثمّ عزل بأبي القاسم بن رشد، ثمّ أعيد ثانية ، وهو الذي تزعّم ثورة أهل **قرطبة** في نهاية عهد المرابطين، وودعي له بالإمارة **سنة534ه/1140م**، وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين، **أنظر ترجمته:** النباهي ، المصدر السابق، ص 135.

[6] ابن الخطيب،**أعمال الأعلام**، ص ص 252- 253؛ حسن حمدي عبد المنعم: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، الطبقة الأولى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997م ، ص ص 136- 137.

كما تميّز من أسرة بني رشد **أبو الوليد محمّد بن أحمد بن محمّد بن رشد الشهير بالحفيد**[1]،الذي يطلق عليه الغربيون اسم **Averroès** [2]. ولد بقرطبة سنة **520هـ/1127م** قبل وفاته جدّه بأشهر ، تلقى دروسه الأولى في الفقه والأصول على يد كبار العلماء بالأندلس "**كابن بشكوال**"، **و "ابن مسرة**" وغيرهم، **غير** أنه كان مطبوعا على حبّ الفلسفة فانصرف إلى دراستها، ولي قضاء الجماعة من طرف الأمير" **أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي سنة**568هـ/1173م "حيث ألّف في هذه الفترة أهم كتبه في الشريعة والفلسفة والطبّ [3]، حيث ذكرت المصادر أنّ ابن رشد الحفيد كان شغوفا بالفلسفة ونابغة في الطبّ ومتميّزا في الفقه،إلى درجة قيل فيه انّه :"**كان يفزع إليه بالفتوى في الطبّ كالفقه**"[4]، حيث تمكن من تحصيل جميع علوم عصره[5]، كما ذكر بعض الباحثين أنّه كان شديد التأثر بإنتاج جدّه الفقهي[6]، معجبا بعقلانيته واجتهاده[7]، خلّف كتبا كثيرة منها، "**كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد**"،

---

[1] ابن الأبار : **التكملة** ،ج2، ص ص 553-554، ابن القاضي ، أحمد بن محمد المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة الورّاقة، الرباط 1973، ق1، ص 379 ؛ العكاوي رحاب ،المرجع السابق، ص 5.

[2] **Arnaldez (R) : Ibn Rushd ,E.I; n ed** ; T, III, P 934. رويشد عطا الله: **تاريخ الآداب العربية** الطبعة الأوّلى، تحقيق علي نجيب عطوي، مؤسسة عزّ الدين للطباعة، والنشر، 1985، ص 184.

[3] العبيدي حمادي: **ابن رشد وعلوم الشريعة**، ط1، دار وحي القلم، 2014م، ص ص9-10.

[4] ابن القاضي، المصدر السابق، ق1، ص 379.

[5] أبو عمران الشيخ: **ابن رشد وبعض المفكرين المعاصرين له**، ملتقى دولي تحت عنوان **الحضارة السلامية بالأندلس في القرن 6 هـ/ 12م** منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007، ص 7.

[6] ابن رشد، **المسائل**،ج1، ص ص 103- 104.

[7] مزيان عبد المجيد: **العقلانية الرشدية في علم الشريعة**، مؤتمر ابن رشد، الذكرى المؤية الثامنة لوفاته من 3 إلى 8 ذو الحجة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجزائر 1393 هـ/ 1978م، ج2، ص 320.

"**الكليات في الطب**"، "**مختصر المستصفى من الأصول**"، "**الضروري في العربية**"، وغيرها من المؤلفات التي تزيد عن الستين مؤلفا[1].

يستنتج مما تقدّم عن أسرة **بني رشد،** أنّها كانت تميل للعلم أكثر مما كانت تميل منها إلى مصالح شخصية أو سياسية ، وهذا ما يبدو واضحا في بعدها عن الطموحات السياسية ، ووقوفها عند حدود الوجاهة العلمية والاجتماعية[2]، فلقد أحست هذه الأسرة بمكانتها في **الأندلس** ،وعرفت منزلتها من العامّة، فحافظت عليها، وسعت إلى كسب ثقة الناس بمحافظتها على مبادئها العلمية، مساهمة بعلمائها في إثراء روافد الثقافة الإسلامية عاملة على بقاء حسن سمعتها ونماء شهرتها[3] .

أما اسم شخصية هذه الدراسة فهو "**أبو الوليد محمّد بن أحمد بن رشد"**، أبرز الفقهاء المالكية **بالأندلس** في عصر المرابطين[4]، الذي اشتهر بالجدّ[5] تمييزا له عن "**ابن رشد الحفيد"**[6] وبالأكبر[7] تميّزا له عن الأصغر[8]، وبالفقيه تمييزا له عن الفيلسوف، ويطلق عليه الفقهاء في المذهب المالكي "**ابن رشد**"فقط، فإذا نقلوا عنه أو قاموا بترجيح قوله أو ذكر رأيه فهم يعنونه ولا يقصدون غيره[9] .

[1] ابن الأبار: **التكملة** ،ج2، ص 554.

[2] الجابري محمد عابد: **ابن رشد، سيرة وفكر**، دراسة ونصوص، الطبقة الأولى، بيروت، 1998م.، ص 26.

[3] التليلي المختار بن الطاهر : **ابن رشد وكتابه المقدّمات**، ص 83.

[4] أبو مصطفى كمال السيد ، المرجع السابق، ص4.

[5] الذهبي شمس الدين : **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 203، مج11، ص322.

[6] أبو مصطفى كمال السيد ، المرجع السابق، ص4.

[7] ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص162.

[8] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص 145.

[9] هارون ، المرجع السابق، ص79.

أورد له تلميذه ابن بشكوال النسب التالي : "**محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن رشد المالكي**"،[1] ، **أمّا "المقري"** فذكر أنّه: أبو الوليد محمّد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن ابن رشد، حيث جعل له أبا جديدا في شجرته النسبية، وهو الأب الثالث وهذه الزيادة انفرد بها ،ولم نجدّها في المصادر التي ترجمت "**لابن رشد**" وأفراد أسرته[2].

ولقد كفانا "**ابن رشد الجدّ** "عناء البحث عن تاريخ مولده ،حيث صرّح تلميذه الفقيه **أبو "الحسن محمد بن إبراهيم بن يحي الوزّان"**[3] قائلا :"**سمعت ابن رشد يقول: ولدت سنة خمسين وأربعمائة**"[4] أيّ **450هـ /1059م** ، وهذا ما تناقله أغلب المؤرّخين له قديما وحديثا ،[5]وهي السنة التي أكدّها "**ابن بشكوال**"[6] تلميذه وابن بلده وأعرف المؤرخين به وأضبطهم.

أما بالنسبة لتحصيله العلم فلم تزوّدنا الكتب التاريخية وكتب التراجم والطبقات عن تفاصيل كثيرة عن المرحلة الأولى من حياته أي مرحلة طلبه للعلم وتحصيله ، وهي مرحلة عرفت بظروفها السياسية المتدهورة مما سبق توضيحه في الفصل الأول[7] ،ولكن بالرغم من ذلك فإننا نستطيع أن

---

[1] ابن بشكوال : **الصلة** ،ج2، ص 546.

[2] المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، د.ت ج1، ص 51؛ ابن الأبار :**التكملة**، ص113؛ ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة** ص 21- 22؛ النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس** ، ص 13.

[3] صاحب الصلاة بجامع قرطبة، وجامع مسائل **ابن رشد الجدّ**، روى عن أبي عبد الله بن فرج المعروف بابن الطلاّع، وغيره وكتب إليه أبو علي الصدفي، وكان يتميّز بحسن خطّه، وطول صلاته، وكثير ذكره لله تعالى، **أنظر ترجمته:** ابن الأبار، **المعجم** ص 162.

[4] ابن رشد الجدّ: **فتاوى ابن رشد**، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن الطاهر التليلي، دار إحياء التراث الإسلامي- دار الغرب الإسلامي، قطر-بيروت 1987م ،**س2، ص 1526**.

[5] لعطاوي فتحي بن سعيد :**الإمام ابن رشد الجدّ رحمه الله ومكانته العلمية**،مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الثاني ، ماي، 2016م، ص108.

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق،**ج2، ص 546**.

[7] المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص 438.

نستنتج أنه توفرت "**لابن رشد الجدّ**" أسباب التحصيل العلمي[1] ،لأنّه نشأ في أسرة علمية ، وفي مدينة علمية استقرّ بها العلماء من مختلف الأقطار حتى أصبحت تعرف بأمّ المدائن ،ألا وهي **قرطبة** التي قيل فيها أنّها استقطبت الطلاّب الأندلسيين وغيرهم ، واجتذبت إليها نوابغ وفحول الشعراء[2]. لذلك اكتفى بها ابن رشد الجدّ وبعلمائها الذين أخذ من مشاربهم حتى تشبع علما غزيرا، فلم يثبت عنه أنّه خرج في طفولته أو شبيته من **الأندلس** للحجّ أو لطلب العلم، كما فعل طلاّب العلم قبله وبعده ولا انتقل من **قرطبة** إلى غيرها من المدن الأندلسية لأجل الرواية والأخذ عن العلماء.[3]

ويمكن أن نقول أنّه بدأ تكوينه العلمي كغيره من الأطفال في ذلك الزمان ، بتحفيظ القرآن الكريم لأنّ تحفيظه للأولاد في تلك العصور كان يعدّ شعارا من شعائر الدين ، أخذ به المسلمون في جميع الأمصار ودرجوا عليه في مختلف المناطق، بالإضافة إلى تعلّم مبادئ اللغة العربية وتجويد الخطّ والكتابة على طريقة الأندلسيين في المراحل الأولى للتعليم[4]، وكان ذلك على يد والده "**أحمد بن أحمد بن محمّد**" الذي كان من أهل العلم[5] ،وبعد ذلك انتقل إلى الفقه فدرس أصوله، وأخذ التاريخ والأخبار، واطلع على مسائل الخلاف وأسباب الاختلاف، وعرف معاقد الإجماع ومواطن الاتفاق، وقرأ التفسير والحديث، وتعلّم علم الفرائض وجميع العلوم الإسلامية، وأتقن فروعها[6].

[1] المقري : **نفح الطيب**، ج1، ص438.

[2] المقري ، نفس المصدر، ج3، ص 214.

[3] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص 149.

[4] لعطاوي فتحي بن سعيد، المرجع السابق، ص109.

[5] ابن فرحون : **الديباج المذهب**، ج 1،ص 111.

[6] هارون، المرجع السابق،ص85.

من أهمّ شيوخه الذين تلقى العلم على يدهم[1]،"**الفقيه أحمد بن رزق الأموي أبو جعفر**(ت**477 هـ/1085م**)"[2]، الذي أخذ عن كبار الشيوخ **بقرطبة** وخارجها "**كأبي عمر أحمد بن محمّد بن القطّان**(**ت460هـ /1068م**) "[3]، و"**عبد الحقّ بن محمّد الصقلّي**(**ت 466هـ/1073-1074م**)"[4]،ولقد كان **من المتقدّمين** في الفقه والرأي، الذاكرين للمسائل، العارفين بالنوازل والفتاوى، وكان طلبة الفقه بقرطبة يستعينون به في المناظرة والمدارسة، حيث كان مشهودا له الجمع بين العلم والفضل والتواضع والعفة والاستقامة[5]، وقد تفقه به "**ابن رشد الجدّ** "وأخذ عنه الكثير[6]و اعتمد عليه، ولم يكن تأثّره به في الفقه وحسب ،وإنّما في التأليف أيضا، فهو الذي أوحى له بطريقة تدريس المدونة خاصّة فيما يتعلّق بالتقديم لأبوابه .

كما درس على يد "**المحدّث أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث العذري الدلائي**(ت **478هـ /1086م**)" [7] الفقيه المحدّث الرواية العالم الشهير ،الذي أخذ العلم بالمشرق على يد كبار العلماء الوافدين على **مكة** ،**والعراق، والحجاز وخرسان**،[8] أمّا **بالأندلس** فلقد أخذ عن الكثير من علمائها، منهم "**يونس بن عبد الله بن مغيث**" ،الذي اهتم بالحديث وحفظه

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق ، ص 150.

[2]ابن بشكوال، **الصلة** ، ج1، ص 68؛ مخلوف : **شجرة النور الزكية** ، ص 179؛ الضبيّ: **بغية الملتمس**، ص 106.

[3] عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص 355.

[4] ابن فرحون : **الديباج المذهب** ،ص275.

[5] مخلوف، المرجع السابق ، ص121؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 68.

[6] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص ص 141؛ عياض، **الغنية**، ص 55.

[7]**انظر ترجمته** :مخلوف: **شجرة النور الزكية** ،ج2، ص 179.

[8] نفسه.

وتخصص في نقله وروايته و تميّز في ضبطه [1]،فأخذ عنه **ابن رشد** الجدّ وطلب مرويا ته، فقام بإجازتها له جميعها[2].

و"**محمّد بن خيرة الأموي** المعروف **بابن أبي العافية الجوهري** (ت **478هـ/1086م**) " [3]، أصله من **المرية** وسكن **قرطبة**، وأخذ بها العلم من "**حاتم بن محمّد الطرابلسي**(**ت496هـ/1103م**)"، [4]، وأخذ في **شاطبة** من "**طاهر بن مفوز**"[5]، وقد اشتهر ابن أبي العافية بالحفظ والعلم والذكاء والفهم مع عنايته بالحديث وإسماعه، بالرغم من تخصصه بالفقه وتركيز اهتمامه عليه [6]، وقد تتلمذ له "**ابن رشد**"[7]، وأخذ عنه الفرائض التي اشتهر بالنفوذ فيها[8]، وقد سمحت له دراسته على يده بالمقارنة بينه وبين شيخه "**ابن رزق**"، وبما يتميّز كل منهما عن الآخر في حفظه وفهمه ، مما دربه على الاستنتاجات العلمية والتطبيقات الفقهية.[9]

و"**الإمام عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمّد بن سراج الأموي** (**ت489هـ/1097م**)"[10]، الذي كان عالما كبيرا في علم القرآن والحديث والآداب المختلفة[11]، رحل إليه طلبة العلم من مختلف مدن **الأندلس** وغيرها ،فأخذ عنه **ابن رشد** ونظراؤه [12]،" **كأبي**

---

[1] ابن عماد، المصدر السابق، مج2، ص 357.

[2] ابن بشكوال: **الصلة** ،ج1، ص ص 69- 70.

[3] ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2، ص 525.

[4] مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ص 120.

[5] الضبيّ : **بغية الملتمس**،ج2، ص 322.

[6] ابن الأبار، **التكملة**،ج1، ص 340.

[7] عياض، **الغنية**، ص 55.

[8] ابن رشد، **المسائل**، مج1، ص 24.

[9] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص 158.

[10] الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ،ج14، ص 190.

[11] مخلوف ، المصدر السابق ،ج1، ص 181.

[12] عياض : **الغنية** ، ص 54.

عبد الله محمّد بن أحمد المعروف بابن الحاج (**ت529هـ/1135م**)"[1] اللّغة العربية، ومعاني التفسير والحديث ، وسمعوا منه الآداب والأشعار والأنساب والأخبار والأيّام والآثار.

و"**أبو عبد الله بن فرج مولى محمّد بن يحي البكري المعروف بابن الطلاّع**"، (**ت 497هـ/1104م**)[2]، القرطبي الذي حدّث عن كبار الشيوخ، "**كأبي عبد الله يونس بن عبد الله بن مغيث**" ، و"**أبي محمّد مكي بن أبي طالب**"، و"**أبي عمر بن القطّان**" ، و"**أبي القاسم حاتم بن محمّد الطرابلسي**" ومعاصريهم وكان من الفقهاء المبرزين الحافظين لفقه مالك وأصحابه ، التالين للقرآن والمجوّدين له الحاذقين للفتوى والمقدّمين في الشورى الذاكرين لأخبار الشيوخ ببلده وفتواهم ،المساهمين في العربية والآداب[3]، تولى منصب الشورى ثمّ أبعد عنها[4] لموالاته وتعصّبه "**لبني عبّاد**" [5] وقد تفقه به "**ابن رشد**" وسمع منه مروياته وتعلّم به الفتوى وعرف منه عقد الشروط وأخبار علماء **قرطبة**، حيث أخذ عنه علما غزيرا مما يلقيه في دروسه ويرويه في حلقاته في المسجد الجامع.[6]

و"**الحسين بن محمّد بن أحمد الغساني** (**498هـ/1105م**)"، المعروف بالجياني رئيس المحدّثين **بقرطبة**، وأحد أركان الحديث فيها [7]، الذي كان أضبط الناس للرأيّ حيث كان يجلس

---

[1] عياض: **الغنية** ، ص 47؛ مخلوف : **شجرة النور الزكية** ، ج1، ص ص 193- 194.

[2] ابن بشكوال :**الصلة** ،ج2، ص 534.

[3] المقري، **أزهار الرياض**، ج3، ص 226.

[4] النّباهي: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص 33.

[5] **أنظر** : عتيق عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1976، ص 97؛محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق على الزواري، محمود محفوظ، الطبعة الأوّلى، دار الغرب الإسلامي لبنان بيروت، 1988، ص 427.

Boswort Clifford Edmund : **Les dynasties musulmanes**, Sindbad ,Paris, p.23.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص ص 165- 166.

[7] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص ص 141- 142.

بالجامع فيستمع إليه الناس[1] من أعلام **قرطبة** وفقهاءها وجلتها[2] ،من بينهم "**ابن رشد الجدّ**"[3].وقد ألّف "**الحسين بن محمّد**"، كتابا كثير الفائدة على الصحيحين، سمّاه "**تقييد المهمل وتمييز المشكل**" أفاد منه كثيرا "**الإمام المازري**"[4] في كتابه "**المعلم بفوائد كتاب مسلم**".[5] وله تآليف كثيرة أخرى منها تأليف في تسمية "**شيوخ أبي داود**"، وتأليف في "**شيوخ النسائي**، وكتاب "**في ضبط رجال الصحيح**".[6]

لقد ساهم هذا التكوين الذي تلقّاه **ابن رشد** الجدّ على يد هؤلاء العلماء المتخصّصين في مختلف المجالات أن جعل منه شخصا مشهودا له بغزير علمه وتنوّعه، ففضلا عن تخصصه في الفقه فلقد كان ذو معرفة بعلوم اللّغة والحديث وعلم الكلام، حيث استعان في المجال اللغوي بشيوخه الكبار "**كأبي جعفر بن رزق**" الذي كان بصيرا باللّغة العربية وآدابها ،"**وابن أبي العافية الجوهري**" الذي كان يظهر الوجوه الإعرابية لطلاّبه، ويضبط المعاني المقصودة، حيث كان من علماء اللغة المجيدين ، "**وأبو مروان بن سراج**" أكبر شيوخ العربية وآدابها ،"**وأبو علي الجياني** "الذي كان قويّ العربية مقدما في الآداب[7].

---

[1] عياض : **الغنية** ، ص 138.

[2] ابن بشكوال : **الصلة** ،ج1، ص 142.

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق،ج2، ص 540.

[4] من أهم تصانيفه، **إيضاح المحصول في برهان الأصول لأبي المعالي الجويني، نظم الفوائد في علم العقائد، التعليق على المدونة، الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء. انظر ترجمته:** ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص ص 279-281.

[5] يعتبر هذا الكتاب من أوائل شروحات صحيح مسلم ، أكمله العلامّة **القاضي عياض** وسمّاه "**إكمال المعلم**"، ثم أضاف إليه **العلامّة النووي** شروحا أخرى. أنظر: ابن خير الاشبيلي،المصدر السابق،ج1، ص 237: البشري، المرجع السابق، ص ص 253- 254.

[6] مخلوف: **شجرة النور الزكية**،ج2، ص 182.

[7] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص ص 141- 142.

فلهؤلاء العلماء الكبار الفضل الأكبر في تكوين **ابن رشد** من الناحية اللغوية، فظهر بصره بالآداب، بالرغم من أنّه لم يبرز فيه ، كما برزت مقدرته على إيصال المعنى بأسلوب واضح خالي من التعقيد[1].

أمّا بالنسبة للحديث فاستعان في دراسته والبروز فيه بشيوخه المحدّثين **"كأبي علي الحسين بن محمّد الغساني"**[2]، **و"أبي العبّاس أحمد بن عمر العذري"** الذي طلب منه **ابن رشد** مروياته فأجازها له جميعها[3]، مما جعله ذو معرفة واسعة بعلم الحديث رواية[4] ودراية[5]، حيث عرّف الرواة المسندين وأحوالهم ، واطّلع على كتب السنّة وأسانيدها ودرسها، وحفظ منها ، مما جعله موصوفا بالثقة والعدالة والضبط والإتقان، حتى وإن لم يصل ما وصل إليه شيخه "**ابن العذري**"، ولا ما وصل إليه تلميذه **عياض** في رواية الحديث[6] ،فلقد أثبت **"الحطّاب، و"القاضي عياض** "أن" الدراية كانت أغلب عليه من الرواية"[7]،وأدّلة إطلاّعه على الحديث كثيرة جدا [8].

أما بالنسبة لعلم الكلام فلقد كان "**ابن رشد الجدّ"** عارفا به مطّلعا على مسائله الخلافية،[9]، والأسئلة الموّجهة إليه كثيرة في هذا الشأن نذكر منها ما أورده في "**كتابه المقدّمات"**[1]

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 179

[2] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1،ص 141.

[3] ابن بشكوال ،نفس المصدر ، ج1،ص ص 69- 70.

[4] هو علم موضوعه ألفاظ **الرسول صلى الله عليه وسلم** من حيث صحّة صدورها عنه وضعفها.أنظر: بطاش كبرى زادة، المرجع السابق، مج2، ص 52.

[5] هو علم يبنى على قواعد اللّغة العربية، وضوابط الشريعة، **و**موضوعه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلّم من حيث دلالتها على المعنى المقصود، أنظر : بطاش كبرى زادة ، المرجع السابق، مج2، ص113.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 189.

[7] الحطّاب ، محمد بن عبد الرحمن الرعيني: **مواهب الجليل، لشرح مختصر خليل**، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة خاصّة، عالم الكتب، الرياض 2003م ،ج1، ص 49؛عياض: **الغنية**، ص 55.

[8]**أنظر** : ابن رشد : **الفتاوى**، س2، ص ص 759- 760 .

[9] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 197- 198.

المقدّمات"[1] في فصل قال فيه :"**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَة وَلَا يَسْتَقْدِمُون**"[2]، فقد بيّن ابن رشد أنّ هذا قول أهل السنّة،" ثمّ ساق أراء فرقة القدرية قائلا: "أمّا **القدرية** مجوس هذه الأمّة ،فذهبت أنّه من قتل فلم يستوف أجله الذي كتب له، وأنّه مات قبل بلوغه، وهو كفر صريح ينوّه عن أصلهم الفاسد أنّ العباد خالقون لأفعالهم، فجعلوا موت المقتول من فعل القاتل وقد أعلم الله تعالى عباده المؤمنين أنّ قائل هذا ومعتقده كافر لقوله تعالى:"**أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَتَاهُ الله المُلْكَ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِيي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ، فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الْذّي كَفَر**".[3]

كما وردت في فتاويه استفسارات من الأمراء المرابطين من بينهم "**على بن يوسف**" الذي سأله حول **الأشعرية** ومن انتحل طريقهم[4]، ممّا سيأتي توضيحه في الفصل الخاصّ بالفتاوى ،أما بالنسبة للتصوّف وموقف "**ابن رشد الجدّ**" منه فلقد لاحظت أنّ الدارسون قسّموا المتصوفة ومناهجهم إلى فرق مختلفة، منها ما كان يمثل الزهد والزهاد الذين آثروا اقتفاء أثر السلف الصالح متبنين مبدأ المجاهدة العلمية، من بينهم الفقيه الزاهد "**أبو علي محمد بن حسين بن محمد الصدفي**"، الذي قضى

[1] ابن رشد الجدّ: **المقّدمات الممّهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات و التحصيلات المحكمات لأمّهات مسائلها المشكلاَت** ، تحقيق محمود حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م ، ج1، ص 127.

[2] **سورة النحل، الآية 61**.

[3] **سورة البقرة، الآية 257**.

[4] ابن رشد ، **الفتاوى** ، **س2**، ص 802 ما بعدها.

حياته بالعلم والتعليم والجهاد غير متشوف لغرض، صابرا على ذلك إلى أن استشهد **بموقعة كتندة سنة 514 هـ/1121**[1].

وفريق آخر مثل الاتجاه الصوفي الفلسفي، وكان من أشهر أعلامه "**ابن العريف**"[2] و"**ابن برجان اللخمي الإشبيلي**" (ت**536 هـ / 1142**)[3] و"**أبو القاسم أحمد بن قسي** (**ت 546 هـ/ 1152** م)"[4]زعيم الجناح المتطرف لحركة التصوف الأندلسي[5]، هذا الفريق الذي قابله الفقهاء بموقف سلبي وعدائي[6] ،وأنكروا عليهم عدة أمور[7]، وفي ذلك يقول الفقيه" **أبو بكر بن العربي المعافري**": "وللصوفية في إطلاق العشق على الله تعالى تجاوز عظيم واعتداء كبير، ولولا إطلاق الله تعالى المحبة ما أطلقناها، فكيف نتعدّاها إلى ما سواها من ألفاظ المجان، وليس لهذا أصل في الشريعة".[8]

---

[1] عياض : **الغنية** ، ص131.

[2] من أهل المرية ،كان عالما من أعلام الصوفية الكبار ، **أنظر ترجمته**:ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج1، ص81؛ شيخة جمعة : **التصوف الأندلسي بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م**،**مجلة دراسات أندلسية** ، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر ، 1419هـ/1999م، العدد21،ص21.

[3] شيخ المتصوفة بأشبيلية كان ملتزما بدراسة الحديث والرقاق إلى أن توفي مخلفا لنا تصانيف متعددة منها، شرح أسماء الله الحسنى ، تفسير للقرآن وغيرها من الكتب ، **أنظر ترجمته** : ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج4،ص237؛ بلغيث ، المرجع السابق، ج1، ص453.

[4] كان أول الثائرين على المرابطين سنة (**539هـ/1145م**) ،للمزيد من التفاصيل أنظر:ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ،ص248.

[5] شيخة جمعة، المرجع السابق، ص74.

[6] بلغيث ، المرجع السابق، ج1، ص443.

[7] بن بية : **الأثر السياسي للعلماء في عهد المرابطين**، ص124.

[8] ابن العربي، أبو بكر محمد المعافري : **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم**.تحقيق محب الدين بن الخطيب، دار الصادر ، بيروت ،ص16.

وقد برز في هذه الفترة تنافس حادّ بين رجال الفقه ورجال التصوف إلى درجة أصبح الصراع بينهما شديدا، ولعل من أبرز محطات هذا الصراع حادثة إحراق "**كتاب إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي(ت505 هـ/ 1112** م)"[1] وملخّصها أن بعض الفقهاء المرابطين عارضوا كتاب الإحياء وأفتوا بمنعه من التداول، ولم يقف الأمر عند هذا الحد وحسب، بل أمروا بإتلافه وحرقه بعد إصدار فتوى من أمير المسلمين "**علي بن يوسف بن تاشفين**" ،ووقعت هذه الحادثة سنة **503ه/1110م**[2]. فلما وصل "**كتاب الإحياء**" إلى **المغرب والأندلس**، وقرأه الفقهاء سخطوا عليه وأنكروا كثيرا من المسائل التي وردت فيه، وزعموا أنها مخالفة للدين[3]،وكان "**أبو عبد الله محمد بن حمدين** (**ت508 / 1115 م**)"[4] من أشد الفقهاء مبالغة في معارضته[5]، ورفع مع فقهاء **قرطبة** الأمر إلى أمير المرابطين الذي أمر بحرق جميع النسخ التي دخلت **المغرب والأندلس**[6].

حيث ذكر صاحب **الحلل الموشية**: "إن الفقهاء تكلموا في كتاب الإحياء وأنكروا فيه أشياء"[7] ، **والتادلي** قال: "ذكرت فضائل الإحياء، وما طعن عليه علماء الدين الذين أظهر

---

[1] بن حمادي عمر: **من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، نسبة الفتاوى إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره**، مجلة دراسات أندلسية ، المطبعة المغاربية ، تونس 2007م،العدد25، ق1 ،ص77.

[2] ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن عبد الملك : **نظم الجمان في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن 6ه** ، تحقيق محمود علي مكي،طبعة ، تيطوان ، المغرب،ص14.

[3] الفيومي، المرجع السابق، ص ص185- 186. هارون ، المرجع السابق، ص73.

[4] من كبار رجال الأندلس وزعمائها في وقته ، تولى للمرابطين الشورى ثم قضاء الجماعة بقرطبة ، أنظر :ابن عطية ، المصدر السابق، ص ص111- 112.

[5] الفيومي محمد إبراهيم: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص186.

[6] **أنظر**: ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص59؛ مؤلف مجهول : **الحلل الموشية**، ص75 ؛ ص27وما بعدها.

[7] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص404.

عوارهم"[1]. أماّ صاحب **كتاب بيوتات فاس الكبرى** فقال: " إن العلماء تكلموا في الإحياء لما وجدوا فيه من أحاديث موضوعة وضعيفة لا أصل لها"[2] ،بينما " عبد الواحد **المراكشي"** فربط قضية الإحراق بمحاربة العلماء المرابطون لعلم الكلام[3]، أما الدراسات الحديثة من بينها دراسة "**حسن إبراهيم حسن**" في كتابه "**تاريخ الإسلام**" ،فأرجع الحرق لسببين ،الأول منها أن الاتجاه الفقهي لهذا الكتاب يسير على المذهب الشافعي، والثاني أن الكتاب يسير على التصوف الفلسفي الذي منعته المالكية[4] ،**و"حسن أحمد محمود"** الذي رأى أن الإحراق تم لأن الفقهاء اعتبروا "**الغزالي**" من أهل الرأي [5]، أما "**عبد الله عنان**" فجعل أهم عوامل الإحراق إلى الحملة التي شنّها الغزالي على فقهاء الفروع ووصفه لهم بالمجانين لأنّهم يجهلون علم الأصول الذي بيّن أهميّته[6]،ويمكن إيجاز أسباب الحرق فيما يلي:

1-معارضته للفقهاء العاملين بدينهم لدنياهم[7]،جاعلين الفقه مقصورا على العلم بالحلال والحرام فقط[8]،في الوقت الذي جعل "**الغزالي**" للفقه معنى أسمى من ذلك، باعتباره العلم الذي يوصل إلى

---

[1] التادلي، المصدر السابق ، ص36.

[2] مؤلف مجهول: **بيوتات فاس الكبرى،** ص33.

[3] المراكشي : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، ص122.

[4]حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،** ط15، دار الجيل ، بيروت ،1998م ،ج4، ص436.

[5]حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،** ط2، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، 1992م، ص446.

[6] عبد الله عنان ، **عصر المرابطين والموحدين،** ص ص78- 79.

[7] أفرد **أبو حامد الغزالي** الباب السادس من كتابه الإحياء للتكلم عن علماء السوء وفقهاء الدنيا المغرورين،."أنظر: الغزالي:**إحياء علوم الدين وذيله المعنى عن جمل الإسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل**،تحقيق محمد دالي ، ط3، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت،1998م،ج1، ص69.

[8] الهرفي: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين،** ص326؛ بن بية،المرجع السابق، ص126.

تصفية النفوس[1]، بالإضافة إلى احتوائه على الكثير من الأمور التي رأى فيها الفقهاء تحريضا للعامة عليهم ،خاصة وأنّهم تمتعوا بسلطة واسعة في هذه الفترة[2].

2- اعتماده على الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة[3] الأمر الذي جعل بعض العلماء الكبار يثورون ضدّه أمثال "**الطرطوشي**" الذي قال عن الغزالي أنّه ملأ كتابه المسمى "**إحياء علوم الدين**" بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم" [4].

3- ميل الغزالي للمتصوفة على حساب الفقهاء الأمر الذي جعلهم يصدرون فتوى بإحراقه[5].

فهذه هي أهم العوامل التي دفعت العلماء والفقهاء إلى إصدار فتوى الإحراق ، حيث صدر هذا القرار بإجماع من السلطتين السياسية والعلمية ، لكن بالرغم من ذلك فإن هناك من العلماء من عارضها وندد بها تنديدا شديدا[6]، من بيهم "**أبو الحسن علي بن عبد الحقّ البرجي"**[7] ،و"**أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي"** [98] ،بالإضافة إلى "**أبي القاسم بن ورد**

---

[1] الغزالي المصدر السابق، ج1، ص32.

[2] الهرفي ، المرجع السابق، ص ص326- 327.

[3] ابن تيمية تقي الدين : **مجموع الفتاوى،** تحقيق عبد الرحمن بن قاسم ساحة وابنه محمد، مكتبة المعارف، الرباط، مج10، ص ص551، 552.

[4] الونشريسي أحمد بن يحي : **المعيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب** ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، مطبوعات دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1981م ، ج12، ص186.

[5] الهرفي ، المرجع السابق، ص327.

[6] حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** ط1، مكتبة الخانجي ، مصر 1980، ص453.

[7] المقرئ المتوفى **سنة 509هـ/1116م أنظر ترجمته** :ابن الأبار، المصدر السابق ، ص278وما بعدها.

[8] من قلعة بني حماد توفي سنة 513هـ/1120م، كان من أهل العلم والفضل ،ومن المتبعين طريق السلف الصالح، **أنظر**: التادلي : **التشوف على رجال التصوف،** ص96وما بعدها.

[9] التادلي، نفس المصدر، ص 96.

التميمي"[1]، والقاضي "**عياض بن موسى اليحصبي**" الذي قال: "لو اختصر هذا الكتاب واقتصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتابا مفيدا"[2]،و "**شيخ الإسلام ابن تيمية**" الذي قال:"والإحياء فيه فوائد كثيرة وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ،وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب ،وغير ذلك من العبادات والآداب ما هو موافق للكتاب والسنة أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس و تنازعوا فيه"[3]. وبما أنّ "**ابن رشد الجدّ**" كان من كبار علماء العصر، ولأن الفتوى تمت بإجماع أغلبهم، فلا يمكن أن تجاوز هذه الحادثة دون التعرّض لمعرفة موقفه منها.[4]

لأنّ نسبة موقف كهذا له وزن و بعد تاريخي هام، خاصّة وأنّ زعامته العلمية لم تكن محلّ أيّ نقاش والدلائل على ذلك لا حصر لها، منها ما ذكره تلميذه "**أبو الفضل عياض**"[5]، الذي أكدّ أنّه: " كان زعيم فقهاء وقته بأقطار **الأندلس والمغرب**[6] "، وأنّه كان إليه المفزع في المشكلات ،"[7] غير أن أغلب مصادر العصر لا تصرّح باشتراك "**ابن رشد**" في فتوى الحرق ،وإن كان إجماع أغلب الفقهاء يوحي باشتراكه معهم، من بينها ما أورده "**صاحب كتاب الطبقات الكبرى**" الذي قال: " وأفتوا بتكفير الغزالي رضي اللّه عنه ،وأحرقوا كتاب الأحياء ثمّ نصره الله تعالى عليهم، وكتبوه بماء الذهب، وكان من جملة من أنكر على الغزالي، وأفتى بتحريق كتابه،

---

[1] الجراري عباس: **صبابة أندلسية ، دراسة مهداة إلى يوسف بن تاشفين** ، ط1، منشورات نادي الجراري ،الرباط ، 116هـ/1995م ، ص127.

[2] ابن عياض محمد، **التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق محمد بن شريفة، ط2، مطبعة فضالة ، المحمدية،1982م ، ص106.

[3] ابن تيمية ، المصدر السابق، مج10، ص ص551- 552 .

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق ، ص288.

[5] بن حمادي عمر،المرجع السابق ص ص 77-78.

[6] عياض: **الغنية**، ص 55.

[7] عياض: **الغنية**، ص55

"**القاضي عياض" و "ابن رشيد"**، فلّما بلغ ذلك دعا على "**القاضي عياض**" فمات فجاءه في الحمّام يوم الدعاء عليه " [1].

بالرغم من التصريح الذي يحمله هذا النصّ، لكن ما أورده مشكوك فيه ، إذ يلاحظ عليه التناقض في عدّة أوجه منها أن حادثة الإنكار وعملية الحرق تمت و"**عياض بن موسى اليحصبي**" مازال تلميذا يطلب للعلم، وكان قد اتصل بشيخه "**ابن حمدين**" ،وذكر أنّه جالسه كثيرا وقرأ عليه بعض رسائله، وردوده على "**الغزالي**" وسمع بعضها، فكيف يشترك التلميذ في الفتوى وهو لم يستكمل الأدوات ولم تتوفرّ فيه شروط الفتوى، وكيف يصفه بالقاضي، وهو مازال طالبا في حين أنّه لم يصف ابن رشد بنفس الوصف، كما أورد "**الشعراني**" أنّ الغزالي دعا على "**القاضي عياض**"، ولم يدعُ على **ابن رشد،** وكان لذلك الدعاء أثر سريع ،وهو موت "**القاضي عياض**" فجاءه في الحمام يوم الدعاء عليه. [2]

يبدو أنّ هذا القول بعيد عن الصواب، لأنّ "**القاضي عياض توفي سنة 544هـ/1150م**" أي بعد وفاة **الغزالي** بـ 39 سنة، فمتى دعا عليه ؟ وكيف مات يوم الدعاء عليه، **أمّا موقف ابن رشد** من هذه الحادثة الفقهية السياسية ، فأوافق التليلي إلى ما ذهب إليه في أنه يبقى محلّ احتمال وموطن ريب وشك، فربّما يكون "**ابن رشد**" قد اختار السلامة من الناس، وأراد البعد عن الخوض في الفتنة بين علماء المسلمين وهذا خلقه، خصوصا وأنّ "**الغزالي**" قد وجد أنصارا لكتابه من علماء **الأندلس** ممّن سبق لنا ذكرهم [3] .

نستنتج من خلال عرض أحداث هذه القضية وتحليلها أن فقهاء المذهب المالكي في عصر **ابن رشد** (في عصر المرابطين) كانوا يتصرّفون على أساس أن الحق واحد وأنه من جهتهم فقط،

---

[1] الشعراني ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، الشافعي المصري : **الطبقات الكبرى**،ط1 ، دار الجيل،بيروت، ج1، **1988** م ص 17.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 288 .

[3] التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات**، ص 290 .

لذلك حاربوا كل من يعارض مبادئهم ، خاصة وأنهم وجدوا دولة وجهازا حاكما يساند توجهاتهم ويسير حسب تعليماتهم.

ب- نشاطه العلمي:

بعدما ظهرت الإمكانيات العلمية **لابن رشد الجد** واستوعب من المعارف ما رشّحه لإلقاء الدروس ونشر العلم ، نزل إلى ساحة البذل والعطاء، فأظهر نشاطا وهمّة كبيرة في التدريس، وقطع في التأليف أشواطا، إلى أن قدّم للفتوى التي نال بها الحظوة والشهرة ، فجلس لتدريس الطلبة الذين توافدوا عليه من مختلف الأقطار ، وكان ذلك بتشجيع خارجي من شيوخه وأسرته خاصّة والده الذي أراد أن يحقّق له رغبته في حياته[1].

بالرغم من أنّ المصادر التي بين أيدينا لم تزوّدنا بتاريخ مضبوط لبداية اشتغال **ابن رشد الجد** بالتدريس ،إلاّ ما توصل إليه أحد الباحثين من استنتاجات تفيد أنّه توجّهت إليه الأنظار واستقطب العلماء والفقهاء النظار ما بين سنتي **490 هـ/1098م – 496هـ/1103م**[2]، أي في فترة قضاء **محمّد بن عيسى التميمي**[3] ،وذلك بناء على ما جاء في إحدى **فتاوى ابن رشد،** وهي مسألة حول الزيادة في مسجد **سبته** سئل عنها الفقيه القاضي ابن عيسى التميمي أيام قضائه بها إذ اختلف أهل العلم عليه[4]، كما ذكر **ابن عذاري** تاريخ البناء والزيادة في جامع **سبتة** في قوله:"وكان **يوسف بن تاشفين** قد أمر القاضي محمد بن عيسى، ببنيان جامع **سبتة،** وزاد فيه حتى أشرف على البحر، وكان بنيانه عام واحد وتسعين"[5].

إنّ الوصول إلى تحديد هذه السنّة وضبطها، يعني إثبات عدّة أمور منها:

---

[1] التليلي ، نفس المرجع ، ص 230؛ لعطاوي، المرجع السابق، ص112.

[2] التليلي ، المرجع السابق، ص 227.

[3] عياض، **الغنية**، ص 27 وما بعدها؛ مخلوف :**شجرة النور الزكية**، ص 124.

[4] ابن رشد، **الفتاوي**، س1، ص 262.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 58.

1- انتشار سمعة **ابن رشد الجدّ** كشخصية علمية معترف بها من طرف الجميع سواء **بقرطبة** وغيرها من برّ العدوة المغربية والأندلسية، إلى درجة توجّه كبار الفقهاء والقضاة العلماء في حلّ مشاكلهم والإجابة عن تساؤلاتهم.[1]

2 ـ بدأ **ابن رشد الجدّ** التدريس والإفتاء في سنّ مبكرة، وهو فوق الأربعين من عمره ،ولئن كانت السنوات الأولى هي بداية الرواية والإسماع أي أنها سنوات التجربة والاحتكاك بالطلاب والأصحاب، فإنّ السنوات الأخيرة من 5هـ/11م ، كانت كاشفة لمكانة **ابن رشد** العلمية، ومبرزة منزلته الفقهية بين أقرانه، معلنة عن الاعتراف له بدقة الفقه وصحّة الرأي، مبيّنة أنّه كان مشاركا بعض شيوخه في اهتمام التلاميذ به، و اتجاههم إلى حلقات دروسه، كاهتمامهم بشيوخه والرواية عنه كالرواية عن شيوخه.[2]

فنجد مثلا **أبو مروان عبد الرحمن بن قزمان القرطبي**[3]، سمع من **ابن رشد** وتفقه به في الوقت الذي كان يستمع إلى شيخه **محمد بن فرج** السابق الذكر، و **عبد الملك بن مسرّة بن خلف بن فرج بن عزيز القرطبي**(**ت552هـ/1158م**)[4] ،أخذ عن **محمد بن فرج** وسمع منه **موطأ مالك** خاصّة، واختص **بابن رشد** وتفقه به ولازمه[5]، وغير هؤلاء العلماء كثير ممّن أخذوا عن شيوخه، وتفقهوا به فمن الثابت أنّ

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات**، وما بعدها ،ص 228.

[2]نفسه.

[3] استوطن **أشبونة** وبها توفي عن يناهز الخامسة والثمانون سنة (**525هـ/1132م**) ،درس الفقه على يد **ابن رشد** والحديث على يد **أبي علي الصدفي**، فكان آخر الرواة بالسماع عنه، واعتبر من كبار العلماء، وجلّة الفقهاء، مقدّما في الأدباء والنبهاء. **أنظر**: ابن الأبار، **المعجم**، ص 243 وما بعدها.

[4] كان من بين أعلام عصره في الفقه والحديث والأدب، أخذ من محمد بن فرج الموطأ سماعا ، وكان من أصحاب طاهر بن مفوز. أنظر:ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص ص 534-535.

[5] ابن الزبير أبو جعفر: **صلة الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهرّاس- سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1993م ، ص 239 وما بعدها.

ابن رشد قد جلس إلى التدريس وبعض أشياخه الذين تتلمذ عليهم لزالوا أحياء،و تقدّمه إلى تكوين حلقة بالمسجد الجامع **بقرطبة،** لم يسبّب لهم أيّ نوع من الإحراج وإنّما على العكس من ذلك، رأوا فيه امتدادا لأنفسهم واستمرارا لآثارهم ونشرا لعلومهم ومواصلة لنشاطهم التعليمي.

هكذا بدأ ابن رشد الجدّ التدريس بالمسجد الجامع **بقرطبة،** أين كانت تعرض مجالس الرواية والإسماع ،فاشتهر مجلسه بين مجالس شيوخ العلم بقرطبة، وانتشر صيته بينهم ،فتوجّه إليه الراغبون في أخذ العلم عنه ، حيث اشتهرت دروسه بين أصحابه ، وانتشرت كثيرا وراجت سمعته في سائر أقطار **الأندلس والمغرب**[1]، و توافد إليه الطلبة من مختلف الجهات بالرغم من أنّ **ابن رشد** كان يقيم **بقرطبة،** فلقد كانت تأتيه الأسئلة من **القيروان، وسبتة، ومراكش وبجاية،** و **إشبيلية** و **جيان** ،ومن **بلنسية** و**شلب والمرية وبياسة وباغة،** وغيرها من المدن المغربية والأندلسية، علما أن هذا السلوك والوعي الحضاري ما يدل إلا أن **ابن رشد،** كان مرجعية فقهية معترفا بها من العامة والخاصة[2].

حيث كان يستفتى حتى من كبار العلماء ، من بينهم "**القاضي عياض**" الذي كان على جلالة قدره يرجع أثناء توليه القضاء إلى شيخه "**ابن رشد**" ،ويكاتبه فيما يعرض عليه من قضايا تكون محل اختلاف بين الفقهاء المحليين مستنجدا برأيه ومهتديا بهديه مما سيأتي توضيحه في الفصل الخاصّ بالفتاوى، و"**أبي المطرف الشعبي المالقي" ،و "أبي مروان بن مسرة"** وغيرهم من كبار المفتين في ذلك العصر ، كما أنه كان يستفتى حتى من أمراء المرابطين[3]، فمن دونه إذن؟ حيث حقق ابن رشد الجدّ نجاحا ملموسا في ميدان التربية والتعليم وتخرّج على يده الكثير من طلبة

---

[1] التليلي، المرجع السابق، ص 230 وما بعدها

[2] بوشتيش إبراهيم القادري :المرجع السابق، ص 85؛ بلغيث ، المرجع السابق،ج1، ص 225.

[3] القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** ، تحقيق محمد بن شريفة ، ط 2، 1997م ،دار الغرب الإسلامي،ص13- 14.

العلم ممن وصلوا إلى مراكز الإمامة والإفتاء والتدريس، وهؤلاء نماذج ممن أخذوا عنه من مختلف الأمصار:

فتتلمذ على يده من **قرطبة** ، "**أبو الحسن بن الوزان**" الفقيه المحدث ، الذي تولى جمع فتاويه وأجوبته ، حيث سأل ابن الوزّان شيخه "**ابن رشد**" أن يجيزه مروياته، وجميع ما يحمله أو ألفه، أو وضعه أو أجاب عنه في القديم والحديث ولجميع أصحابه، وكلّ من أحب أن يحمل عنه من المسلمين، فأجاب طلبه برحابة صدر جاعلا إيّاه لوجه الله تعالى[1].

و"**محمد بن عبد الله بن خيرة القرطبي**" الذي تفقّه "**بابن رشد**"، وبنظيره "**ابن الحاج**" وغيرهما.[2] **و"محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري"**، الذي روى عن ابن رشد ولازمه مدّة طويلة بلغت عشرين سنة أو عشر سنين، وسمع "**ابن الباذش** "،و"**ابن الحاج** "و"**ابن عتاب**"، وغيرهم من العلماء[3]، وكان متقدّما في علم اللّسان، ومتصرفا في غيره من فنون العلم حافظا وشاعرا مجيدا.[4] .

و"أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعودين موسى بن بشكوال الأنصاري القرطبي"، بقية المستندين **بقرطبة** والمسلّم له بحفظ أخبارها ومعرفة رجالها، سمع بها أباه و "**ابن عتاب**" و"**ابن الوليد بن رشد**"، روى عن الكبار والصغار ورحل الناس إليه وانتفعوا من علمه، فسمع منه خلق كثير من بينهم "**ابن رشد الحفيد**"[5] ،له تصانيف كثيرة جدا ذكر "**مخلوف**" أنها ألفا وخمسين تأليفا، منها "**كتاب الصلة** "، وكتاب" **الغوامض والمبهمات** "في اثني عشر جزء،

---

[1] ابن الأبار : **المعجم** ، ص 162 وما بعدها.

[2] (**ت551هـ/1157م**)،أنظر: ابن الأبار،نفس المصدر ، ص ص 173- 174؛ مخلوف، المرجع السابق،ج2، ص 208.

[3] (**ت567هـ/1171-1172م**)،أنظر :ابن الأبّار، **التكملة،ج2**، ص 511.

[4] مخلوف، المرجع السابق، ص 149.

[5] ابن الأبار، المصدر السابق ،ج1، ص 305.

و"**كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة**" في عشرون جزء وغيرها كثير[1]، **وأبو القاسم أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن محمد القيسي**، الذي روي عن **ابن رشد** بالإجازة العامة لصغر سنة[2]، وغيره كثير من القرطبيين.

أما من **غرناطة** فتتلمذ على يده كلّ من "**أبي عبد الله عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف بن سعيد بن هشام الأنصاري**" المعروف "**بابن أبي الفرس**" ، الذي روى عن جماعة من أعلام **قرطبة** وأخذ عنهم "**كابن عتاب**"، و"**ابن رشد**"، "**وابن الحاج**"[3]. و"**أبي إسحاق إبراهيم بن الحاج بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الغرناطي** "، الذي سمع أثناء رحلته من "**ابن رشد**"، وأجازه آخرون من بينهم "**الطرطوشي**" و"**المازري**"، وقد كان "**إبراهيم بن الحاج**" من أهل التفتن في العلوم، والتقدم في القراءات والمشاركة في الحديث ومسائل الفقه وكان نافذا في الأحكام[4]، ومن المرية أخذ عنه "**أبو القاسم بن ورد التميمي**"[5] الذي سمع من "**أبي علي الغساني**"، "**عبد الله بن العسال الزاهد**"[6] وغيرهما، وقام بالمناظرة عند" **ابن رشد الجدّ**"، وقد اشتهر بعلمه وحفظه، وإتقانه وتفنّنه في العلوم، حتى قيل أنّه "لم يكن

---

[1] مخلوف، المرجع السابق، ص 145.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق،ج1، ص 84.

[3](**ت567هـ/1172م**)، **أنظر ترجمته** ، ابن الأبار، **المعجم**، ص 184، وما بعدها.

[4](**ت579هـ/1184م**)، **أنظر ترجمته** ، ابن الأبّار، **التكملة**، ج1، ص 155؛ مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ص 155.

[5] ابن بشكوال : **الصلة** ،ج1، ص 83 وما بعدها.

[6] (**ت587هـ/1092م**)كان متفننّا، فصيحا، لسنا، غلب عليه حفظ الحديث والأنباء واللّغة والآداب، وكان عارفا بالتفسير، أنظر ترجمته: ابن بشكوال، نفس المصدر السابق، ج1، ص 676.

بالأندلس مثله"[1] ،وإليه انتهت رئاسة المذهب المالكي بعد شيخه "**ابن رشد**"[2]، وإلى "**أبي بكر بن العربي**" ،ولم يتقدّمهما أحد في الأندلس بعد وفاة ابن رشد[3].

أما من **إشبيلية** فانتقل للأخذ عنه "**أبو الحسن علي بن يعيش**"[4] و"**أبو بكر عبد الله بن يحي بن فرج بن الجدّ الفهري**"[5] إلى **قرطبة**، وتتلمذوا على يد **ابن رشد** وأقرانه ومن **أريولة** أخذ عنه "**أبو القاسم بن فتحون الأريولي**"[6] الذي كان له سماع من أبيه، و "**والباجي**" و"**ابن العربي**" وغيرهم، إلاّ أنّه كان كثير السماع "**لأبي علي الصدفي**"، وقد أجازه "**أبو الوليد بن رشد**" وغيره من فقهاء قرطبة، وكان من أهل العلم والمعرفة والأدب والشعر.

ومن **بلنسية** رحل "**أبو الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري**"[7] ، المعروف "**بابن النعمة**" إلى **قرطبة**، وأدرك الكثير من علمائها الكبار، فتفقه "**بابن رشد**" و"**ابن الحاج**"، وسمع الحديث من "**أبي محمد بن عتاب**"، و"**أبي الحسن بن مغيث**"وغيرهم،ومن **جيان** **Jaen**[8] أخذ عن **ابن رشد** ، "**محمد بن علي بن محمد النفزي**"[9] ،الذي تفقه به و"**بابن العواد**"، و"**بابن الأصبغ**" وغيرهم من نظراءه، كما

---

[1] ابن الأبار، **المقتضب** ، ص 94؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص ص 31- 32؛ ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص 104.

[2] مخلوف، المرجع السابق، ص 134.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**،ج1، ص 17.

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 232.

[5] المتوفي **586هـ/1191م** ،**أنظر** : ،ابن الخطيب ،**الإحاطة**،ج1، ص 372 وما بعدها.

[6] خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بن خلف الأريولي، **أنظر ترجمته** ،ابن الأبار، **المعجم**، ص 90.

[7] علي بن عبد الله بن خلف بن محمد المتوفي **597هـ/1201م** ،**أنظر** ،الضبيّ: **بغية الملتمس** ، 371.

[8] تقع شرق **قرطبة**، وهي متصلة بكورة **البيرة**،، أنظر: **ابن الخراط الاشبيلي**، **في اختصار اقتباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولينا وخاُسينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد 1990، ص 135.

[9] ابن الأبّار، **التكملة**،ج1، ص 443.

رحل "**أبو عبد الله محمد بن عبادة الأنصاري**"[1]، إلى **قرطبة**، وأخذ عن الكثير من علمائها، وتفقّه بابن رشد وبنظرائه.

ومن **سبتة** تفقّه به "**القاضي عياض بن موسى اليحصبى**" السابق الذكر[2] ، ومن **الإسكندرية** أخذ عنه" **أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم** "بقية المسندين المعمّرين، وخاتمة المحدّثين المكثرين، كتب من **الإسكندرية** إلى علماء **قرطبة** من بينهم ابن رشد، فأجاز له جمعهم[3] .

وغير هؤلاء العلماء كثير، وهذه الكثرة من الطلبة ما تدل على مكانة و جلال قدر **ابن رشد** بين الخاصة و العامة ،علما أنه لم يهتم بالمجال العلمي فقط من درس و رواية و تأليف، و إنما اهتم أيضا بما أهمّ أهل بلده من عدوان النصارى ،فكان إلى جانب علماء عصره الذين تزعموا مجتمعاتهم لرد الظلم و الطغيان عنه.

2- علاقته بالسلطة المرابطية:

حظيت وظيفة القضاء بعناية ومكانة خاصّة في العهد المرابطي حيث منحها المرابطون استقلالا واضحا ومنحوها سلطات واسعة إلى درجة أصبح القاضي هو الذي يمثل السلطة الفعلية التي تسيطر من بعيد [4]، ففي نطاقه مارس **ابن رشد** منصب قاضي الجماعة و المشورة القضائية ومن خلاله برزت مكانته العلمية وتوسعت سلطاته حيث أشرف على الهياكل الإدارية التابعة له والتي تدخل تحت أنظاره وعيّن فيها الأشخاص باختياره وتجاوبوا معه واستفتوه في كل ملمّاتهم [5]،

[1] ابن الأبار،نفس المصدر،ج2، ص ص 503-504.
[2] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص 430؛ ابن الأبار، **المعجم**، ص ص 301- 302.
[3] ابن الأبار: **المعجم** ، ص ص 55- 57.
[4] ابن رشد الجدّ: **المسائل**،ج1، ص ص 41- 42.
[5] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 218.

وهذا ما سعى إلى توضيحه احد الباحثين في قوله:" وكان الأمراء الأندلسيون يستفتون قاضي الجماعة **بقرطبة** في كلّ ما يتعلق بهذه البلاد من شؤون"[1] .

أ–ابن رشد الجدّ قاضي الجماعة والمشاورة:

عيّن "**أبو الوليد بن رشد الجدّ**" في هذا المنصب الإداري المهم، بأمر من أمير المرابطين عليّ سنة **511 هـ/1118م**[2]، إلاّ أنّ "**ابن رشد**" وكعادّة كبار الفقهاء رفض توليه ،غير أنّه أمام إلحاح أمير المرابطين عليه لم يجد سبيلا لرفضه، فتولاه عن كراهية [3]، وكان ابن رشد في هذه الفترة قد جاوز الستين من عمره وهي سنّ الشيخوخة التي يكون فيها المرء قد اكتسب فيها تجارب كثيرة وحصّل علوما جمّة ونال الشهرة في دروسه وسمعة في فتواه ،ومكانة في بيئته، وكان "**ابن رشد**" أوّل من شرّف بتولي منصب قاضي الجماعة من أسرته ، ثمّ تولاها بعده ابنه "**أبو القاسم أحمد**" ثمّ حفيده "**أبو الوليد محمد بن أحمد**" إلاّ أنّه إذا كان "**ابن رشد الجدّ**" قد تولاها وهو في سنّ الشيخوخة فإنّ **ابنه وحفيده** قد تولياها في سن أصغر بكثير [4] .

ويبدو أنّ أسبقيته في القضاء وحسن سمعته وسيرته أكسبتا الابن والحفيد شهرة وجاها ممّا جعل منصب القضاء يسند إليهما في سن مبكرة عن عمر الجدّ[5]. كما يظهر أنّ اختياره من بين أصحابه وشيوخه المبرزين ،ومن بيت علمي، كان عن قصد راعى فيه أمير المسلمين "**على بن يوسف بن تاشفين**" الاعتبارات العلمية والاجتماعية والسياسية، فهو لم يختر ولم يعيّن على الأندلسيين إلاّ واحدا منهم ،ولم يوّل قضاء **قرطبة** إلاّ واحدا من مشايخها الكبار المبرزين[6]. أمّا

[1] حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 321.

[2] ابن رشد الجدّ: **المسائل**، ج1، ص ص 41-42؛

[3] مخلوف، المرجع السابق، ص 293.

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص209.

[5] نفسه.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص209.

تاريخ التولية فكان **سنة 515هـ/ 1122م** [1]، حيث أمدّنا "**ابن رشد الجدّ** "بتاريخ توليه القضاء في مقدّمة كتابه "**البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**" في قوله ":وامتحنت بتولي القضاء، وذلك في جمادى الأولى، سنة **511هـ** " [2]، وجاءت سائر المصادر موافقة لذلك[3] ولا صحّة لما أورده "**صاحب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس** "الذي جعل أمر التولية في جواز أمير المسلمين الثاني إلى **الأندلس** في قوله : " ودخل إلى الأندلس مرّة ثانية بجيوش لا تحصى فنزل **بقرطبة** وتفقدّ أحوالها، وولى ابن رشد الجدّ القضاء " [4].

أخطأ "**ابن أبي دينار**" في تقديره بدليل ما ذكره **ابن رشد** بقلمه [5]، وما أورده "**ابن عذاري**" في بيانه قائلا : " وفي سنّة احد عشر وخمسمائة تحرّك أمير المسلمين "**علي بن يوسف**" من حضرته **مراكش** إلى بلاد **الأندلس** فأجاز البحر في أواخر محرّم ،ويمّم **اشبيلية** ريثما استتب أمر الغزو، ولحقت العساكر العدوية وتأهبت العساكر الأندلسية، ولحقت **قرطبة** من الفقهاء والعلماء، ولفيف من المجاهدين الزعماء خيلا ورجلا، ... وأسند أمير المسلمين ...**أبو الوليد بن رشد** خطّة القضاء **بقرطبة** " [6]، وبدليل ما أوردته بعض المصادر من أنّ أمير المسلمين **علي بن يوسف** عبر البحر إلى **الأندلس** أربع مرات، فكان جوازه الأوّل سنة **500هـ/ 1107م**، والثاني في صدر **503هـ/ 1110م**، والثالث أوائل **511هـ/ 1118م** والرابع سنة **515هـ/1122م**[7].

[1] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية** ، ص 62.

[2] ابن رشد الجدّ : **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تحقيق محمّد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م ، ج1، ص 15.

[3] عياض: **الغنية**، ص 54 ،ابن فرحون،المصدر السابق،ص374 .

[4] ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق محمّد الشمّام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة من تراثنا الإسلامي، تونس 1337هـ، ص 109.

[5] ابن رشد: **المسائل** ،ج1، ص 15.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 64.

[7] ابن رشد: **المسائل**،ج1، ص15.

عدّ "**ابن رشد الجدّ** "هذه التولية تكليفا لا تشريفا قائلا: " وامتحنت بتولي القضاء " [1]، زيادة على ذلك فلقد تولى **ابن رشد** إمامة الصلاة بجامع **قرطبة** ،وهذا ما لمسناه في ترجمة أحد تلاميذه له في أنه كان : " قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها" [2]، إلاّ أنّ أخلاق "**ابن رشد الجدّ**" غلبت عليه فزيّنت القضاء فهو الذي وصف"بالدين والوقار والحلم والسمت الحسن والهدي الصالح " [3]، فشخصيته هذه وجميل صفاته هي التي رشحته ليصبح ذا نفوذ كبير وإشعاع واسع ،وهي التي أكسبته الهبة والاحترام، الأمر الذي ساعده على أداء وظيفته القضائية أحسن قيام حتى اشتهر ذكره وعدله وازداد مكانة ورفعة عند أمير المرابطين الذي قرّبه إليه واستشارته في أمور دولته واعتمد عليه في كبار الأمور [4].

هذا ما أثبته له تلميذه "**عياض**" في قوله : " وصار مقدّما عند أمير المسلمين عظيم المنزلة معتمدا في أيام حياته "[5]، وباعتبار "**ابن رشد**" أحد الأندلسيين، فلقد حضي لديهم بمزيد من التقدير خاصّة وأنه خدمهم بكلّ ما أوتي، وفصل في خصومتهم ونشر العدل بينهم وقمع الظالمين وأدّب أهل الفجور، وكان مثال النزاهة بعيدا عن الميل إلى الأهواء المحافظ على الدين لا يهتم بالتحامل ولا التخاذل[6].

و كان **ابن رشد** على توافق تام بينه وبين الفقهاء المشاورين، فلم نلحظ خلال توليه القضاء أنّه حدثت بينه وبينهم أيّ تصادم أو تعارض في الفتوى، مثلما حدث مع القاضي "**ابن**

[1] ابن رشد : **المسائل**، ج1، ص 15؛ التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات**، ص 211.

[2] ابن بشكوال: **الصلة**،ج2، ص 546.

[3] نفسه.

[4] التليلي المختار بن الطاهر،المرجع السابق، ص 213.

[5] عياض: **الغنية** ، ص 54.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 214.

العربي المعافري "الذي ولي القضاء **إشبيلية** [1]، فكان كثير المعارضة من طرفهم لذلك اعتبرهم غير متحرّرين ،وله غير موافقين[2]،.

كما كان بينه وبين السلطة المرابطية تجاوب كبير ، بداية من اختياره كقاض للجماعة إلى الاستعانة به في حلّ المشكلات العظمى، حتى بعد اعتزاله القضاء بقي بينهما الاحترام المتبادل، إذ كان مسموع الكلمة في شأن أهل **قرطبة** خاصة والأندلسيين عامة، حيث بقي في نظرهم عميد فقهاء **قرطبة** ورئيس مشيخة القضاء بها [3].

وقد كان قاضي الجماعة **بقرطبة** هو الذي يشرف على شؤون **الأندلس** كلها [4]، وعلّق حسن أحمد محمود في الهامش بالتمثيل "**لأبي الوليد بن رشد**" عميد فقهاء قرطبة، ومتولي مشيخة القضاة بالعدوتين[5]، ولكنّ منصب القضاء ومتطلباته أعاقه عن مواصلة مهمته التعليمية وإتمام كتبه ومواصلة نشرها ولم يستطيع التفرّغ إليها إلاّ يوما واحدا في الأسبوع اعتزل فيه الناس ولم يخرج إليهم إلاّ في الضروريات، فهو القائل أيّ **ابن رشد** : " فشغلتني أمور المسلمين عمّا كنت بسبيله من ذلك، ولم أقدر على التفرّغ إليه أكثر من يوم واحد من الجمعة، اعتزلت فيه عن الناس إلاّ فيما لم يكن فيه بدّ " [6].

مكث في وظيفته هذه أربع سنوات تقريبا **515 هـ/1122م** ، ثمّ طلب من أمير المرابطين إعفاءه عن منصب القضاء ،وكان مبرّره في ذلك أنّه يريد التفرّغ لتلامذته والعكوف لإكمال مصنّفاته من بينها كتاب **البيان والتحصيل** الذي لم يتمكن من مواصلة تأليفه بنفس

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 92.

[2] هارون، المرجع السابق، ص184.

[3] التليلي، المرجع السابق،ص214.

[4] حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 321.

[5] نفسه، الهامش رقم 4.

[6] ابن رشد :**المسائل**، ج1، ص 93.

السرعة التي بدأه بها، ولم يستطع أن يكمل منه إلاّ أربعة كتب أو خمسة في فترة توليه منصب القضاء، فاستجاب أمير المرابطين لطلب استقالته، وأورد "**ابن رشد**" ذلك في كتابه قائلا : " فما أعمل لي على هذا منه في مدّة تولي القضاء وذلك أربعة أعوام غير أيام إلاّ نحو أربعة كتب أو خمسة ،فآيست من تمامه وذكرت ذلك لأمير المسلمين "**على بن يوسف بن تاشفين**" أدام الله تأييده وتوفيقه في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها ،وغبّطته بالأجر على تفريغي لتمامه فقبل الرعبة في ذلك لرغبته فيما رغبت فيه من الثواب وأسعف الطلبة فيه لما رجاه من أن يثقل بذلك موازينه يوم الحساب ،والله يدّخر له هذه الحسنة ويبوئها من درجات النعيم أعلى درجة برحمته " [1].

لقد توصّل أحد الباحثين الى استنتاج تاريخ محدد لإعفاء "**ابن رشد**" من القضاء وهو سنة **515هـ/ 1122م** ، بناء على أنّه تقلّد القضاء أوّل جمادى **سنة 511هـ/1118م**، وما صرّح به "**ابن رشد**" بأنّ مدّة التولية كانت أربعة أعوام غير أيام بالإضافة إلى ما أورده "**ابن عذاري**" في قوله من أنّ "**علي بن يوسف**" وصل **قرطبة** في ربيع الأوّل من السنّة ،ولم يكن الإعفاء بمجرّد الوصول بل بعد مدّة وصلت إلى أيام وأسابيع انقضت في المفاوضات التي دارت بين الطرفين إثر الثورة التي قام بها أهل **قرطبة،** والتي قام فيها **ابن رشد** بدور هام في تهدئة الأوضاع حقنا لدماء المسلمين، وتأليفا لجماعتهم ،وإعادة لجوّ الانسجام بين السلطة العليا وأهل قرطبة [2].

ب ـ ابن رشد الجدّ و العمل الدبلوماسي:

إنّ تلك المكانة العلمية التي وصل إليها "**ابن رشد الجدّ**" ،جعلته يكتسب مكانة خاصة في المجتمع، حيث كان مقدما عند أمير المرابطين، عظيم المنزلة عنده معتمدا على فتواه و شوراه[3]، واستخدم "**ابن رشد الجدّ** "هذه المنزلة الرفيعة لخدمة أهل بلده حيث كان الناس يلجئون إليه

[1] ابن رشد : **المسائل** ، ج1، ص 15؛ التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 219.

[2] التليلي ، المرجع السابق، ص 222.

[3] عياض: **الغنية** ص 54.

ويعوّلون في مهمّاتهم عليه في شتى أنحاء **المغرب** و**الأندلس**[1] ، يستفتونه في المسائل الفقهية ومشاكل حياتهم اليومية التي تتطلب معرفة حكم الشرع فيها [2]، فكان ملاذهم في تلك السنين العصيبة التي عرفت شدّة الضغط النصراني على **الأندلس**، وما صحب ذلك من اضطراب وقلق شديدين [3]، إذ كانت له مواقف بارزة وإجراءات حاسمة داخل إطار دولة المرابطين التي خدمها دون أن يكون أبدا من صنف فقهاء البلاط المستسلمين للسلطة المنفّذين أوامرها [4]، فالسياسة عنده تعني المفهوم الإسلامي للسياسة، أيّ الاهتمام بالأمور العامّة للمسلمين وفق نظام معيّن ألا وهو الإسلام الذي يقوم على حفظه الخليفة أو الإمام، انطلاقا من مبدأ أساسي فيه وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

إنّ تلك المكانة الكبيرة التي وصل إليها "**ابن رشد الجدّ**" بين معاصريه جعلت السلطة السياسية في احترام دائم لآرائه وفتاويه، وهذا ما سنلمسه جليا في عدّة مواقف قام بها سواء في إطار توليه القضاء أو بعد استعفائه عنه والتي تبرز مدى علوّ شأنه وسموّ منزلته عند أمير المسلمين "**علي بن يوسف**" منها مايلي:

1- هيج العامة بقرطبة 515هـ/1122م:

لم يرجع أمير المرابطين إلى **الأندلس** عقب جوازه الثالث إليها سنة **511هـ/1118م** ما يقارب مدة أربعة أعوام ، أيّ إلى غاية سنة **515هـ/ 1122م** حين استعد بشكل مفاجئ بجيش كبير قيل أنّ حشوده لم يبلغ عددها في أي عبور سابق ما بلغته هذه المرّة، وقد اختلفت

---

[1] ابن بشكوال: **الصلة**، ج2، ص 547.

[2] أبو مصطفى كمال السيد، المرجع السابق، ص4 وما بعدها.

[3] حسين مؤنس: **شيوخ العصر في الأندلس**، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 96.

[4] عمر بن حمادي، **من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، نسبة الفتاوى إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، 2001، العدد الخامس والعشرون، ص 76.

[5] ابن رشد، **المسائل**، ج1، ص ص 30-31.

الأسباب وراء ذلك ،فمنهم من قال أنه تأثر تأثرا كبيرا بالهزيمة التي أصابت جيشه في "**وقعة كنتدة**"، فكان جوازه لتدارك الوضع [1] ، ومنهم من أورد أنّ السبب الأكثر احتمالا هو تلك الفتنة العظيمة التي حدثت بين أهل **قرطبة** والجنود المرابطين سنة **515هـ/1122م** [2]، والتي كان "**لابن رشد الجدّ**" دورا هاما إزاءها ،حيث كان في تلك الأثناء يترأس قضاء الجماعة بقرطبة فما سبب هذه الفتية يا ترى ؟

أجمعت سائر المصادر على قيام هيج العامة **بقرطبة** متردّدة في سنة وقوعها ما بين 514هـ و515هـ، "**فصاحب الحلل الموشية**" أرجع سبب الحادثة إلى أنّ أمير المرابطين "**علي بن يوسف**" قام بتولية "**أبا بكر يحي بن رواد**" على قرطبة، فاختلف مع أهلها، فثاروا عليه مما أدى إلى حدوث فتنة كبيرة جعلت أهل قرطبة يثورون ضدّه وضدّ المرابطين [3]، أمّا "**ابن عذاري المراكشي**" فنقل لنا رواية أخرى يقول فيها :" أنّه في **سنة 514هـ** نفّذ أمر أمير المسلمين إلى البلاد الأندلسية بإحياء المجانيق والآلات الحربية، فلمّا كمل منه المختص **بغرناطة** خرج لمشاهدة التجربة لها والرمي بها، "**أجداي بن سير اللمتوني**" صاحب الأعنّة ،فتزاحم هناك الجمّ الغفير فرمى الفسحة وأشار برسيخ كان في يده فأصاب صيبا في مقتله ،فمضى لوقته وانفض اللّفيف وتهرّجت البلدة، فاسترضى ولي الأمر دفع الجزية، فسكنت الثورة وأمهل الله القاتل ثمّ أخذه ،ولما كمل ما أنشأ منها **بقرطبة**، وقد جاء عيد النصر خرج ثانية عامل البلدة لمشاهدة التجربة ،وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق بمجمع حضور العيد، وحضور كلّ زاعر وناعق وكلّ حدب وشاهق، فكثر التدافع والتزاحم ودهم الحشم، فكثر بينهم التزاحم وأقبل لفيف الربض الغربي،

---

[1] عنان ، المرجع السابق،ع3 ، ق1، ص 82.

[2] عياض: **الغنية** ،ص 54؛ مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص 86؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج9، ص 235. حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 123.

[3] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 86؛ حسين حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 142.

فألقى بأسهم على القصر، وانتهب جميع ما فيه...، وركب القاضي "**أبو الوليد بن رشد**" في أعلام الفقهاء، فردع العامّة ، وقمع السلطة ". [1]

قدّم ابن الأثير معلومات أوفر حول هذه الحادثة فيذكر أنّه :" لما أقبل عيد الأضحى خرج الناس للاحتفال في **قرطبة** فاستغل أحد عبيد الوالي المرابطي فرصة خروج النساء للتنزه في ظاهر المدينة فمدّ يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين وقامت الحرب بين العبيد وأهل **قرطبة** ونشب القتال بينهما حتى حلّ الظلام، فتفرّق كلّ فريق وهو يتربّص بالآخر فاضطر الفقهاء للتدخل لتهدئة الوضع، حيث طلبوا من الوالي المرابطي أن يقتل أحد العبيد المتسببين في الفتنة حتى يكون رادعا لمن تحدّثه نفسه بأن يعبث بالتقاليد الإسلامية،فأبى الوالي ذلك وأنكر عليهم وغضب وأبدى رغبة في تأديب أهل **قرطبة** الذين قاموا بالفتنة ،فأمر بإخراج السلاح إلاّ أنّ أهل قرطبة يتقدّمهم الفقهاء بادروا بمقاتلته، فأوقعوا به وبقواته الهزيمة فتحصنّ لقصره، فحاصر الأهالي القصر ونهبوه وأحرقوا دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من بلدهم فاضطر الوالي إلى الهرب ".[2]

اتفقت سائر المصادر على حدوث الثورة بقرطبة، ووقوع فتنة عظيمة بينهم و بين المرابطين بالرغم من الاختلاف الواضح بين الروايات[3]، حيث وصل صداها أمير المرابطين الذي قام بتوجيه إنذار إلى أهل **قرطبة** إلاّ أنهم لم يرتدعوا ، فعبر إليهم بجيش عظيم من جنود المرابطين وكان هذا الجواز هو الرابع له والأخير إلى **الأندلس** [4] ، وذلك لخطورة هذه الحادثة وتهديدها مركز المرابطين **بالأندلس**.

---

[1] عنان، المرجع السابق،ع3 ، ق1، ص 82.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 235.

[3] التليلي، المرجع السابق، ص 276.

[4] ابن القطّان: **نظم الجمان**، ص 23.

حملت هذه الثورة في ثناياها عوامل أخطر وأبعد مدى، فلم تكن حادثا عابرا وإنّما كان أعمق جذورا حيث كان أوّل ثورة علنية ضدّ الحكم المرابطي **بالأندلس**، وفي استعداداته لها وجوازه لمعالجتها يبين تخوّفه الشديد من العواقب الوخيمة التي يمكن أن تخلّفها [1]،والدليل على ذلك أنّه لما وصل **إلى قرطبة**، لم يخرج أحد من أهل **قرطبة** لاستقباله ،وإنّما عملوا على إغلاق أبواب المدينة في وجهه واستعدوا لمقاتلته[2].

بالرغم من أنه لم يحدث أيّ صدام أو عراك بينهما، وإنّما فضّل القرطبيون التحصن داخل أسوار المدينة ، كما فضّل أمير المرابطين عدم دخولها عنوة مع أنّه لديه الإمكانيات لذلك ،وتحلّى بالصبر والحلم ومال إلى المسالمة ؛ تجنّبا لإثارة غضب الأندلسيين[3].

في ظلّ هذه الظروف تردّد إليه أعيان **قرطبة** وفقهائها شارحين له الوضع ،ودارت بينهما مفاوضات للصلح بين الطرفين، وقد برز "**ابن رشد الجدّ**" من سائر الفقهاء والأعيان **بقرطبة** حيث لعب دورا بارزا ونشيطا ،وأظهر من الحزم والحنكة السياسية ما أرجع الثقة إلى النفوس بين المرابطين ، أمّا بالنسبة لأهل **قرطبة** فثقتهم به تامّة فهو واحد منهم وكبير قضاتهم وزعيم فقهائهم.

حيث ذكرت المصادر أنّ أمير المسلمين "**علي بن يوسف**" قام باستدعاء " **ابن رشد الجدّ** "وأعيان قرطبة للتحاور في شأن هذه الثورة التي انجرت عنها خسائر كبيرة ، فما كان أمامهم إلاّ استغلال هذه الفرصة لتذكيره بوصية أبيه في أن يقبل من أحسن من أهل **قرطبة** ويتجاوز عن مسيئهم[4] ، إلاّ أنّ "**محمد بن داود**" الذي حضر مع أمير المرابطين عظّم الأمر وبالغ في تصوير شناعته حيث وصفه بأنّه افتراء وعصيان واغترار لحلم أمير المسلمين، فوقف "**ابن رشد الجدّ**" له بالمرصاد ودافع عن موقف أهل المدينة دفاع من يقاتل عن عرضه ودمه،و بيّن ووضّح الأمر لأمير

[1] عنّان، المرجع السابق، ع ،ج3 ق1، ص 83.

[2] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج9، ص 235.

[3] حسين حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص ص 144-145.

[4] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص 83.

المرابطين "**علي بن يوسف**"في أنّهم لم يشقوا عصا ولا نبذوا طاعة والي المرابطين **بالأندلس**، وإنّما كان من الأجدر بالوالي أن يعاقب المذنب من عبيده، فمال **أمير المرابطين** لرأيه، وطلب منهم القبض عليهم فذكر له "**ابن رشد** "أنّه ليس لهم القدرة على حصرهم ،وإنّما يحصرهم صاحب الأمر ،وبذلك انتهت هذه المفاوضات والمناقشات الحادة على أن يقوم أهل **قرطبة** بالتعويض لما نهب من المرابطين. [1]

خرج "**ابن رشد الجدّ** "من هذه الحادثة زعيما لأهل **قرطبة**[2] حيث فرض من موقعه كقاض للجماعة سلطة قوية على المؤسستين العلمية والسياسية[3]، إذ دافع عن أهل بلده أمام أمير المرابطين دفاع من يحمي عرضه وماله، وحمّل الوالي المرابطي مسؤولية هذه الحادثة دون أن يخاف لومة لائم ، كما يرجع إليه الفضل في تهدئة سكان قرطبة ، وبذلك حال دون وقوع حرب وخيمة النتائج، فضلا عن أنّه قام بدور المفاوض بين السلطة المرابطية وأهل بلده [4]، وهذا ما يدّل إلاّ على شخصيته القوية التي فرضت نفسها على الأحداث ، وهذا ما زاده إلاّ رفعة وفخارا، رغم كبر سنّه، حيث تصرّف بحكمة مراعيا في ذلك نظام الدولة التي ينتمي إليها ، كما تميّز بتقديمه المصلحة العامّة على مصلحته الشخصية، فلم يكن المستغلّين للأوضاع من أجل الاستقلال عن السلطة العليا [5].كما فعل القضاة في نهاية الدولة المرابطية [6].

---

[1] عنان، المرجع السابق،ع3، ق1، ص 84.

[2] عياض: **الغنية** ، ص 54.

[3] المغراوي محمد: **مسائل العملة و الصرف و الأسعار في العهد المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد** ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية. المملكة المغربية ،الرباط1974م ص 61.

[4] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص ص 277-278.

[5] هارون ، المرجع السابق، ص 190.

[6] أنظر تفاصيل أوفر حول هذه الثورات ،ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، ص ص 252-253.

2- رحلته إلى مراكش :

قام "**ابن رشد الجدّ**" أيضا بدور السفير للأندلسيين ، الرافع مشاكلهم وهمومهم إلى السلطة المرابطية ، وهذا ما يتبيّن من الرحلة التي قام بها سنة **520هـ/ 1126م** إلى العاصمة **مراكش** ، في الوقت الذي كان فيه منشغلا انشغالا كبيرا بالعلم للقاء أمير المرابطين، والتحدّث معه في أمر بالغ الأهمية من الناحية السياسية والعسكرية لا يستحقّ التأجيل ،ألا وهو تغريب النصارى المعاهدين الخائنين لعهد الإسلام لهم [1] ، و وقوفهم إلى جانب "**ألفونس المحارب المعروف بابن رذمير**" في حملته على أراضي الإسلام **بالأندلس**.

تعرّض المسيحيون **بالأندلس** خلال هذه الفترة لحادثة شديدة التي شكّلت معلمة أساسية بين أوساطهم؛ إذ تمّ إجلائهم ونفيهم من **الأندلس** إلى **المغرب**[2]، على عهد "**علي بن يوسف بن تاشفين**" ، هناك اختلاف في تحديد سنة النفي فبعض المصادر [3]، ذكرت أنّها وقعت سنة **518هـ/ 1125م** في حين ذهبت أخرى إلى تحديد سنة الوقوع ب **520هـ/1126م** [4]، وهي السنّة الأرجح لأنّ **غزوة"ابن ردمير المحارب"** لم تنته إلاّ في تلك السنّة، ورحلة **ابن رشد** كانت في السنّة نفسها هذا ما أثبته تلميذه " **ابن الوزّان** "لاتصاله بشيخه وضبطه أخباره ضبطا دقيقا[5].أما عوامل عملية التغريب فتمثّلت فيما يلي:

---

[1] إحسان عبّاس، **بحوث وآراء في الأدب والتاريخ**، ص 416؛ دندش عصمت عبد اللطيف: **أضواء جديدة على المرابطين**، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.، ص ص 113-114.

[2] بوشتيش إبراهيم القادري : **مباحث في الحياة الإجتماعية عصري المرابطين والموحدين،** الطبقة الأولى، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.، ص 78؛ عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عصر المرابطين** ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، 1987م، مج 5، ص142وما بعدها.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 74 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ،مج1 ، ص114.

[4] النباهي :**تاريخ قضاة الأندلس**، ص 131؛ مؤلف مجهول: **الحلل الموشية** ،ص 90.

[5] ابن رشد، **الفتاوي**، ص ص 1523-1524.

1–المكائد التي نصبها نصارى **غرناطة** للمسلمين وخيانتهم لهم حينما قاموا باستدعاء "**ألفونسو المحارب**" ملك **أرغون** لغزو مدن **الأندلس** واعدين إياه بمساندته والوقوف إلى جانبه . حيث قام ابن رذمير بدخول **الأندلس** من الجهة الشرقية ثمّ مرّ على **بلنسية ودانية ومرسية** مخربا كلّ ما يجده في طريقه ،والمعاهدون ينضمّون بأعداد كبيرة إلى جيشه حتى وصل **غرناطة** في **1126م/ 520هـ** ،بالرغم من أنّه لم يستطع دخولها. في الوقت الذي كان يطارده الأمير المرابطي "**أبو الطاهر تميم**" فوقعت بينهما سنة **519هـ/ 1125م** في" **فحص الرنيسول**" موقعة هزم فيها المرابطون[1] .

2 –قطع أحلام "**ألفونسو المحارب**" ، بتكرار الهجوم على مدينة ذات أهمية اقتصادية هامة **كغرناطة** التي عرفت بكثرة مواردها الاقتصادية كالقمح والشعير والكتان ،وكثرة مرافقها من الحرير والكروم والزيتون وأنواع الفواكه وكثرة العيون والأنهار [2].

3 – منع هجرة الأيادي العاملة لتعمير المناطق الفارغة التي استردّتها القوى النصرانية، وعدم حرمان بيت مال المسلمين من موارد هامّة تتجلى في الجزية التي كان يؤدّيها أكثر من 12 ألفا من المعاهدين، بالإضافة إلى الضرائب التي كانت تجبيها على أراضيها الخراجية، واستغلال الخبرة المسيحية في تنمية الأراضي الزراعية وجلب الأيادي العاملة نحو المغرب الأقصى [3].

4–أرجعت بعض الدراسات سبب خيانة المعاهدين إلى الاضطهاد الديني الذي تعرّض له مسيحيو **غرناطة** [4]، ومنهم من أرجع ذلك إلى رفضهم السيطرة الإسلامية عموما و المرابطية بوجه

---

[1] عنان ، المرجع السابق ، ع3 ، ق1، ص 113.

[2] ابن الخطيب : **الإحاطة** ، مج1، ص 109؛ بوشتيش: **مباحث في الحياة الاجتماعية عصري المرابطين والموحدين** ،ص 80.

[3] بوتشيش، نفس المرجع، ص80.

[4] بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 79.

الخصوص، بينما بينها أرجعها آخرون إلى انعدام روح التسامح لدى المرابطين [1]، وهدم إحدى الكنائس [2].

فضلا عن أسباب أخرى حيث استغلت الدراسات الأجنبية هذا الحدث نفخت فيه وأعطته أبعادا أكثر من حجمه [3].

أما بالنسبة موقف "**ابن رشد الجدّ** "وفتواه بتغريبهم ، فيمكن إرجاعه إلى انّه حزّ في نفسه ذلك التواطؤ المخزي بين المعاهدين **و"ابن رذمير"**، وهذا ما دفعه للخروج متوجّها إلى **المغرب** في أوائل ربيع الأوّل **سنة 520هـ/ 1127م** قاصدا مقرّ أمير المسلمين "**علي بن يوسف بن تاشفين" بمراكش** ؛ ليشرح له وضع **الأندلس**[4]، حيث قال "**ابن الوزّان** "في هذا الشأن : " واشتغل باله –أي ابن رشد- بأمر الطاغية، فلم يقرأ عليّ شيء إلى أن انقضت الكائنة بين المسلمين نصرهم الله، وبينه أهلكه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنه عشرين وخمسمائة بموضع يقال له الأرنيسول على مقربة من **قرطبة،** وولى على عقبه، فاستخار الله تعالى القاضي أبو الوليد المذكور في النهوض إلى **المغرب**،ليبيّن على أمير المسلمين وناصر الدين "**على بن يوسف"** أدام الله أمره وأعزّ نصره ما الجزيرة عليه ... " .

خرج **ابن رشد الجدّ** متوجّها إلى المغرب يوم الثلاثاء ، ووصل إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، الذي رحب به وأكرمه ، وبيّن له ما جاء لأجله، فوعده أمير المسلمين "علي بن

---

[1] بوتشيش ، المرجع السابق ، ص 79.

[2] Dozy : **Histoir des musulmans d'espagne**,leyde,1932,T3,p 159.

[3] **للمزيد من التفاصيل حول هذه القضية أنظر** : بن الذيب عيسى: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين –دراسة اجتماعية واقتصادية**– رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور أحمد شريفي 2008-2009م، ص61 وما بعدها

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 279؛ دندش عصمت عبد اللطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 113.

يوسف" النظر في ذلك، ثمّ رجع إلى الأندلس ،ووصل **قرطبة** يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى من سنة **520هـ/1127م**.[1] .

أمّا "**ابن عذاري المراكشي**" فأورد : " في هذه السنة احتسب الفقيه القاضي "**أبو الوليد بن رشد الجدّ**" أجره لله وتجشمّ النهوض إلى حضرة **مراكش،** فتلقاه أمير المسلمين بالمكرمة والمبرّة وبيّن له القاضي أمر **الأندلس** وما بليت به من معاهدتها وما جروه إليها وما جثوه عليها من استدعاء "**ابن رذمير**" وما في ذلك من نقض للعهد وخروج عن الذمّة، وأصغى إليه الأمير وتلقى قوله بالقبول فوقع نظره على تغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخفّ ما يؤخذ به من عقابهم ونفد عهده إلى جميع بلاد **الأندلس** بإجلاء المعاهدين إلى العدوة ،فنفي منهم في رمضان عدد جمّ أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق ونسفتهم الأسفار، ونزل بهم الوباء وفرّقهم الله شرّ مذر وأحلّ بهم عاقبة مكرهم وأذاقهم وبال أمرهم ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله "[2] ، وهذا ما ذهب إليه صاحب الحلل الموشية أيضا[3] مبينا أهداف توجّه "**ابن رشد الجدّ** "إلى **مراكش** والتي تتمثل فيما يلي:

1-تبين موقف السلطة السياسية والعلمية من النصارى المعاهدين الخائنين بغرناطة وغيرها من المدن الأندلسية، حيث رأى" **ابن رشد**" أنّ عقابهم لا يكون إلاّ بإخراجهم من **الأندلس** وتغريبهم عن أوطانهم [4]، وهذا ما تمّ فعلا حيث تمّ نفيهم إلى ناحية **مكناسة وسلا** [5] ،وغيرها من بلاد العدوة.[6]

---

[1] ابن رشد :**الفتاوى،** س3، ص ص 1521-1524.

[2] ابن عذاري : **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، ج4، ص ص 72-73.

[3] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية،** ص 78.

[4] ابن رشد، **المسائل،** ج1، ص 35.

[5] إحدى مدن **المغرب الأقصى**.**أنظر**:الحموي،المصدر السابق،ج3 ،ص231.

[6] مؤلف مجهول :**الحلل الموشية،** ص 79.

2- عزل **"تميم بن يوسف"**[1]، الذي كان متخاذلا ولم يبد عزما في دفع الخطر عن المسلمين ،مما جعل ابن رشد ينكر على تصرفاته، ويخاطب أخاه الأمير بعزله وتعويضه بمن هو أكفأ منه وفعلا تمّ إعفاءه عن منصبه، ونجح "**ابن رشد الجدّ** "في مسعاه [2].

إلاّ أنه بالرغم من ذلك فإنّ المصادر لم تذكر عدد المسيحيين المغربين هل من **غرناطة** فقط كما أشار إلى ذلك أحد المؤرّخين [3]، أم كانوا من جميع المدن الأندلسية كما أورد صاحب الحلل الموشية في قوله: " ونفد عهده إلى جميع بلاد **الأندلس** بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة " [4].

رجّحت الدراسات الرواية الأخيرة[5] وذلك بناء على رسالة أوردها ، "**الونشريسي**"على لسان أمير المرابطين "**علي بن يوسف**" حول بيع أملاك نصارى **اشبيلية** الذين أبعدوا إلى **مكناسة** [6].كما ذكرت أنّ عملية التغريب تمت على ثلاث دفعات ، وأنّها شملت كلّ من **مالقة** و **غرناطة** سنة **1126**م و**اشبيلية** سنة **1138م**[7].

يستنتج مما سبق أنّ استعفاء **ابن رشد** عن القضاء لم يؤثر فيه بل بقي يتصرّف في شؤون **الأندلس**[8]، ولا غرابة إن اعتبره "**كارل بروكلمان**" أشهر قضاة ذلك العصر لما أصدر فتواه بتغريب

---

[1] السلاوي الناصري : **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر خالد الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء 1954م.، ج2، ص ص 239-230؛ ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص 109؛ دندش، المرجع السابق، ص 114.

[2] ابن رشد: **المسائل**، ج1، ص 35؛ دندش،نفس المرجع السابق، ص 114.

[3] ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1، ص 109.

[4] مؤلف مجهول : **الحلل الموشية**، ص 90.

[5] بوشتيش ، المرجع السابق، ص 79.

[6] الونشريسي: **المعيار المعرب**، ج8، ص ص 56-57.

[7] بوتشيش، المرجع السابق، ص79.

[8] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 283.

النصارى المعاهدين [1]، حيث توقف عن مهمته التعليمية وانشغل بما أهمّ الأندلسيين من اعتداءات وهذا ما جعل احترامه يزيد عند أمير المرابطين الذي قام بإكرامه ،والاستماع إليه في عزل أخيه وأحد ولاّته على أهمّ ولاياته ألا وهي ولاية **الأندلس**، كما عمل بفتواه في تغريب النصارى المعاهدين[2].

3- تضمّنت سفارته أيضا إشارته على أمير المسلمين تسوير **مراكش** و جميع المدن الأندلسية [3] ،وذلك لحمايتها من الخطر المتربّص بها سواء في **المغرب أو الأندلس** ،ففي الوقت الذي اشتدت فيه غزوة "**ابن ردمير المحارب**" بالأندلس، عرف **المغرب الأقصى** اشتداد حركة "**المهدي بن تومرت** "[4]، لذلك فكرّ أمير المرابطين علي بتسوير عاصمته **مراكش** ردّا لأيّ خطر يتهدّد دولته واستفتى لأجل ذلك العلماء والفقهاء بالمغرب و**الأندلس** من بينهم "**ابن رشد الجدّ** "[5].

لم يلق هذا الرأي القبول من طرف الفقهاء المشاورون الذين عارضوا فكرة التسوير بحجّة تكاليفه الباهظة جدا[6]، غير أن **ابن رشد** الذي شهد حادثة **عزوة" ابن رذمير**" أصّر على التسوير وأفتى أمير المرابطين ،بالتّحفظ على نفسه وعلى الساكنين معه [7]، ونصحه في ذلك باستفتاء شيخ

---

[1] كارل بركلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس،ط5 دار العلم للملايين، بيروت 1968، ص 323.

[2] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص 283.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 73.

[4] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص 90. السملالي العباس بن إبراهيم المراكشي: **الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب منصور، الطبعة الثانية المطبعة الملكية، الرباط، 1998م ، ج4، ص ص 58-76.

[5] مؤلف مجهول ،نفسه.

[6] ابن رشد :**المسائل** ، ج1، ص 35.

[7] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 90.

الصوفية بالمغرب "**الشريف الحسيني**" [1]، فأشار عليه هذا الأخير بالتسوير، ودعا له وبعث له معونة مالية [2].

يستنتج مما سبق شدة ولاء" **ابن رشد الجدّ**" للدولة المرابطية ورضاه عليها ،وفي إشارته تسوير **مراكش** توجيه لأمير المرابطي إلى الاشتغال بالوسائل الدفاعية ،كما اعتمد في إشارته وفتواه الحلّ الأوسط الذي يعتمد على أخّف الأضرار ففتواه بتغريب النصارى المعاهدين كانت أخفّ من فتوى لإبادة الجماعية وإحلال دمّ جميعهم، ونصيحته بتسوير المدن رغم ما فيها من أتعاب وصرف الأموال كانت أخفّ من ترك الأمر لهجوم الأعداء وقتلهم الأبرياء حفاظا على الأموال حيث قدّرت مصاريف بناء الأسوار بسبعين ألف دينار ،حيث نجح **ابن رشد** في المهمّات السياسية التي قام بها [3]، واستمر تأثيره دامت سمعته طيبة طوال حياته ،إذ بقي مكرّما عند العامّة وخاصة المجتمع، مسخرا جهوده في خدمة الإسلام والمسلمين[4].

3ـ منزلته الفقهية:

إن المطالع لكتب "**أبي الوليد بن رشد الجدّ**" ، و كتب التراجم ، وما نعته به تلاميذه من أوصاف ، يمكنه يتصوّر مكانته الفقهية ، وتأثيره الإيجابي، في مجال الدراسات الشرعية عامة والفقهية على وجه الخصوص، ويدرك من دون شكّ أنّ هذا الرجل لم يكن من الفقهاء العاديين المقلّدين ، بل كان من المجتهدين في المذهب المالكي، القائمين على أصوله والمفتين على قواعده، فهو أحد الذين كانت لهم إيجابيات على الفقه الإسلامي عامة والمذهب المالكي خاصة ،حيث جعله ابن رشد الجدّ اختيارا علميا مدعوما بالحجج والبراهين، وذلك بإرجاع الفروع إلى الأصول،

---

[1] هو محمد بن إسحاق بن أمغار الشريف الحسيني أحد مشايخ أسرة آل أمغار الشريفة بعين الفطر **بأزمور** أنظر ترجمته :بلغيث ، المرجع السابق، ص 446.

[2] ابن رشد: **المسائل** ، ج1، ص 35.

[3] أحمد أمين، **ظهر الإسلام** ،**ط1**،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2004 م ،ج3، ص 178.

[4] التليلي، نفس المرجع ، ص 287؛ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 371.

ومؤلّفاته تعكس بوضوح جهده البارز ودوره الفعال في تجديد الفقه المالكي خلال **6هـ/12م**، وذلك بجمع شتاته وإثرائه بالأدلة ، بأسلوب واضح يمتع القارئ ويقنع الباحث، سواء من حيث وضوح معانيه، وألفاظه أو من حيث الإبداع في الترتيب والتقسيم.

تعددت الجوانب العلمية لهذه الشخصية باستحضاره للنصوص القرآنية واطلاعه الواسع على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأقوال العلماء والتابعين والآثار المروية ، فضلا عن درايته بالتفسير وتمرّسه في علم الأصول، وقوّته في العربية وإحاطته بأساليبها، وتبّحره في الفقه الذي يعتبر مجال تخصصه، فهذه الصفات العلمية هي التي أهّلته، ليحظى بالثناء والتقدير في محافل العلماء ومجامع الفقهاء، حيث سجّلوا ذلك في كتبهم ،وسطّروا ذلك بأقلامهم.وهذا ما سنلحظه عند المقانة بينه وبين عدد من معاصريه ، و أسباب وعوامل رئاسته الفقهية في عصره بالغرب الإسلامي[1].

أ ـ ابن رشد الجدّ و أقرانه:

عرف "**ابن رشد الجدّ**" بالفقيه ؛ لأن الفقه كان مجال تخصصه بالرغم من أنّ العصر لم يعرف التخصّصات العلمية ، فالعالم الواحد منهم كان يلّم بمختلف أنواع العلوم ، حيث كان ميالا للفقه على غيره من العلوم الدينية الأخرى ، وتميّز فيه عن معاصريه من الفقهاء ،متأثرا في ذلك بأساتذته الكبار ممن سبق لنا ذكرهم في قائمة شيوخه، هؤلاء الذين تدّرب على طريقتهم في التعليم، وتميّز "**ابن رشد**" في هذا المجال أصولا وفروعا وفرائض مع تخصص في المسائل الفقهية وعلم بالنوازل القضائية ،حيث عدّ بين أقرانه وشيوخه واسع الإطلاع في مذهب المذهب المالكي ،مطّلع على اتّفاقاته ومواضع الاختلاف فيه، ممّا جعله يتميّز فيه عن معاصريه من الفقهاء أمثاله[2].

---

[1] لعطاوي، المرجع السابق،ص ص119-120.

[2] التليلي، المرجع السابق، ص 399.

فلقد ذكر "**بن سعيد المغربي**" أنّ "**ابن رشد الجدّ**" كان: "عارفا باختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وتسمية مذاهبهم"[1]. أو الاختلاف بين المذاهب واتّفاقاتهم، وهذا الإطلاع الواسع لم يكن الهدف منه المباحثة بين أيدي الملوك والمناظرة للانتصار على المنافسين ،وإنّما للمحافظة على سعة العلم المتوارثة فيهم[2] ،وهذا ما عمل على تحقيقه في دروسه ومناظراته الفقهية وفي خطبته ومناقشته وفي تصانيفه المتنوّعة في مختلف العلوم المتجهة كلها للعناية بالفقه[3].

سعى "**ابن رشد الجدّ**" لتحصيل أدوات وشروط الاجتهاد، ونهجه منهج العلماء المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية وتوجيه النوازل القضائية ، مصرّحا بأنّه من أهل الإفتاء إن لم يجد النصّ الصريح، ولم يجد في ذلك معارضة من طرف فقهاء العصر، حيث كان ميالا للنظر لفهم النصوص الشرعية والتّعمّق في استخراج الأدلة منها ، وهذا ما يدّل إلاّ على حسن فهمه للمذهب المالكي وتطبيقه في إجاباته وقضاياه ،لذلك أقبل الجميع يستفتونه لحلّ مشاكلهم وإيجاد الحلول لها، وهذا ما أثبتته له سائر المصادر التي عرّفت به و بأقرانه ونظرائه الذين برعوا في الفقه لكنّهم لم يبلغوا ما بلغه "**ابن رشد الجدّ**" والأمثلة على ذلك كثيرة منها[4].

كأبي الأصبغ "**عبد العزيز بن عبد الله بن حزمون القرطبي** (**ت508هـ/1115م**)"[5] الذي كان معاصرا "**لابن رشد**" ومتفقّها بشيوخه ،المتّصفين بالحفظ المتقدّمين في مشاوري أهل بلده، لكنّه لم يصل إلى منزلة "**ابن رشد الجدّ**" الفقهية[6] ، **و"هشام بن أحمد القرطبي المعروف**

---

[1] ابن سعيد : **المغرب في حلى المغرب** ،ج1، ص 162.

[2] المقري، **نفخ الطيب**، ج4، ص 111.

[3] هارون ، المرجع السابق، ص90.

[4] التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات**، ص 408 .

[5] عياض : **الغنية** ، ص 173 ؛ابن بشكوال : **الصلة**،ج1، ص 354.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 401.

بابن العواد(ت**509**هـ/**1116 م**)"[1] كان هو الآخر من أقران "**ابن رشد**" ، المتّقدمين في الفقه والإفتاء في وقته ، المتفقّهين بشيوخه من القرطبيين ، لكّنه كان ميالا للحديث على الفقه، و"**خلف بن سعيد القرطبي**(ت**511**هـ/**1118**م)"[2] زعيم المقرئين **بقرطبة** ، و"**أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى القرطبي**(ت**511**هـ/**1118**م)"[3] الذين كانا من أقران "**ابن رشد الجدّ**" المنفردين بعلوّ السند ،لكن إذا قارنا بينهما وبين ما وصف به "**ابن رشد الجدّ**"نلاحظ أنّ سمعتهما كانت منتشرة بالأندلس فقط، أما سمعة "**ابن رشد**" فشملت الغرب الإسلامي كلّه، "**وعبد الرحمن بن محمّد بن عتاب**(ت**520**هـ/**1126**م)"[4] الذي كان حافظا للقرآن ،عارفا برواياته وطرقه واقفا على كثير من تفسيره وغريب معانيه مع المعرفة باللّغة العربية، حيث كان من علماء عصره الكبار لكنه لم يبلغ مكانة "**ابن رشد الجدّ**" .

بالإضافة إلى "**عبد الله بن محمّد بن عبد الله الخشني**(ت**426**هـ/**1135**م)"[5]الذي كان مقدّما في الفقه والفتوى والشورى على المذهب المالكي ، فضلا عن درايته بالتفسير. "**ومحمّد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج** "[6] الذي كان من أقران "**ابن رشد** "ومشاركيه في الفقه والإفتاء ، إلاّ أنّه اشتهر بالحديث والأدب أكثر من الفقه[7] ، حيث

---

[1] عياض ، **الغنية**، ص 217 ؛ ابن بشكوال، **الصلة**،ج2، ص 618ومابعدها.

[2] عياض، المصدر السابق، ص ص 147 وما بعدها.

[3] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص 77؛ شمس الدين محمّد بن محمّد الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق نرجس ،ط3، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م،ج1، ص 32.

[4] ابن بشكوال، المرجع السابق،ج1، ص 332.

[5] عياض: **الغنية** ، ص 153 وما بعدها؛ ابن بشكوال، **الصلة** ،ج1، ص 284.

[6] ابن بشكوال، نفس المصدر،ج2، ص 550، مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج2، ص ص 193-194 ؛النباهي، المصدر السابق، ص 130.

[7] عياض، **الغنية**، ص 47.

ذكرت بعض المصادر أنه اعتمد على فتواه بعد وفاة"**ابن رشد الجدّ**"[1]، وهذا ما يوضّح منزلة "**ابن رشدّ** الفقهية فبالرغم من أنّ **ابن الحاج** "كان من كبار فقهاء العصر، فإنّ فتواه لم تجد الرواج الكبير إلاّ بعد وفاة "**ابن رشد الجدّ**"[2].

فضلا عن غيرهم من العلماء ممّن تميزوا وبرزوا في علوم مختلفة إلاّ أنّهم لم يبلغوا مكانة "**ابن رشد الجدّ**" في الفقه ، فهو الذي وصفه "**تلميذه عياض** "بزعيم فقهاء وقته بأقطار **الأندلس** و**المغرب** مقدّمهم المعترف له بصحة النظر والجودة في التأليف ودقة الفقه وكان إليه المفزع في المشكلات بصيرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنّن في العلوم"[3]، ووصفه "**مخلوف**" "بالإمام العالم المحقق المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف زعيم الفقهاء إليه المرجع في حلّ المشكلات، متفنّنا في العلوم بصيرا بالأصول والفروع فاضلا ديّنا إليه كانت الرحلة"[4] ، وأورد "**اليافعي** "أنّه "كان من أوعية العلم"[5].

إنّ هذه النعوت وغيرها ممّا ذكره المؤرخون ما تنوّه إلاّ بمكانة "**ابن رشد**" بمنزلة ابن رشد الجدّ الفقهية ،والتي توصل إليها دون فقهاء عصره، فإليه آلت مشيخة العلماء **بالمغرب والأندلس**.

---

[1] عياض ، **الغنية**، ص 54.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 406.

[3] عياض، المصدر السابق ، ص 54.

[4] مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 190.

[5] اليافعي، عفيف الدين : **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ،ط2، منشورات مؤسسة العلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،1970،ج3، ص 225.

ب ـ عوامل زعامته للفقهاء في المذهب المالكي:

لم يتبوأ ابن رشد الجدّ زعامة الفقهاء المالكية إلاّ بعد أن استكمل جميع الشروط والأدوات التي تؤهّله لذلك من بينها:

1–انتساب **ابن رشد** إلى بيت عريق من بيوت **الأندلس،** شهد له العلماء توارثه العلم والفضل، والجلالة والنباهة والحسب ، وتتلمذه على يد كبار الشيوخ **بالأندلس** ممّن سبق التحدّث عنهم و عن درجة علمهم **كابن رزق وابن أبي العافية** و**ابن الطلاّع** ونظرائهم، هؤلاء الذين أخذ عنهم **ابن رشد** الكثير فطمح إلى تقليدهم والامتثال بهم في دراسة العلوم الإسلامية والتعمّق بها والإحاطة بفروعها[1].

2–تحصيله علوما مختلفة تميّز في معظمها ، فتراه أحيانا لغويا وأحيانا محدّثا ومفسرا وأحيانا أخرى فقيها أصوليا، وهذا بشهادة من أقرانه من معاصريه من بينهم القاضي "**عياض**" الذي أثبت له التفنّن في مختلف أنواع العلوم.[2]

3– تميّزه بحسن الخلق و الدين حيث كان كثير الحياء قليل الكلام متسمّتا نزيها متواضعا مع الأصحاب ،مساعدا لهم في قضاء حوائجهم[3]، وقال فيه ابن بشكوال: "وكان حسن الخلق، سهل اللّقاء، كثيرا النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم حافظا لعهدهم، كثير البرّ بهم"[4]. ، حيث ساعدته هذه الصفات كثيرا في مهنته كقاض للقضاة، وأكسبته هالة من التقدير والاحترام، فازدحم عليه الطلاّب وتكاثر عليه الأصحاب[5].

---

[1] ابن فرحون: المصدر السابق، ص 122؛ التليلي، المرجع السابق، ص 412.

[2] عياض، **الغنية** ص 54.

[3] عياض، نفسه؛ التليلي، المرجع السابق، ص 234.

[4] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص 546.

[5] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 236.

4- توليه منصب قضاء الجماعة **بقرطبة**[1] وهو مركز إشعاع علمي استفاد منه أصحابه وتلاميذه[2]، وأحسن مثال على ذلك تولي "**محمد بن بأصبغ** (ت**536**هـ/**1142**م)". [3] خطّة أحكام المظالم **بقرطبة** مع شيخه القاضي **ابن رشد**، وحضوره مجلسه الاستشاري بطلب منه، ثمّ تقلّده قضاء الجماعة لمدّة طويلة[4]، ومن خلال هذه الوظيفة اهتمّ بشؤون الأندلسيين عامّة، ومصالح أهل **قرطبة** بصفة أخصّ ، فلقد نقلت لنا المصادر والتاريخية أنّه وقف إلى جانب العامّة إثر هيج العامة **بقرطبة**، وقام بمساعيه الحميدة بين أمير المرابطين وجمهور **قرطبة** الثائرين على واليه وأعوانه من المرابطين مما سبق التحدّث عنه.

5_ أنّه كان من بين علماء عصره حجّة في الفقه المالكي تدريسا وتأليفا[5] ، بالإضافة إلى اشتغاله بمسائل الخلاف ومواطن الاتّفاق، سمح له بالإشراف على المذهب المالكي بالغرب الإسلامي.[6]

6_ تميّزه بحافظة قوية مكّنته من حفظ أمّهات الكتب[7]، وتحصيل المذهب المالكي كاملا، حيث اعترف له معاصروه من التلاميذ والشيوخ بسعة حفظه وقوّة ذاكرته[8]، واعتبر عند المالكية حافظ المذهب، مما جعل طلبة العلم يستظهرون على يده **المدوّنة** ويختبرون حفظهم عنده[9]، "**كمحمّد**

---

[1] إحسان عبّاس، **بحوث في الأدب والتاريخ**، ص 415.

[2] التليلي، المرجع السابق، ص 236.

[3] تولى قضاء الجماعة **بقرطبة**، وكان من فضلائها كامل الدين والعفاف والعقل الجيّد. **انظر ترجمته:** ابن بشكوال، نفس المصدر السابق، ج2، ص 554.

[4] نفسه .

[5] إحسان عبّاس، المرجع السابق، ص 417.

[6] التليلي، المرجع السابق، ص 238.

[7] نفس المرجع ،ص409..

[8] ابن عماد ، المصدر السابق، مج2، ص 62؛ الذهبي، **العبر في خير من غبر**،ج2، ص 414.

[9] التليلي، المرجع السابق، ص 410.

بن الجدّ الفهري"[1] و"**يحي بن علي بن محمّد بن عمر الجذلي"**[2]، كما امتاز" **ابن رشد** "بفهمه الجيّد للنصوص مما ساعده على استخراج الأحكام ، والتوفيق بين الآراء، حيث كان متمسكا برأيه إن تأكّد أنّه صائب ، ويخالف في ذلك حتى شيوخه الكبار [3]، وهذا ما لمسناه في أحد فصول كتابه "**المقدمات**" عنوانه "فصل في جواز إخراج الزكاة من المال قبل حلول الحول عليه"[4]، فبعد أن أكمل كلامه قال:" هذا الذي اعتقده في هذه المسألة ،وهي في الكتاب مشكلة حضرت المناظرة فيها عند شيخنا "**الفقيه أبي جعفر بن رزق رحمه الله**" ، فتنازعنا فيها تنازعا شديدا واختلفنا في تأويل وجوهها اختلافا بعيدا فطال الكلام وكثر المراء ولا أوافق على اعتقاد الشيخ رحمة الله وعليه رضوانه في جميع فروع المسألة ،وهذا الذي كتبته هو اعتقادي في هذا الباب"[5].

7– اطلاعه على "**المدونّة والمستخرجة**" إطلاعا كاملا مستوعبا المسائل الموجودة فيهما، وقد ساعده على ذلك صفاء ذهنه وقوّة فهمه واستفادته من أساتذته وكتاباته عليهما، "**كتابه المقدّمات لأوائل كتاب المدونة** "،" **وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التأويل والتعليل**" ،التي تعتبر من أفضل ما كتب في الفقه المالكي ،ومن ثمّ كان رضا الناس عليها، فتقبّلوها بقبول حسن وسارعوا لدراستها وروايتها وحفظها[6].

8–شهرة طريقته التعليمية وتميّزها حيث كان من السّباقين إلى التحقيق والبيان الشارحين الألفاظ الغامضة ،الفاتحين لباب الإجهاد في الفروع، مما أدى إلى انتشار سمعة كتبه انتشارا واسعا

[1] روى عن جماعة من العلماء من بينهم **ابن رشد**، الذي شهد له بالحفظ، وناوله كتابه البيان والتحصيل، والمقدمات ولأوائل الكتاب المدونة. **أنظر**: ابن الأبار: **التكملة**،ج2، ص 542؛ مخلوف :**شجرة النور الزكية**، ص 159.

[2] الذي عرض المدونة على القاضي أبي الوليد بن رشد وعلى الفقيه أصبغ بن محمّد، وبلغ مبلغا عظيما في المعرفة بالوثائق، **أنظر**: ابن فرحون، المصدر السابق، ص 435.

[3] التليلي، نفس المرجع ، ص 411.

[4] ابن رشد ، **المقدمات**، ج1، ص 310.

[5] نفسه ، ص 313.

[6] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص236.

وإقبال طلبة العلم عليها ، فهو الشيخ الأستاذ الذي قدّم علومه إلى تلاميذه بأسلوب علمي ذو اتجاهين متكاملين ،ففي البداية توجّه إلى أمّهات الكتب في الفقه المالكي ، ثمّ شوّق طلبة العلم إليها[1]، واختص بطريقة تكوينهم تكوينا ممتازا ،لأن تلك الكتب كانت معتمد الشيوخ المتقدمين "**فابن رشد**" حكم الصلّة بينها وبين طريقته التعليمية ممثلة في تأليفه كتاب"**المقدمات**" وكتاب "**البيان والتحصيل**" مبيّنا أنّ الطالب إذا جمع بين الكتابين حصّل الضروري من أصول الدين وأصول الفقه وعرف العلم من منبعه واستطاع ردّ الفرع إلى أصله[2] ،وحصّل – على حد تعبيره– "درجة من يجب تقليده في النوازل والمعضلات ،ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غيرها آية من كتابه ووعدهم برفيع بالدرجات"[3]

وقبل أن يدوّن "**ابن رشد الجدّ**" كتاباته، أشاعها مشافهة في حلقات دروسه ونشرها مباشرة بين تلاميذه، وهي وسيلة لتنشيط الدروس، وتحريك الطلبة، وإحياء العلم، والتشويق لتدارس الفقه المالكي متخطيا بذلك ما اعتاده الناس من الاقتصار والاكتفاء بأقوال علماء مذهم وحفظ آراءهم والتقيّد بمذاهبهم ،وعمل على تخريج طلبة مجتهدين في المسائل على الأقل قادرين على ربط الفروع بالأصول مؤهّلين للفتوى والقضاء بكفاءة عالية[4]. حيث اعتمد ا"**بن رشد الجدّ**" في طريقته التعليمية تلك على أسلوب علمي تربوي وهو مقابلة النسخ المتعدّدة[5]، إذكان يقرأ عليه تلميذه "**عبد الملك بن مسرّة** (ت**522ه/1157م**)"[6]، كتاب **البيان والتحصيل** وهو ممسك بالمسودة التي نقل منها ذلك الأصل وقوبل بين يديه في مجلس حافل بالفقهاء ،وواصل هذا المجلس انعقاده بانتظام طوال عشرين شهرا[7]، ويكون **ابن رشد** بذلك قد اتبع أسلوبا علميا وتربويا جديدا في **الأندلس** والعالم الإسلامي، وهو مقابلة النسخة الأمّ بالنسخة المنسوخة أو مقابلتها

---

[1] الضبيّ: **بغية الملتمس** ، ج1، ص 74؛ التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 420 وما بعدها.

[2] التليلي، المرجع السابق، ص 421.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل**،ج1، ص 32.

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 421.

[5] بلغيث، المرجع السابق، ج1، ص 163.

[6] **أنظر ترجمته** : ابن بشكوال: **الصلة**،ج1، ص 348.

[7] ابن رشد: **البيان والتحصيل**، ج1، ص 16 وما بعدها.

بنسخة حافظ أو شيخ ، وهو ما وصلت إليه في زماننا الطرق العلمية في تحقيق النصوص والمخطوطات.[1]

9- بلوغه رتبة الاجتهاد المذهبي، حيث تصنّف شخصية "**ابن رشد** الجدّ " في تلك الفئة التي يصحّ لها الفتوى بالاجتهاد والقياس على الأصول، أيّ الفئة التي اكتملت لديها أدوت الاجتهاد[2] (العلم بالعربية، العلم بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، العلم بالسنّة، معرفة مواضع الاجتماع، ومواضع الخلاف، معرفة القياس، معرفة مقاصد الأحكام، فهم مقاصد الشريعة، التمكّن من الاستنباط، صحّة الفهم وحسن التقدير، صحّة النيّة وسلامة الاعتقاد)[3] .

و"**لابن رشد** فتوى في هذا الشأن قسّم فيها العلماء إلى ثلاثة طوائف فسعى على تجنّب الطائفة الأولى المقلدّة وتجاوز الطائفة الثانية التي لم تبلغ درجة التحقيق لمعرفة قياس الفروع على الأصول[4]، وكان من أصحاب درجة الطائفة الثالثة لكونه أحد كبار العلماء العارفين بأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ والمفصل والمجمل والخاصّ والعام، وله دراية بأقوال الصحابة والتابعين من بعده من فقهاء والأمصار وما اتفقوا عليه واختلفوا فيه، عالما باللسان العربي كما له معرفة بالأدّلة الشرعية، ولم يكن من "المقلّدة المغربية كما نعت **ابن العربي** علماء العصر".[5]

---

[1] بلغيث، نفس المرجع السابق، ج1، ص ص 143- 164.

[2] أحمد فراح حسين، رمضان السيّد الشرنباصي : **أصول الفقه الإسلامي**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، د.ت ، ص 451 وما بعدها.

[3] أحمد فراح حسين-رمضان السيد الشرنباصي، المرجع السابق ، ص451وما بعدها .

[4] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع بالسابق، ص 433 وما بعدها.

[5] أبو القاسم بن سلمون بن الكناني: **العقد المنتظم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامّة، تحت رقم 1366، الورقة، 236، بلغيث، المرجع السابق،ج1، ص 225.

ج ـ ابن رشد و علماء عصره:(أبو بكر الطرطوشي و أبو عبد الله المازري):

اعتبر" **ابن رشد الجد"** عند الفقهاء المالكية شيخا من الشيوخ المتأخرين[1]. و ذلك لعظم منزلته الفقهية وعلو مكانته العلمية ، فلو رجعنا إلى من اشتهر من فقهاء العصر، في أي منطقة من المناطق **الأندلس** أو **المغرب** أو **مصر**، لوجدنا ثلاثة فقهاء مالكية كانوا يمثلون عصارة ما أنتجه مجتمعهم وهم "**ابن رشد الجد**" موضوع دراستنا و"**الطرطوشي**" و "**المازري**"[2].هؤلاء الثلاثة الذين أبرزهم الحطاب في "**كتابه مواهب الجليل**" وعدهم من أشهر علماء عصرهم[3].

"**فأبا الوليد بن رشد الجد**" و"**أبو بكر الطرطوشي** "أندلسيان كان تكوينهما العلمي الأولي بها وعلى يد شيوخها الكبار، إلا أن "**ابن رشد**" لم يخرج من **قرطبة** واكتفي بعلمائها فقط حيث تخرج على أيديهم ، **أما "الطرطوشي"** فكانت له رحلة حجية وعلمية إلى **المشرق** عرج خلالها على **بغداد و البصرة و فلسطين** و أخذ عن شيوخها الكثيرين ، كم أقام **بالشام** مدة للدراسة والاشتغال بالفقه ، و استقر أخيرا بمدينة "**الإسكندرية** " مدرسا للطلاب ، حيث تفقه على يده العديد من المصريين ، فهو الذي قام بإحياء معالم السنة بمصر بعدما تعطلت دروسها على يدي العبيدين، وكان يقول :" إن سألني الله عن مقامي بالإسكندرية ، على ما عليه من تعطيل الجمعة و غير ذلك من المناكر التي كانت أيام العبيديين أقول له : وجدت قوما ضلالا فكنت سبب هدايتهم"[4]. "**للطرطوشي**"كتبا عدة ، منها "**تعليقة في مسائل الخلاف وفي أصول الفقه** "، و "**كتاب في البدع والمحادثات وفي بر الوالدين**، و"**كتاب نظم السلوك في وعظ الملوك**"، و "**رسالة في تحريم الغناء**" وغيرها من المؤلفات [5].

---

[1] ابن سلمون: المصدر السابق، مخطوط، الورقة 236.

[2] التليلي ،المرجع السابق، ص445.

[3] الحطاب: **مواهب الجليل**، مج1، ض51 وما بعدها.

[4] عياض: **الغنية** ، ص130 و ما بعدها؛ ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص545؛ المقري: **أزهار الرياض**، ج3،ص162 و ما بعدها ؛ الحجوي الثعالبي : **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** ، طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة ، تونس، د ت،ج4، ص54 و ما بعدها.

[5] عياض :**الغنية** ،ص62وما بعدها.

و "**المازري**" هو الإمام" **أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي** "أصله من "**مازر**" إحدى مدن جزيرة **صقلية** ، استقر **بالمهدية** على الشريط الساحلي بإفريقية حيث تعلم بها وأصبح من علمائها الكبار [1].

فهؤلاء الثلاثة كانوا من كبار الفقه المالكي في عصرهم " **فابن رشد الجد**" برز في **الأندلس والمغرب** و"**الطرطوشي**" **بالإسكندرية** و "**المازري** "**بالمهدبة** في **المغرب الأدنى**، فكل واحد منهم ساهم مساهمة فعالة في نشر الفقه المالكي سواء بالدرس أو الكتابة في تصانيفهم القيمة التي دلت على استيعابهم وحسن فهمهم ، و كل منهم شهد له بالرياسة و الإمامة و التقدم في بلده.

"**فالطرطوشي** " تقدم في الفقه مذهبا و خلافا و في الأصول و علم التوحيد حيث تفقه بالأندلس على يد كبار العلماء بالمشرق والمغرب ،و ألت وحصلت له الإمامة ولازم الزهد والقناعة مع بعد صيته و عظم رئاسته.[2]

و"**أبو عبد الله المازري** "وصف بكونه إماما **بإفريقيا** وما وراءها من **المغرب** ، و آخر الأئمة المشتغلين من شيوخ إفريقيا بتحقيق الفقه و بلوغ رتبة الاجتهاد و دقة النظر [3]. و كان أحد الرجال الكمال في العلم في وقته ،و إليه يفزع في الفتوى في الطب في بلدة كما يفزع إليه في الفتوى في الفقه ، ويحكى أن سبب اشتغاله في الطب أنه مرض فكان يعالجه رجل يهودي ، "فقال له اليهودي: يا سيدي مثلي يطب مثلكم "؟. فاشتغل منذ ذلك الوقت بالطب. [4]

و"ابن رشد" بيّنا منزلته سابقا، هؤلاء الثلاثة عرفت مكانتهم العلمية عند الخاصة والعامة فقصدهم الطلبة من مختلف المناطق من بينهم "**القاضي عياض**" الذي أخذ عن ثلاثتهم، حيث تتلمذ بداية على يد "**ابن رشد الجدّ**" مباشرة ، وتتلمذ على "**الطرطوشي**" و"**المازري** "بالإجازة

---

[1] الحطاب : **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل** ،ج1 ص 52- 53.

[2] عياض : **الغنية** ،ص63.

[3]الحطاب: المصدر السابق ج1، ص52،53.

[1] الحطاب: نفس المصدر، ج2، ص52.

العامة ، ومن بينهم أيضا "**القاضي إبراهيم بن الحاج**" الذي أجازه "**الطرطوشي** " و "**المازري** " العلم، و سمع بقرطبة من "**ابن رشد الجد**"[1].

ولقد نقل لنا "**الحطاب**" عن "**التادلي**" صاحب كتاب "**التشوف على رجال التصوف** عن "**المازري** ": أن أبا الوليد أفتى بسقوط الحج عن أهل **الأندلس** [2]، وأن "**الطرطوشي**" أفتى بأنه حرام على أهل **المغرب**، و أن من غرّ و حج سقط فرضه، و لكنه آثم بما ارتكب من الضرر". إن هذا النص يبين بشدة تشابه الأوضاع بالعالم الإسلامي نفي تلك الفترة بالذات ،باعتبار فقدان الطريق المأمونة إلى الحج ، و وينجرّ عن ذلك فقدان استطاعته الوصول من غير مشقة مع الأمن على النفس و المال و التمكن من أداء الفرائض[3].

هنالك تقارب كبير في فتوى الشيخين "**ابن رشد الجدّ** "و "**الطرطوشي**" ،فهما يتفقان في عدم وجوب الحج على أهل **الأندلس و المغرب** ، ولكنهما يفترقان في الحكم لمن غرّ و حج، "**فابن رشد** "لا يعتبره آثما و إنما فعل مكروها في فتواه التي أجاب بها أمير المؤمنين "**علي بن يوسف بن تاشفين**" لأهل **الأندلس** ،[4]و لقد علق" **المازري**" على ذلك في قوله: " قد علق الله الاستطاعة و يبين العلماء أن الاستطاعة هي الوصول إلي البيت من غير مشقة مع الأمن على النفس و المال و التمكن من إقامة الفرائض، و ترك التفريط و ارتكاب المناكر ، وسبب هذه الشروط أن الشيخ أبا الوليد أفتى بسقوط الحج عن أهل الأندلس و أفتى "**الطرطوشي** "بأنه حرام على أهل المغرب ، فمن غرّ و حج سقط فرضه و لكن آثم بما ارتكب من الغرور و هذا قول أئمة المسلمين المقتدى بهم ،فأعملوه ،و اعتقدوه"[5].

فمن الأمثلة على "**إمامة ابن رشد**" و تقدمه بين الشيوخ عند من جاء بعده اعتماد "**خليل(ت 776ه /1375م)**" عليه[6] ، فاعتباره عجوز المذهب جعله احد الشيوخ الأربعة

---

[1] الحطاب : **مواهب الجليل**، ج2،ص97.

[2] ابن رشد ، **الفتاوى** ، س2، ص1121.

[3] نفسه ؛ التليلي ، المرجع السابق، ص449.

[4] الحطاب ، المصدر السابق ،مج2،ص492.

[5] التنبكتي: **نيل الإبتهاج** ،ص 112 وما بعدها.

[6] الحطاب، المصدر السابق، ج1، ص35؛ مخلوف، المرجع السابق،ص111.

الذين اعتمد على ترجيهم و اختيارهم في مختصره الفقهي الذي جمع فيه الفروع الفقهية الكثيرة لأمهات المذهب المالكي ، وهؤلاء الأربعة هم "**أبو بكر بن يونس الصقلي (ت452هـ/1058م)**"[1] ، و "**أبو الحسن اللخمي (ت478هـ/ 1086م)**"، و "**أبو الوليد بن رشد الجد** "، و "**أبو عبد الله المازري** " ولقد أثبت "**خليل** "في سؤال قدم له حول **المدونة** و اختلاف شارحيها في فهمها أن الاختصار" **للخمي** "، و الترجيح **ل"ابن يونس"** و الظهور **"لابن رشد"**، و القول ،"**للمازري**"[2].

وبذلك نلاحظ أن "**ابن رشد الجد**" حاز على القبول في مختلف العصور و نال مكانة رفيعة بين الفقهاء المالكية، و وقع اعتمادهم عليه والعوامل السابقة الذكر تفاعلت فيما بينها وجعلت منه مقدّما في الفقه وأكبر سلطة إفتائية [3]، ولعلّو منزلته الفقهية اعتبره "**ابن فرحون**" شيخا من شيوخ المذهب "**كأبي عمر بن عبد البرّ**"، **و"أبي الوليد الباجي"** ،**و"القاضي عياض"** ،**و"القاضي أبي محمّد بن عطية"**.[4]

---

[1] هو **محمد بن عبد الله بن يونس أبو بكر** ويقال له أبو عبد الله التميمي الصقلي ثم القيرواني الفقيه ، رحل إلى قرطبة فتفقه بها ، كما كانت له رحلة حجية إلى مكة ، عرج على إثرها على العراق لتلقي العلم على يد كبار علمائها ، من أهم مؤلفاته **الجامع لمسائل المدونة** ، **والإعلام بالمحاضر والأحكام** وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام، توفي ابن يونس رحمه الله بالمهدية سنة إحدى وخمسين وأربعة مائة.أنظر ترجمته :ابن يونس الصقلي :**الجامع لمسائل المدونة والمختلطة** تحقيق أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، تقديم أحمد بن منصور آل سبالك ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1971م، ج1،ص71وما بعدها.

[2] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص451.

[3] حسين مؤنس، **شيوخ العصر** ، ص 97.

[4] ابن فرحون المالكي: **تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، بهامشه كتاب المنتظم للحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام للشيخ ابن سلمون الكنّاني**، ط1، دار الكتب العلمية – المطبعة العامرية الشرقية، بيروت – مصر المحمية، 1301 هـ، ص 46.

الباب الثاني

أثر ابن رشد الجد في الحركة الفقهية

الفصل الأول

كتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل العتبية

1-التعرف بكتاب البيان والتحصيل.

2-أهمية كتاب البيان والتحصيل.

3-مصادر ابن رشد المعتمدة في البيان والتحصيل.

4-ترتيب مصادر ابن رشد الجدّ في البيان والتحصيل

5-أهمية قول ابن رشد في المذهب المالكي من خلال كتاب البيان والتحصيل.

6-استدلال ابن رشد الجدّ بأصول المذهب المالكي في البيان والتحصيل.

أ - تعريف الاستدلال لغة واصطلاحا.

ب- أصول المذهب المالكي.

1-استدلال ابن رشد بالكتاب والسنة في البيان والتحصيل.

أ-القرآن.

ب-السنة.

2-استدلال ابن رشد الجدّ بالإجماع والقياس.

أ-الإجماع.

ب –القياس.

3-استدلال ابن رشد الجدّ بقول الصحابي،

4-استدلال ابن رشد الجدّ بعمل اهل المدينة

5-استدلال ابن رشد الجدّ بالعرف والعادة وسدّ الذرائع.

أ-العرف والعادة.

ج-سدّ الذرائع.

6-استدلال ابن رشد الجدّ بمراعاة الخلاف والاستحسان.

أ –مراعاة الخلاف.

ب- سدّ الذرائع.

7-استدلال ابن رشد الجدّ بالمصالح المرسلة.

عرفت **الأندلس** الفقه المالكي في فترة مبكرة جدا بداية في أواخر القرن **2هـ/7م** مع طلبة الإمام مالك و تلاميذهم أمثال "**يحي بن يحي الليثي**"، و"**سعيد بن عثمان التحيبي**" و غيرهم وقد شرع فقهاءها في التأليف على المذهب المالكي منذ مطلع القرن 3هـ، مستعينين في ذلك على جمع روايات "**الموطأ**" ،والسماعات المنقولة عن "**الإمام مالك**"، ويأتي في مقدمتهم "**عيسى بن دينار الطليطلي** (**212هـ/827م**) "صاحب كتاب "**المدنية**" المكونة من عشرة أجزاء، والتي جمع فيها سماعاته المباشرة عن "**عبد الرحمن بن القاسم**" عن "**مالك**" ،و"**عبد الملك بن حبيب القرطبي** (**ت238 هـ/852م**)" شارح "**الموطأ**" ومؤلف "**الواضحة**" ،و" **محمد بن أحمد العتبي القرطبي** (**ت255هـ**)[1] مؤلف **المستخرجة** التي ألّف على أساسها كتاب **البيان و التحصيل**، و التي بقيت محفوظة كاملة بفضل **ابن رشد الجدّ**، بالرغم من ظن بعضهم أنها فقدت[2] .

---

[1] فقيه أندلسي ينسب إلى **عتبة بن أبي سفيان** ،روى **عن يحي بن يحي الليثي** ، له رحلة سمع بها جماعة من العلماء با**لمشرق** وقد حدث وألف في الفقه كتبا كثيرة منها ،منها المستخرجة. انظر الحميدي: **جذوة المقتبس** ، ص 36؛ كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، د ت.، ص276؛ مخلوف : **شجرة النور الزكية** ، ص70.

[2] الرافعي عبد الرحمن : **نظم مقدمة ابن رشد** ، نشر سنة 1975م، ص43.

1 ـ التعريف بالبيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في مسائل العتبية:

إنّ أصل "**البيان و التحصيل**" هي" **المستخرجة أو العتيبة**" التي ألفها "**محمد بن أحمد العتبي** سنة (**ت255هـ/869م**)" ،و هي عبارة عن حصر شامل لمعلومات فقهية يرجع معظمها "**عبد الرحمن بن القاسم العتقي**" عن "**مالك**" برواية تلاميذه المباشرين، كما تحتوي على أراء فقهية لهم ،"**فالمستخرجة** "هي عبارة عن سماعات فقهاء بلغ عددهم إحدى عشر فقيها[1]، منهم من أخذ عن "**مالك**" مباشرة "**كعبد الرحمن بن القاسم العتقي**"[2] ،**و" أشهب بن عبد العزيز"** [3]**،و "ابن نافع المدني"**[4] ، وآخرون "**كيحي بن يحي الليثي**"، و "**سحنون بن سعيد**" ، **وأصبغ بن عبد العزيز**.

وتعرف "**المستخرجة**" باسم "**العتبية**" نسبة إلى مؤلفها "**محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي**"[5] ،و وضع **العتبي** في كتابه هذا الكثير من المسائل الغريبة والروايات الموضوعة والمطروحة حتى قيل أنه يأتي بالمسألة الغربية فإذا سمعها قال :" ادخلوها في المستخرجة" [1].

---

[1]علي العلوي: **المنهج الاجتهادي لابن رشد الجد من خلال البيان و التحصيل** ، دار ابن حزم ، تونس ، ص47.

[2] **أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري** الشيخ الحافظ الفقيه، أثبت الناس عن مالك و أعلمهم بأقواله صحبه عشرون سنة و تفقه به و بنظرائه. **أنظر** : مخلوف : **شجرة النور الزكية**، ص58.

[3] **أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري** ، أحد اكبر أصحاب **مالك** المصريين ،كان فقيها حسن سيرة ثقة فيما روى عن مالك ، إليه انتهت رئاسة العلم بمصر بعد موت ابن القاسم **أنظر**: عياض : **الغنية**، ص262و ما بعدها.

[4] **عبد الله بن نافع** ،كنيته أبو محمد، كان ممن تفقهوا بمالك و نظرائه كما روى عنه ، قيل عنه أنه صاحب رأي مالك ومفتي أهل المدينة جرأة ، و هو الذي سمع عنه **سحنون** وكبار أصحاب مالك و الذي سماعة مقرون بسماع **أشهب** في الغنية ،**أنظر** : عياض ، **ترتيب المدارك** ، ج3،ص ص128-.126

[5] حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون** ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م. ج2،ص1124.

وّ**لابن رشدّ** الفضل الأكبر في تهذيبها و تصحيحها ، حيث انتهج في هذا الكتاب منهجا جذابا ، وكشف ما به من غموض ، موفّقًا بين مختلف الرويات الموجودة به، و منبّها إلى ما فيها من خطأ وضعف و صحة[2] ، ومن الفقهاء الذين انتقدوا" **المستخرجة**"، "**محمد بن وضاح القرطبي**" الذي أشار إلى كثرة الأخطاء فيها ،و"**محمد بن عبد الحكم**" الذي بين عدم صحة مسائلها في قوله :" رأيت جلها مكذوبا و مسائل لا أصول لها "[3]، أما ا"**بن حزم الظاهري**" فقال :" لها عند أهل العلم بإفريقيا القدر العالي و الطيران الحثيث "[4].

ومهما اختلفت أقوال العلماء فيها فإنها تبقى الأساس الذي ألف عليه" **البيان و التحصيل**" ، و ما يستدعي إلى الإشارة لبعض الملاحظات الخاصة بها منها:

- ❖ أن نسبة "**العتبية** "إليه ثابتة بالروايات في كتب التراجم والطبقات، بالرغم من استعانة "**العتبي**"بتلاميذه في التدوين ، والنسخ أمر معروف عند العلماء في القديم و الحديث، و لا يقلل من قيمتها
- ❖ عدم عناية العتبي أثناء جمع مادة "**المستخرجة**" بتمييز الصحيح من الخاطئ، بالرغم من الروايات المتكررة التي تختلف أحيانا بزيادة كلمات أو حروف أو بنقصها، فينتج عن ذلك تناقض كبير.

---

[1] ابن الفرضي ،عبد الله بن يوسف الأزدي: **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت ،ج1،ص ص309-310.

[2]التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص236

[3] ابن فرحون : **الديباج المذهب**،ج2، ص177.

[4] نفسه.

❖ أن "**العتبي**" بالرغم من عيوب المستخرجة خدم الفقه المالكي خدمة عظيمة بجمعه تلك المسائل محافظا بذلك على عدد كبير من الاجتهادات الفقهية المبكرة التي لم تتوفر فيها شروط رواية الحديث الذي كان الفقهاء متمسكين به آنذاك[1].

❖ أن المادة الغالبة في "**المستخرجة** "هي ما رواه "**العتبي**" مباشرة من سماع "**يحي بن يحي الليثي**" عن "**مالك**" ،و ما رواه "**سحنون**" و "**أصبغ بن الفرج**"من **سماع** "**ابن القاسم** "و "**أشهب** "و "**ابن وهب**" عن "**مالك**"، يضاف إلى ذلك مسائل أخرى استقاها مما كتبه بعض العلماء الأندلسيون وغيرهم ، وكل هذه السماعات صحيحة وإنما تنتقد عليه سماعات أخرى غير منسوبة إلى أصحابها.

❖ أن "**المستخرجة** " لم تفقد وإنما وصلت إلينا كاملة ضمن كتاب "**البيان والتحصيل**" ، وذلك أن "**ابن رشد**" التزم في كتابه أن يبتدئ كل مسألة بنص "**العتبي**" ثم يأتي بكلامه فاصلا بين النصين بعبارة قال "**محمد بن رشد**".[2]

وقد أقبل العلماء و الفقهاء **بالمغرب** و **الأندلس** على تدارسها وذلك لما حوته من ثروة فقهية هائلة وكان أول من أهتم بها "**عمر بن لبابة**" [3] فقيه **قرطبة** و تلميذ "**العتبي**" الذي ظل يقرأ "**المستخرجة**" نحو من ستين سنة، وأخذها عنه عدد كبير من طلبة العلم حتى عصر" **ابن رشد الجدّ**" الذي زاوج في دروسه في **قرطبة** بين "**المدونة**" و" **المستخرجة**" حيث وضع عليها شرحا

---

[1] حجي محمد: **المستخرجة للعتبي والمقدّمات لابن رشد أكبر إسهام أندلسي في الفقه المالكي**، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، التاريخ، العلم والمجتمع، غرناطة ، نوفمبر 1989م ،ص45.

[2] نفسه

[3] هو **أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي**،كان فصيح اللسان حافظا للشعر،ذا أخلاق جميلة ،مأمنا ثقة دارت عليه الأحكام نحو ستين سنة،توفي **سنة 314هـ/926م**.أنظر ترجمته :الحجوي ، المرجع السابق،ص107.

ممتعا لم يحظى به أي كتاب آخر من أمهات الفقه المالكي **بالأندلس** سماه "**البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في مسائل المستخرجة**".[1]

فهذا الكتاب ما هو إلا شرح" للعتبية أو المستخرجة" ؛ لأن عصر **ابن رشد الجدّ** تميز بالتهذيب والترتيب والاختصار والتنقيح لأمهات الكتب في المذهب المالكي، و قد نالت "**المدونة**" بأكبر عناية واهتمام في هذا الاتجاه ،كما نالت "**الواضحة**" و"**العتبية** "العناية من طرف المدرسة الأندلسية سواء باختصار أو الشرح أو التهذيب أو الترتيب، و في ذلك يقول "**ابن خلدون**" :" لم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح و الجمع، فكتب أهل إفريقيا على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل "**ابن يونس (ت 451هـ/1059م)** "[2] و "**اللخمي(ت478هـ/1085م)**"[3] ...و أمثالهم ،و كتب أهل **الأندلس** على **"العتبية"** ما شاء الله أن يكتبوا مثل "**ابن رشد**" و أمثاله، وجمع **ابن أبي زيد** جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب **"النوادر"**، فاشتمل على جميع أقوال المذاهب، وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب، ونقل"**ابن يونس** "معظمه في كتابه على المدونة"[4].

[1] الحجوي: **الفكر السامي** ،ص46.

[2] هو **الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي** ،كان من العلماء الفقهاء والأئمة الكبار، من أهم مؤلفاته **كتاب الجامع لمسائل المدونة** الذي أضاف إليه الكثير من النوادر. الحطاب، المصدر السابق ،ص51.

[3] هو **الإمام أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي** كان من الفقهاء الفاضلين الدينين المتفننين ، له تعليق كبير للمدونة سماه **التبصرة** أثني عليه بأنه حسن ومفيد. الحطاب ،نفس المصدر والصفحة.

[4] ابن خلدون ، **المقدمة** ، طبعة1، مخرجة الأحاديث على كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر،2010م، ص 382.

بدأ "**ابن رشد الجدّ**" تأليف كتاب البيان والتحصيل، بداية من سنة **506هـ/1112** بطلب من بعض أصحابه من منطقة **جيان** وبعض الطلبة منطقة **شلب**[1] ، حيث طلبوا منه استخراج المسائل غير المفهومة من "**العتبية** "،وشرحها وتبيينها ، وضبط رواياتها ،لكن" **ابن رشد الجد**" فضّ أن تشرح جميع مسائل "**العتبية**" لأنها ديوان فقه كبير لم يهتم به العلماء كثيرا كما اهتموا" **بالمدونة**" التي كثرت الشروح حولها، بالرغم من أنّه كتاب قد اعتمد عليه الشيوخ الأوائل من **القرويين و الأندلسيين** ، واعتقدوا أن من لم يحفظه ولا تفقّه به كحفظه "**للمدونة**" وتفقهه فيها بعد معرفة الأصول ،وحفظه لسنة **الرسول صلى الله عليه وسلم** فليس من الراسخين في العلم، ولا من المعدودين فيمن يشار إليه من أهل الفقه [2].

ولأن فهم المسائل خصوصا الصعبة منها يختلف من شخص لآخر ،شرع "**ابن رشد الجدّ**" على هذا الأساس في شرح "**العتبية**"[3]، ابتداء من كتاب الوضوء محددا منهجه ، حيث يقوم بذكر نصّ المسألة ثم يشرح ألفاظها ،و ما يحتاج إلى شرح، و يبين ويشرح معانيها ، ثم يحصل من أقاويل العلماء ما يحتاج إلى تحصيله، وتختلف فيه الأجوبة في بعضها لاختلاف معانيها، واختلاف القول فيها، فيبن موضع الوفاق فيها والخلاف، ويحصل الخلاف من الموقع الذي فيه ، و يذكر المعاني الموجبة لاختلاف الأجوبة ، ويوجّهها بالنظر الصحيح و الرد إلى الأصول و القياس عليها وإن تكررت المسألة في موضع آخر دون زيادة عليها ذكرها في موضعها على نصها ، و أحال على التكلم عليها في الموضع الأول و إن تكررت في موضع آخر بمعنى زائد يحتاج إلى بيانه و التكلم عليها فيه، واعتمد في كل ما تكلم عليه ببيان كل ما ينقص في المسألة، بشرح موجز على حدّ تعبيره.[4]

---

[1]ابن رشد : **البيان والتحصيل** ، ج1،ص26.

[2]ابن رشد ،نفس المصدر ، ص ص28-29

[3]ابن رشد: **المسائل**،ج1،ص46.

[4] ابن رشد: **البيان و التحصيل**، ج1،ص ص29-30.

وفي الوقت الذي كان" **ابن رشد الجد"** يعمل جاهدا لإتمام الكتاب ،انشغل عنه بتوليه منصب قاضي الجماعة فهو القائل :" امتحنت بتولي خطة القضاء وذلك في جمادى الأولى من سنة إحدى عشر و خمسمائة ، فشغلتني أمور المسلمين عما كنت بسبيله من ذلك ولم أقدر من التفريغ إليه على أكثر من يوم واحد في الجمعة اعتزلت فيه الناس إلا فيما لم يكن فيه بد فأكمل لي في مدة توليني القضاء و ذلك أربعة أعوام غير أيام إلا نحو أربعة كتب أو خمسة ،فآيست من تمامه في بقية عمري إلا أن يريحني الله من ولاية القضاء، وكنت في ذلك نحو إشفاق كبير و كرب عظيم وذكرت ذلك لأمير المسامين و ناصر الدين "**أبي الحسن علي بن تاشفين"** أدام الله توفيقه وتأييده في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها أسأل الله الأجر على تفرغي لتمامه ، فقبل الرغبة في ذلك لرغبته من الثواب فيه ، و أسعفت الطلبة فيه لما رجاه أن تثقل بذلك موازينه يوم الحساب والله يدخر له هذه الحسنة وتبوؤه بها من جنة النعيم أعلى درجة من رحمته".[1]

هكذا تفرغ "**ابن رشد الجد"** لكتابه "**البيان والتحصيل"** ، فأكمله في مسهل ربيع الثاني من سنة **517هـ/1123**[2]، ويصنف هذا الكتاب ضد كتب الفروع و الرواية الفقهية ، وبذلك أصبحت "**المستخرجة"** مشروحة ،ومن أهم الكتب في فروع مذهب "**مالك"** بمجهود "**محمد بن رشد"** ، و أصبحت جزءً لا يتجزأ من "**البيان والتحصيل"** أحد الكتب المعتمدة في الفتوى با**لأندلس** وسائر **المغرب الإسلامي**.[3]

---

[1] ابن رشد : **البيان و التحصيل** ،ص ص14-15، ابن رشد : **المسائل** ،ج1،ص ص47- 48.

[2] ابن رشد :**البيان والتحصيل ، ص ص30-31**.

[3] ابن رشد :**البيان والتحصيل** ،ج1، ص21.

أما بالنسبة إلى عنوان الكتاب فلم يضبطه "**ابن رشد الجد**" بنفسه كما فعل في "**المقدمات**" وإنما استخلص التلاميذ، وكتّاب التراجم عناوين تتناسب والمضمون ،وتتقارب في الشكل[1] ، فسماه "**ابن بشكوال**" ومن سايره مثل **الحطاب**،" **بالبيان و التحصيل بما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**"[2] ، و أطلق عليه **عياض**"**البيان و التحصيل في شرح العتبي المستخرج من الأسمعة**"[3]، وأطلق عليه **الضبي** "**البيان و التحصيل والتوجيه و التعليل بمسائل العتبية**[4] ، **أما ابن عذاري** فسماه "**شرح المستخرجة**" [5]. و جاءت هذه التسميات إما مكملة أو مختصرة بناءً على ما أورده **ابن رشد الجدّ** في مقدمة كتابه .[6]

ويقصد **بالبيان والتحصيل** عند **ابن رشد الجد** شرح الكلمة لغة واصطلاحا بعد تحقيق نص الرواية أو الروايات المختلفة ،والشرح هو تسهيل فهم المعنى الغامض و المختصر ، أما التعليل فهو ربط الأحكام بعللها المستنبطة من الشرع أو المنصوص عليها من القرآن و السنة النبوية، و التوجيه هو إخضاع الجزيئات في أحكام الوقائع و في الأحكام المجردة للأصول العامة، وذلك لإيجاد الوحدة و المحافظة عليها بين الأصول و التطبيقات، ثم فتح المجال للتطور المستمر على هذا الأساس بواسطة القياس ، و يركب" **ابن رشد**" من التوجيه و التعليل عملية أخرى سماها التأويل، وهي تحميل النص

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر : المرجع السابق ،ص310.

[2] ابن بشكوال : **الصلة**، ج1 ،ص 546؛ الحطاب : **مواهب الجليل**، ج1،ص49.

[3] عياض: **الغنية** ، ص54.

[4] الضبي:**بغية الملتمس**،ص43.

[5] ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، ج4، ص74.

[6] ابن رشد: **البيان والتحصيل**،ج1،ص 29.

غير الصريح تفسيرات متعددة ، ثمّ يقوم بجمع النتائج وتلخيص الأحكام وأقوال المذهب ويسميه التحصيل .[1]

2 ـ أهمية كتاب البيان و التحصيل :

لكتاب **البيان و التحصيل** مكانة خاصة بين أمهات الكتب في المذهب المالكي، فقد جمع مسائل "**مستخرجة الأندلسيين**"، و ،"**مدونة القرويين**، اللّتين كان فقهاء **الغرب الإسلامي** في العصور الوسطى يحفظونها عن ظهر القلب و يقطعون أعمارهم في دراسة ما كتب حولها أو حول المدونة بالخصوص من شروح، وتعليقات، و تنبيهات، و زيادات، و اختصارات ، حيث كان **ابن رشد الجد**، مطلعا على الكتب التي ألفت قبله ،فانتقد المستخرجة نقد الفقيه المجتهد ،وحرر كتابه بأسلوب مبسط يدركه المبتدأ و المتمكن[2] ، و تظهر أهميته من كلام صاحبه أو مؤلفه حين تحدث عنه قائلا:" و لما كمل كتاب الوضوء على هذه الصفة... سررت بما أبان لي من عظيم الفائدة فيه؛ ذلك لأنه احتوى مع استيعاب شرح مسائله على شرح عامة مسائل المدونة ، و تحصيل كثير من أمهاتها لتعلقها بما لا يزيد عليه و لا غاية من ورائه، و علمت إن كمل شرح جميع الديوان على هذا الترتيب و النظام لم يحتج الطالب النبيه فيه إلى شيخ يفتح عليه معنى من معانيه لأنني اعتمدت في كل ما تكلمت عليه بيان كل ما تفتقر إليه المسألة بكلام مبسوط واضح، موجز يسبق إلى الفهم بأيسر تأمل و أدنى تدبر[3]"، كما بين أهمية الكتاب إذا جمعه الطالب بكتاب"**المقدمات**" حيث قال:" ...حصل على معرفة ما لم يسعه جهله من أصول الديانات و أصول الفقه ،وعرف العلم من طريقه، و أخذه من بابه و سبيله ، و أحكم رد الفرع إلى أصله و استغنى بمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات

---

[1] علي العلوي ، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[2] ابن رشد : **البيان والتحصيل**، ج1، ص10.

[3] ابن رشد :**البيان والتحصيل**،ج1 ،ص30

، وحصل درجة من يحب تقليده في النوازل المعضلات ، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غير ما آية ، ووعدهم فيه برفيع الدرجات...".[1]

ومما يبرز أهمية هذا المصنف هو ثناء الكثير من الفقهاء عليه من بينهم تلميذه "**القاضي عياض**" الذي أثنى عليه حين ترجم لشخصية "**ابن رشد الجدّ**"**في كتابه الغنية** حيث قال:" ألف كتاب البيان **والتحصيل في شرح كتاب العتبي المستخرج من الأسمعة** ، وهو كتاب عظيم ينيف عن عشرين مجلداً ".[2] و**ابن فرحون** الذي تحدث عندما ترجم "**لابن رشد الجدّ**" فقال:" ألف كتاب "**البيان و التحصيل لما في المستخرجة من التوجيه و التعليل**" و هو كتاب عظيم ينيف عن عشرين مجلد أثنى عليه ابن فرحون في قوله :" وله تآليف عظيمة النفع منها **كتاب البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه التعليل في مسائل العتبية** "[3]، و **ابن عذاري** الذي أثنى عليه مبينا أهميته فقال:" و له "**شرح المستخرجة**" تأليف لم يسبق أحد من العلماء إلى مثله."[4] و لقد اعتنى العلماء "**بكتاب البيان والتحصيل**" ، واهتموا به و قاموا بالتأليف عليه و اختصاره نذكر منهم الفقيه "**عباد بن محمد بن أشرف**"[5]الذي نسخه لنفسه نقلا من أصل المصنف، و الفقيه" **أحمد بن فرج السياري**"[6] ، كتبه كذلك بخط يده نقلا من أصل المؤلف **سنة530هـ/1136م**، وممن اختصره

---

[1] ابن رشد : **البيان والتحصيل** ،ج1،ص32.

[2] عياض: **الغنية**،ص54.

[3] ابن فرحون، **الديباج** ، ح2،ص248.

[4]ابن عذاري : **البيان المغرب**، ج4، ص 74.

[5] ابن عبد الملك، **الذيل و التكملة** ،ق 5،ج1،ص111.

[6] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص334

"أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي البجائي"[1] تحت عنوان **"مختصر البيان لابن رشد"**، رتبه على مسائل**"ابن الحاجب"** وشرحه في أربعة أسفار[2] ، كما ألف" **أبو عمرو عثمان بن دعمون الغرناطي"**[3] برنامجا على كتاب البيان و التحصيل عظيم النفع كثير الفائدة " [4] ، و ألف **أبو الحجاج يوسف بن أبي سليمان بن فتح الخدامي**[5]، كتابا سماه **تجريد رؤوس مسائل البيان والتحصيل لابن رشد.**[6]

أما موقع كتاب **البيان والتحصيل** من كتب الفروع والرواية الفقهية عن مالك، وأصحابه المتقدمين ،فقد تأثرت بمنهج الحديث في السند وعدالة الرجال وضبطهم ؛ أي أنها بدأت في الأصل سماعا أو رواية شفوية، وكان **مالك بن أنس** يخصص جلسات في الأسبوع لإسماعها، تعرض أسئلة وقضايا واقعية فيجيب عنها بناء على النصوص أو اجتهاده بواسطة القواعد العامة للشريعة ،وبواسطة العلل في الكثير من نصوص القرآن والسنة ، وبالرغم من بناء **مالك بن أنس** هذه الفتاوى على نصوص أو أصول لم يكن يدلي بها عندما يجيب عن الأسئلة أو القضايا الواقعية التي يطرحها العامة[7].

---

[1]عالم ببجاية و أحد أهم أقطابها و فقهائها(**ت868هـ/1465م**) له فتاوى نقلت من المعيار ، ونوازل المازوني ، أنظر: مخلوف **شجرة النور الزكية**، ص263.

[2] مخلوف، نفس المرجع، ص263.

[3] فقيه جليل، (**ت 709هـ-1307م**) كان ذاكرا للفقه مستحضرا لمسائل الأحكام معتمدًا عليه في الشورى ، عرض عليه القضاء مرة فلم يقبله .أنظر ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج2،ص290

[4] نفسه.

[5] من أهل **رندة** كان من أهل العلم و الأدب ، ذاكرا للأخبار ، حسن الشعر، تقلد القضاء ببلده ، وانتهت إليه رئاسة الأحكام أخذ العلم عن علماء كثرين من بينهم **أبي جعفر بن الزبير وعبد الله بن منظور وأبي جعفر بن الزيات** من أهم مؤلفاته **"ملاذ المستعيذ وعياذ المستعين في خصائص سيد المرسلين"** ،وغيرها.أنظر ابن فرحون : المصدر السابق، ج2، ص371.

[6]نفسه .

[7] ابن رشد ، **المسائل** ، ج1، ص48 وما بعدها .

دون تلاميذ مالك ما سمحت لهم الظروف أن يدونوا في مجلس الإسماع نفسه أو مما سألوا هم أنفسهم عنه ، أو مما سمعوا أجوبته من أسئلة المفتين وغيرهم واكتفى البعض الآخر بالذاكرة فلم يكتب خصوصا أن العصر لم يكن ليؤكد على الكتابة بل كان يعيب على من يأخذون علمهم من الصحف، وتم الإسماع على فترات طويلة من الزمن بقدر ما جلس **"مالك"** للإسماع والإفتاء ونتيجة لذلك من المحتمل أن تختلف هذه السماعات عن مالك بين من سمعوا عنه في أول عهده ،وبين من سمعوا عنه أواخر حياته ؛لأن الفقيه قد يجيب يجتهد بما يمكن أن يرجع عنه عندما تظهر له دلائل أقوى من الأولى[1] .

وبذلك اختلفت الرواية الفقهية عن مالك بين **المصريين** و**المدنيين** و**العراقيين** و**المغاربة** ،واختلفت الرواية الفقهية عن تلميذ مالك المباشر" **عبد الرحمن بن القاسم**" ،" **فأسد بن الفرات"** أخذ عنه أجوبة **الأسدية** من حفظ ابن القاسم، ثم أخذها عنه **سحنون** بعد ذلك، وقد رجع عن مسائل عديدة أجاب بها" **أسد بن الفرات"**، وقد أقر **ابن القاسم** بنفسه على ذلك ،و بعث برسالة إلى أسد يسأله أن يصلح أسديته على ما عند **سحنون** ، وليست **العتبية** ببعيدة عن ذلك؛ لأنه إذا كانت **المدونة** هي سماع "**عبد الرحمن بن القاسم**" برواية "**عبد السلام بن سحنون**"، فإن "**العتبية** "هي الأخرى مجموع سماعات "**عبد الرحمن بن القاسم**" ،فضلا عن سماعات آخرين "**كأشهب بن عبد العزيز" و"عبد الله بن نافع"** وآخرين ممن سبق لنا التحدث عنهم[2] .

اختلفت آراء الفقهاء في التزام **العتبية** بالأصول الفقهية، وفي منهجية صاحبها، وإن اتفقوا جميعا على عدالة وصدق **العتبي** ،هذه الأخيرة التي تناولها **ابن رشد** بالبيان والشرح والتعليل والتوجيه والتحصيل ، لكن هذا العمل الكبير لا يتعامل مع نصوص القرآن والسنة على مستوى تأصيل فقه ما

[1] ابن رشد ، **المسائل** ، ج1، ص48 وما بعدها.
[2] ابن رشد ، **المسائل** ، ج1، ص48.

يعرض من مسائل ، إلا إذا موضوع المسألة يتعلق بالقرآن والحديث ،أو إذا استدعى الأمر شاهدا لتفسير لغوي [1].

وجد هذا الاتجاه في الفقه المالكي **بالأندلس** منذ دخول المذهب إليها، إذ حاول الأندلسيون تحويل الدين الإسلامي إلى حياة قانونية تحت ضغط الحاجة اليومية ، لذلك لم يتعاملوا مع **الموطأ** كما تعاملوا مع كتب المسائل ، و وهذا الاتجاه يغلب عليه التقليد والاكتفاء بأخذ الأحكام في صورتها النهائية ،وهي اقرب ما يكون إلى التقنين ، بحيث لا يبحث عن كيفية ارتباطها بالكتاب والسنة وإن بحث عن أصلها في أقوال الفقهاء ، وذلك لأن استخراج القواعد الفقهية من المسائل يتم بواسطة الاستقراء ،إلا أنه عندما توجد وقائع جديدة يلجأ في البحث عن الحل لها في الأصول. ورغم محاولة العديد من العلماء إدخال المنهج الأصولي في استخراج التطبيقات القانونية من القرآن والسنة إلا أن الرواية الفقهية لم تفسح المجال لرواية الحديث في مجال الفقه على المستوى الذي يكفل خلق أجيال تستطيع الاجتهاد على أساس الأصول[2] .

و رغم اتجاه التقليد الذي تميّز به كتاب" **البيان والتحصيل**" ، لاحتوائه على أكبر مجموعة من السماعات لرواة عديدين من **الحجاز** و**مصر** و**المغرب** و**الأندلس**، ولاشتماله على شروح عامة مسائل "**المدونة**" وتحصيل الكثير من أمهاتها[3]، يعتبر ذا دور مهم في المذهب المالكي، ولقد لعب كتاب "**البيان و التحصيل**" هذا الدور من صدوره عن المؤلف، إذ حظي بعناية كبرى على مر

---

[1] ابن رشد ،**المسائل**، ج1 ، ص51.

[2] ابن رشد ، نفس المصدر ،ج1، ص ص52- 53.

[3] ابن رشد ، **البيان والتحصيل** ج1، ص4.

الأجيال ولقد زاد من الاهتمام به اعتماد" **خليل بن إسحاق**" عليه في مختصره [1] .

وخلاصة ما يمكن أن نصل إليه ما يلي:

1-أن" **ابن رشد**" تناول في البيان والتحصيل سماعات" **المستخرجة**" مسألة مسألة ، متداركا ما فات عن **العتبي** من تدقيق و ترتيب شارحا الغموض فيه شرحا وافيا.

2-استفاد من المصادر المتأخرة سواءً منها الأندلسية ، أو القروية و المصرية و العراقية و حتى ما ألف خارج المذهب المالكي عند الحاجة.

3- استفاد من اجتهادات شيوخه القرطبيين و ما سمعه في حلقات تدريسهم و ما وجد في فتاويهم وكتبهم أمثال "**محمد بن خيرة الأموي**"، و"**محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع**" و" **الحسين بن محمد الغساني الجياني**" وغيرهم .

4- استند إلى اجتهاداته الشخصية كمدرس و مفت و مشاور و قاضي، وفي هذا الموضع نقل لنا مادة اجتماعية هامة تهم نشاط الأندلسيين على عهد المرابطين.

5- عدم الوقوع في التكرار الذي وقع فيه **العتبي** ، بالإشارة إلى المواقع التي سبق شرح المسألة المتكررة فيها اعتمادا على الكتب و السماعات مع المحافظة على نص المستخرجة على حاله .

6-كتب **البيان** على طوله بأسلوب يكاد يفهمه كل شخص ، و أضاف التحصيل له كلما تفرغت مسألة أو تعددت صورها أو شروطها، ذاكرا في الختام الشرح حيث يشرح المسألة قولا أو صورة أو شرطا ثم يستعرضها موجزة لترسخ في الذهن[2] .

---

[1] ابن رشد: **المسائل**، ص54.

[2] محمد حجي، المرجع السابق، ص47.

3 ـ مصادر ابن رشد المعتمدة في البيان و التحصيل:

❖ المدونة:

لم يحظ كتاب فقهي من الكتب المالكية ما حظيت به "**مدونة سحنون بن سعيد التنوخي**"[1] من عناية و اهتمام منهم من لخّصها واختصرها، و منهم من اكتفى بالتعليق على بعض أفكارها و منهم من نبّه على مشكلاتها ومنهم من شرحها شرحا وافيا [2].لذلك لقيت المدونة الاهتمام البالغ **لابن رشد في البيان والتحصيل** لمنزلتها الرفيعة عند المالكية ، فلا يخلو جزء من الأجزاء الثمانية عشر لهذا الكتاب من استدلال واستشهاد **ابن رشد** بأقوالها و الأمثلة على ذلك كثيرة.

❖ الواضحة لأبي مروان عبد الملك بن حبيب(ت 238هـ/852م) :

يعتبر كتاب الواضحة من أهم مصادر الفقه المالكي ، وأحد الأمّهات الخمسة التي لا يستغنى عن دراستها والتفقه بها طالب في مذهب أهل المدينة ، وتمتاز الواضحة بجمعها لمأثورات السادة المالكية المبكرة من سماعات و مرويات تعود إلى عصر "**الإمام مالك**" ، وكبار تلاميذه من بعده بالإضافة إلى آراء ابن حبيب واجتهاداته الفقهية، لذلك تعتبر أشهر كتبه في الفقه المالكي حيث جمع فيها ابن حبيب مذهب مالك بن أنس واجتهادات كبار أئمة المذهب خارج الأندلس وداخلها،[3]وهي الكتاب و المصنف الذي خلد اسم "**ابن حبيب**" (في تاريخ الفقه المالكي و ميّزه بين علمائه[4].

---

[1] للمزيد من التفاصيل حول شخصية **سحنون بن سعيد** ومكانته من العلم والثناء عليه من طرف العلماء .أنظر عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص339 وما بعدها.

[2] عياض ، نفس المصدر، ج3، ص ص 299- 300.

[3] مصطفى الهروس: **المدرسة المالكية الأندلسية** ، إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأتها وخصائصها، المملكة المغربية 1997م، ص 376وما بعدها.

[4] علي العلوي، المرجع السابق، ص 57.

أثنى عليها **"ابن فرحون المالكي"** في ديباجه بقوله:" لم يؤلف مثلها"[1]، لذلك تعتبر من أهم الكتب و المصنفات الفقهية مابين القرنين **3و 4هـ** ، حيث حظيت بمكانة متميزة وخاصة في **الأندلس**[2] ، فلقد جمعت "**الواضحة** "بين دفتيها آراء المدارس المالكية التي تتلمذ عليها **"ابن حبيب"** فهي"كتاب شامل يضاهي "**المدونة** "في بنائه و تكوينه الداخلي"[3].

و ممن مميزات هذا الكتاب رجوع مؤلفه إلى رأي **"الإمام مالك"** إلا أنه في نفس الوقت يرجع إلى رأي معاصريه ،وخلفه من أهل المدينة التي تختلف أحكامهم وآرائهم الفقهية عن آراء شيخه ،كما تكمن أهمية كتاب الواضحة في عرضه للاختلاف في الرأي بين حلقات علماء أهل المدينة في عصر "**الإمام مالك** "، وأيضا الاختلاف في الروايات بين تلاميذه المعاصرين له[4]، كما أن الواضحة لم تقتصر على نقل المفاهيم الفقهية لأهل المدينة فقط لأنه يحتوي على سماعات أخرى عن علماء من مصر قصدهم أثناء زيارته لها و لقد اعتمد عليها "**ابن رشد الجدّ** "في مواقع كثيرة مثل اعتماده على المدونة.[5]

و اعتمد "**ابن رشد الجدّ**" في كتابه "**البيان و التحصيل**" على "**المدونة لسحنون بن سعيد**" و"**الواضحة لابن حبيب**" كمصدرين أساسين في كتابه؛ لكنه لم يقتصر عليها فقط و إنما تنوعت مصادره إلى عناوين أخرى كثيرة منها ما يأتي:

---

[1] ابن فرحون :**الديباج المذهب،** ج2، ص11 ؛ مخلوف، المرجع السابق، ص 75.

[2]ميكلوش موراني : **دراسات في مصادر الفقه المالكي،** ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م، ص 52.

[3] العلوي، المرجع السابق، ص58.

[4]ميكلوش موراني ، المرجع السابق، ص62.

[5] ميكلوش موراني ، المرجع السابق، ص63.

❖ **الأسدية: لأسد بن فرات** المتوفي(**213هـ/828م**)[1] ،و هي أصل "**مدونة سحنون** وتعتبر أول كتاب يؤلف في الفقه المالكي بعد "**الموطأ**"[2] ،و تحتوي على ستتين كتابا[3] .

❖ **التبصرة: للإمام اللخمي** المتوفي سنه(**478 هـ/1086م**)" هو عبارة عن تعليق كبير على المدونة، قال عنه عياض في **ترتيب المدارك** أنه مفيد حسن[4] ، وقد ركز مؤلفه جهده على تخريج الخلاف في المذهب و استقراء الأقوال[5] .

❖ **التفريع لابن الجلاب** : المتوفى سنة (**378هـ/989م**) [6]من كتب الفقه المالكي المشهورة المعتمدة[7]، التي تمثل مثالا لتحول واضح في مسار تاريخ التشريع الإسلامي وتطور الفقه من الاجتهاد والابتكار إلى التطبيق والتحليل والتفصيل ، كما يعتبر كتاب

---

[1] مولى **بني سليم بن قيس** كنيته **أبا عبد الله** ، ولد بنجران من ديار بكر ، سمع الموطأ من مالك وسمع منه أخبارا كثيرة ثم ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف صاحب أبا حنيفة .أنظر ترجمته والمزيد من أخباره: عياض ،**ترتيب المدارك**، ج1،ص270وما بعدها

[2]عبد العزيز المجذوب : **الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية** ، ط2، الدار التونسية للنشر ،1995، ص51.

[3] عياض : **ترتيب المدارك**، ج1، ص270،وما بعدها.

[4]عياض، نفس المصدر ، ج 2، ص109، اللخمي: **التبصرة** ، تحقيق أحمد عبد الكريم نجيب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر ،د ،ت.

[5] عياض، المصدر السابق ،ص109.

[6] هو **أبو القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري المالكي** أجمع المترجمون أنة من كبار أصحاب **الأبهري** الذي تفقه به ، أخذ عنه العلم كثيرون من بينهم **غالب بن عطية المحاربي** و**القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي** له مؤلفات عديدة منها كتاب في مسائل الخلاف ن وشرح **للمدونة** وغيرها.أنظر ترجمته:ابن الجلاب البصري :**التفريع**، ط1 ، دراسة وتحقيق حسين بن سالم الدهماني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م ، ج1 ،ص101وما بعدها.

[7] مخلوف، المرجع السابق ، ص92.

التفريع كنموذج هام لنوع جديد من المؤلفات الفقهية ألا وهي المختصرات الجامعة التي تتناول عددا ضخما من المسائل الفقهية[1].

❖ **التلقين للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي:** (**ت422هـ/1031م**) من أشهر كتبه وأكثرها ذكرا من مؤلفات المالكية، و هو أقرب إلى الاختصار منه إلى البسط والشرح وهو على صغر حجمه من أفضل الكتب و أكثرها فائدة [2].

❖ **الدمياطية لعبد الرحمن بن جعفر الدمياطي** (**ت 841/226م**):جمع في هذا المؤلف سماعاته عن مالك وكبار أصحابه ، قال عنه **عياض** أنه " سماع مختصر و مؤلف حسن "[3].

❖ **الرسالة لابن زيد القيرواني** :(**ت386هـ/996م**)[4] : هي إحدى الكتب أو المصنفات التي اهتم بها المالكيون وعكفوا على تدارسها شرقا و غربا،و قد اشتهرت **الرسالة** اشتهارا كبيرا وشاعت في مختلف المناطق حيث بلغت **العراق** و**اليمن** و**الحجاز** و**الشام** و**مصر** وبلاد النوبة و**صقلية** وبلاد إفريقيا، و**الأندلس** و**المغرب** **وبلاد**

---

[1] ابن الجلاب: **التفريع**،ص107.

[2] الحجوي :**الفكر السامي** ،ج2،ص204.

[3] عياض: **ترتيب المدارك** ،ج3،ص375.

[4] هو **أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني**، سمع بإفريقيا **أبو بكر بن لباد وأبو عبد الله محمد بن العسال** وغيرهم ،كان من أهل العلم والعبادة والورع والفضل والإحسان ،حيث انتشرت إمامته في العلم شرقا وغربا حتى قال بعضهم أن أبو محمد كان إمام المالكية في وقته ، وقدوتهم وجامع مذهب **مالك** وشارح أقواله،له مؤلفات كثيرة منها **كتاب النوادر** ، **كتاب مالك ورسالته في الرد على السائل** ،**كتاب المضمون من الرزق**، وغيرها .أنظر ترجمته: الدباغ : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،تحقيق محمد ماضور، نشر المكتبة العتيقة بتونس ـ مكتبة الخانجي بمصر،تونس ، مصر ،د ت،ج3،ص ص109- 110.

السودان [1]؛ إذ تعتبر من أهم ما ألف في المذهب المالكي و ترتب من حيث الأهمية والتداول الكتاب الثالث بعد **الموطأ والمدونة**[2]. وانتشرت الرسالة مشرقا و مغربا وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب، و أول نسخة بيعت ببغداد في حلقة **أبي بكر الأبهري** [3]بعشرين دينارا[4].

- **شرح الرسالة للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي** :عدّه ابن فرحون من كتبه المفيدة والقيمة[5].
- **المبسوط في الفقه : لإسماعيل بابن إسحاق الجهضمي الأسدي**: يعدّ من بين تآليفه الكثيرة المفيدة و من هذا الكتاب تعرف طريقة البغدادين في الفقه والتأليف[6].
- **المبسوطة: ليحي بن يحي بن إسحاق الليثي (ت303هـ/913م)**[7]: جمع فيه اختلاف أصحاب مالك و أقواله.

---

[1] الدباغ ، نفس المصدر، ج3،ص111.

[2] العلوي : المرجع السابق، ص91.

[3] هو **محمد بن عبد الله بن صالح بن عمر بن حفص بن مصعب بن الزبير** الفقيه الأبهري من أهل **بغداد** كان ثقة مشهورا انتهت إليه الرئاسة في المذهب المالكي ، له مؤلفات كثيرة منها **كتاب في الأصول** ، **كتاب إجماع أهل المدينة** ، **وكتاب الأمالي** وغيرها. أنظر عياض : **ترتيب المدارك**، ج2، ص124وما بعدها.

[4] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص111.

[5] ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج2،ص ص27- 28.

[6] ابن فرحون: نفس المصدر، ج1، ص ص 282- 289.

[7] من أهل **الأندلس** ، قيل فيه أنه لم يعطى أحد من العلم ب**الأندلس** منذ دخولها إلى الإسلام ما أعطيه **يحي بن يحي الليثي** وكان **عبد الرحمن بن الحكم** يجله ولا يرجع عن قوله ويستشيره في جميع أمره، كما قيل فيه أنه أعقل أهل الأندلس حتى أن **الإمام مالك** كان يعجبه سمت يحي وعقله. أنظر ترجمته والمزيد من أخباره : عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص310وما بعدها.

❖ **مختصر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت214هـ/829م)**، وهي ثلاث مختصرات جمع فيها سماعاته عن **الإمام مالك** و كبار تلاميذه ممن درس عليهم وهي المختصر الكبير الذي اختصر فيه سماعاته عن **أشهب** ، و المختصر الأوسط والمختصر الأصغر[1].

❖ **المجموعة: لمحمد بن إبراهيم بن عبدوس(ت260هـ/874م)** [2]، أشهر مؤلفاته وأكثرها تداولا في المذهب قال عنه **ابن فرحون** أنه"كتاب شريف على مذهب مالك وأصحابه"[3] .

❖ **مختصر ما ليس في المختصر: لابن شعبان أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي (ت355هـ/966م)**،كان من أهم الفقهاء المالكية في عصره وأحفظهم لمذهب مالك مع التفنن في سائر العلوم من الأخبار والتاريخ والأدب والتدين والورع،كما كان واسع الرواية له مؤلفات حسنة فيها غرائب من قول مالك، ألف **كتاب الزاهي الشعباني المشهور** في الفقه ، **وكتابان في أحكام القرآن وكتابان في مناقب مالك** وغيرها، وكتابه **مختصر ما ليس في المختصر**[4]، هو الذي اعتمد عليه **ابن رشد الجدّ** في كتابه **البيان والتحصيل** ؛إذ يعد هذا الكتاب من أهم الكتب الفقهية المتداولة بين العلماء[5].

---

[1] ميكلوش موراني، المرجع السابق، ص171وما بعدها.

[2] هو **محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير** ،أصله من العجم من موالي قريش، وهو من كبار أصحاب **سحنون بن سعيد**،كان ثقة وإماما في الفقه،حافظا لمذهب مالك والرواة من أصحابه ، له كتب في التفسير ،وأربعة أجزاء في شرح المدونة وغيرها من الكتب. أنظر ترجمته:الحجوي : **الفكر السامي**،ج3، ص102.

[3] ابن فرحون : **الديباج المذهب** ،ج2،ص175؛ الحجوي، المصدر السابق، ج3، ص102.

[4] ابن فرحون ،نفس المصدر ص،ص194- 195.

[5] العلوي، المرجع السابق، ص95.

❖ **المدنية لعبد الرحمن بن دينار** (**ت 297هـ/910م**):[1] ينسب له هذا الكتاب حيث قال عنه ابن فرحون: " هو الذي أدخل الكتب المعروفة **بالمدنية** سمعها منه أخوه **عيسى بن دينار** ثم خرج بها عيسى فعرضها على **ابن القاسم** فردّ فيها أشياء من رأيه"[2].

❖ **المعونة على مذهب أهل المدية للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي**:يعتبر بمثابة ديوان فقه قيم للغاية[3].

❖ **الموازية**: نسبة لمؤلفه **ابن المواز**[4](**ت269هـ/ 883م**) ، وهو كتاب مشهور من أجل وأشهر الكتب الفقهية التي ألفها المالكيون **بالمغرب الإسلامي** وأصحّها مسائل وأبسطها كلاما، وقد رجّحه **أبو الحسن القابسي** على سائر الأمهات وذكر أن صاحبه "قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه وغيره إنما قصد جمع الروايات ،ونقل نصوص السماعات"[5] حيث تضمنت كل الوسائل العويصة في الفقه المالكي فضلا عن الاهتمام بفروع المالكية.

❖ **موطأ الإمام مالك بن أنس** (**ت179هـ/795**): و هو أول كتاب في شرائع الإسلام أثنى عليه **الإمام الشافعي** فقال :" ما كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من كتاب مالك"[6]، كما ذكر

---

[1] يكنى **أبا زيد** ،كان فقيها عالما حافظا للحديث حيث كان من بيت علم وصلاح ،وكانت له رحلتان استوطن في إحداهن المدينة.أنظر ترجمته : ابن فرحون : **الديباج المذهب** ،ج1، ص473.

[2] نفسه.

[3] على العلوي، المرجع السابق، ص95.

[4] هو **محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني المعروف بابن المواز** تفقه **بابن الماجشون وابن عبد الحكم** و اعتمد على **أصبغ** ،كان راسخا في الفقه و الفتوى عالما في ذلك .ابن فرحون : المصدر السابق ،ج2 ص166.

[5] نفسه.

[6] على العلوي، المرجع السابق، ص96.

عياض أنه لم يعن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ سواء من الموافقين، أو المخالفين على حد سواء حيث اجتمعوا على تقديره وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وصحيحه ولقد اهتم بالكلام على رجاله والتصنيف في ذلك عدد كبير من المالكيين وغيرهم من أصحاب الحديث والعربية.[1]

❖ **النوادر و الزيادات لأبي زيد القيرواني**: وجد بهذا الكتاب أهم مادة مرجعية عن مصادر الفقه المالكي المعلومة في القرن **4هـ/10م**، المتمثلة في مجاميع مسائل ومختصرات فقهية ومعالجات لمشكلات متفرقة[2]، فهذا المصنف الذي يزيد عن مئة جزء يعتبر بمثابة تلخيص للكتب الفقهية الهامة للمذهب المالكي حتى ذلك الوقت حيث جمع جميع أمهات الكتب من المسائل و الخلاف و الأقوال ، فاشتمل على جميع أقوال المذهب وفروع الأمهات كلها، والكتيب الفقهية التي استخدمها يرجع تاريخها إلى قرنين من الزمان ، ومن هنا جاءت أهمية هذا المصنف بالنسبة للأبحاث المتعلقة بتاريخ تطور مصادر المالكية [3]، كما يمكن أن يكون اهتمام **ابن رشد الجدّ** به جاء للسبب نفسه.

❖ **نوازل أصبغ بن الفرج (ت225هـ/940م)**[4]: يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة جدا حيث قال **عبد الملك بن الماجشون** عن مؤلفه" ما أخرجت **مصر** مثل **أصبغ**

---

[1] عياض ، **ترتيب المدارك**، ج2، ص105.

[2] ميكلوش موراني : **دراسات في الفقه المالكي** ،ص100.

[3] نفسه.

[4] **هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع مولى عبد العزيز بن مروان**،يكنى أبا عبد الله، دخل المدينة ليسمع عن مالك فتوفي بها،صاحب **ابن القاسم وابن وهب وأشهب** وسمع منهم وتفقه بهم، كان ماهرا في الفقه صدوقا ثقة إذ كان كاتبا **لابن وهب** وأخص الناس به تفقه على يده **ابن المواز وابن حبيب** وغيرهم من المغاربة والأندلسيين.أنظر: ابن فرحون ، المصدر السابق، ج1، ص299.

قيل له :ولا ابن القاسم ؟قال: :ولا **ابن القاسم**"[1].كما قيل أنه "كان من اعلم خلق الله كلهم برأي مالك يعرفها مسألة مسألة ومتى قالها ؟،و من خالفه فيها؟ ، وله تآليف حسان "[2].

4ـ ترتيب مصادر ابن رشد في البيان و التحصيل:

يمكن أن نرتب مصادر **البيان و التحصيل** حسب عدد المسائل الموجودة في بها في كامل الأجزاء وهذا ما توصل إليه أحد الباحثين [3]في دراسته للمنهج الاجتهادي **لابن رشد الجد** من خلال **كتاب البيان و التحصيل** وهي كما يلي:

1. **المدونة**
2. **الواضحة**
3. **الموازية أو كتاب ابن المواز**
4. **الموطأ**
5. **كتاب ابن سحنون**
6. **النوادر و الزيادات**
7. **المجموعة**
8. **المبسوطة**
9. **الأسدية**

---

[1] ابن فرحون : **الديباج المذهب** ، ج1،ص300.

[2] نفسه.

[3]أنظر على العلوي: المرجع السابق، ص ص 97- 98.

10. مختصر ابن الحكم
11. مختصر ما ليس من المختصر
12. المدنية
13. الدمياطية
14. نوازل أصبع
15. المعونة
16. المبسوط
17. الرسالة لأبي زيد القيرواني
18. التفريع لأبي الجلاب
19. التبصرة للإمام اللخمي
20. التلقين للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي
21. شرح رسالة ابن أبي زيد للقاضي عبد الوهاب

❖ **جدول بياني للمسائل المستدل بها من مدونة سحنون لابن حبيب في البيان والتحصيل[1].**

المصادر	أجزاء البيان	عدد المسائل المستدل بها في البيان و التحصيل	مجموع المسائل
المدونة	ج1	49 مسألة	401 مسألة
	ج2	28 مسألة	
	ج3	8 مسائل	
	ج4	5 مسائل	
	ج5	18 مسألة	
	ج6	50 مسألة	
	ج7	30 مسألة	
	ج8	23 مسألة	
	ج9	14 مسألة	
	ج10	36 مسألة	
	ج11	18 مسألة	
	ج12	49 مسألة	
	ج14	28 مسألة	
	ج15	8 مسائل	
	ج16	5 مسائل	
	ج17	18 مسألة	

[1] أنظر الجدول الأول والثاني علي العلوي : **المنهج الاجتهادي لابن رشد الجدّ** ، ص 90- 100..

	ج18	50 مسألة	

❖ **جدول بياني للمسائل المستدل بها في الواضحة لابن حبيب في البيان والتحصيل:**

المصادر	**أجزاء البيان**	**عدد المسائل المستدل بها في البيان و التحصيل**	**مجموع المسائل**
	ج1	5 مسائل	
	ج2	6 مسائل	
	ج3	8 مسائل	
	ج4	5 مسائل	
	ج5	8 مسائل	
	ج6	8 مسائل	
	ج7	5مسائل	
	ج8	14 مسألة	
الواضحة	ج9	12 مسألة	137 مسألة
	ج10	8 مسائل	
	ج11	8 مسائل	
	ج12	14 مسألة	
	ج14	3 مسائل	
	ج15	6 مسائل	
	ج16	8 مسائل	
	ج17	2 مسألتين	
	ج18	7 مسألتين	

❖ جدول بياني ثالث حول كل مصادر ابن رشد في البيان و التحصيل:

المصادر	عدد مسائله المستدل بها في البيان و التحصيل	مؤلفه
الأسدية	8 مسائل	أسد بن الفرات
التبصرة	مسألة واحدة	أبو الحسن علي بن محمد اللخمي
التفريغ	مسألة واحدة	أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن الجلاب
التلقين	مسألة واحدة	القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي
الدمياطية	3 مسائل	عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي
الرسالة	مسألة واحدة	ابن أبي زيد القيرواني
شرح رسالة أبي زيد القيرواني	مسألة واحدة	القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي
كتاب ابن سحنون	17 مسألة	محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد
المبسوط في الفقه	مسألتان	إسماعيل بن إسحاق
المبسوطة	13 مسألة	يحي بن يحي إسحاق الليثي
المجموعة	13 مسألة	محمد بن إبراهيم بن عبدوس
مختصر ابن عبد الحكم	6 مسائل	عبد الله بن عبد الحكم بن أعين
مختصر ما ليس في المختصر	6 مسائل	أبو إسحاق محمد بن القاسم ابن شعبان المعروف بابن القرطبي
المدنية	5 مسائل	عبد الرحمن بن دينار

المدونة	401 مسألة	عبد السلام سحنون بن سعيد
المعونة	60 مسألة	القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي البغدادي
الموازية	60 مسألة	محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله
الموطأ	20 مسألة	الإمام مالك بن أنس
النوادر و الزيادات	15 مسألة	ابن أبي زيد القيرواني
نوازل الأصبغ	مسألتان	أصبع بن الفرج
الواضحة	137 مسألة	عبد الملك بن حبيب

إن المتأمل للجدولين البيانيين للمسائل المستدل بهما من **مدونة سحنون و واضحة ابن حبيب** و مصادر **ابن رشد** الأخرى في **البيان و التحصيل**، يلاحظ جليا أن مدونة **سحنون بن سعيد التنوخي** تصدرت بقية المصادر و نالت الحظ الأوفر من اعتناء **ابن رشد الجد** بها في كتابه **البيان و التحصيل** ، وهذا الأمر يرجع لمكانتها لدى المغاربة والأندلسيين باعتبارهما المصدر الثاني للمذهب المالكي بعد **الموطأ للإمام مالك بن أنس،** وهذا يبرز و يبدو واضحا من عدد المسائل التي استدل بها **ابن رشد** في **المدونة** و التي بلغ عددها 401 مسألة .

و يأتي بعدها **كتاب الواضحة لابن حبيب** بعدد المسائل بلغت137 مسألة، ولقد أشار **ابن خلدون** إلى أهميتها في المذهب المالكي و لدى الأندلسيين على الخصوص قائلا":ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع، فكتب أهل إفريقية على **المدونة** ما شاء أن يكتبوا ... وكتب أهل **الأندلس** على **العتبية** ما شاء أن يكتبوا "[1]،و تأتي **الموازية لابن المواز**

[1] ابن خلدون : **المقدمة**، ص382.

و**المعونة للقاضي عبد الوهاب** في المرتبة الثالثة حيث استدل بهما **ابن رشد** في 60 مسألة، و هذا ما يدل على أنهما من أهم المؤلفات التي ألفت في الفقه المالكي ، أما المرتبة الرابعة فكانت **لموطأ مالك بن انس،** و أهمية هذا الكتاب لا شك فيها إذ يعد ذو فضل كبير على جميع كتب الحديث، لـــذلك اعتـــنى بـــه **ابـــن رشـــد الجـــد** في كتابـــه **البيـــان و التحصـــيل** . وذلك لأنه خريج المدرسة الأندلسية الأثرية المنهج التي التزمت علم الحديث وفقه الأثر ، مقلدة المذهب المالكي على طريقة **الموطأ،** مخالفة في ذلك طرائق **العراقيين** ،و **المصريين،** و **القرويين** من أتباع المذهب المالكي ، أما المرتبة الخامسة فكانت لكتاب **محمد بن سحنون** في سبعة عشر مسألة ،و يليه في المرتبة السادسة **كتاب النوادر و الزيادات لابن أبي زيد القيرواني** في خمسة عشر مسألة[1] ، ثم تأتي بقية المصادر كما هي موضحة في الجدولين السابقين وهذا لأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه الكتب و مكانتها في المذهب المالكي.

5 ـ أهمية قول ابن رشد في المذهب المالكي من خلال كتاب البيان والتحصيل:

اعتمد "**ابن رشد الجد**" على مصادر كثيرة جدا في "**البيان و التحصيل** " واستشهد بها الأمر الذي يثير لدينا تساؤلات عن مدى اطلاع "**ابن رشد**" على محتوى كتب و أمهات المذهب المالكي ومدى استيعابه لمسائلها ،ومن ثم أهمية قوله في المذهب[2] و هذا ما سنستكشفه من خلال عرض هذا الجدول الذي يشتمل على أمثلة من مصادر "**ابن رشد**" في" **البيان والتحصيل**" دالة على اتصافه بحفظ محتوى كتب المذهب.

[1] العلوي: **المنهج الاجتهادي لابن رشد،** ص ص 104- 105.

[2] العلوي ،نفس المرجع ، ص ص126-127.

أمثلة دالة على حفظ ابن رشد لمحتوى كتب المذهب:

مصادر المذهب المالكي	أمثلة مأخوذة من بعض مصادر ابن رشد في البيان و التحصيل	المقارنة مع ما استشهد به ابن رشد من نفس المصادر في البيان والتحصيل	المقارنة بينهما	ملاحظات	
				إثبات صفة الحفظ	نفيها
كتاب التفريع لابن الجلاب	**قال ابن الجلاب** : " وسؤر الكلب و الخنزير من الماء مكروهان ،وسؤرهما من الطعام و سائر المائعات مباح غير مكروه.[1]	**قال ابن رشد:**"وفي التفريع لابن الجلاب أن سؤر الكلب و الخنزير من الماء مكروه، ومن الطعام مستعمل إلا أن يكون في خطمهما نجاسة" [2]	هناك تطابق كبير مع اختلاف طفيف في اللفظ	ابن رشد حافظ	
كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب	**قال القاضي عبد الوهاب** :"والبري ضربان،منه ما له نفس سائلة...والضرب الآخر ما لا نفس له سائلة ،كالزنبور و العقرب و الخنفساء و الصرار و بنات وردان وشبه ذلك، فحكم هذا حكم دواب البحر لا ينجس في نفسه إذا مات و لا ينجس ما مات فيه من مائع	**قال ابن رشد:** "وهو قول عبد الوهاب في التلقين أن حكم هذه الأشياء التي لا لحم لها و لا دم سائلا حكم دواب البحر لا تتنجس في أنفاسها و لا تنجس ما مات فيها ".[4]	هناك تطابق في المسألتين مع اختلاف طفيف في اللفظ	حافظ	

[1] ابن الجلاب: **التفريع**، ج1، ص214.
[2] ابن رشد : **البيان والتحصيل**،ج1، ص ص216- 217.
[4] ابن رشد، **البيان والتحصيل**،ج3،ص ص304_305.

	أو ماء".[1]				
المدونة للإمام سحنون بن سعيد	**ورد بالمدونة ما يلي** :" أريت إن قال داري لفلان ثم قال بعد ذلك داري لرجل آخر ، والدار التي أوصى بها هي الدار الواحدة أيكون قوله الآخر، ونقضا لقوله الأول إذا قال داري و دابتي لفلان ثم قال بعد ذلك لدابته تلك بعينها .....قال: الذي سمعت من قول مالك و بلغني عنه أنه بينهما نصفين " [3].	**قال ابن رشد**: قول أشهب هذا خلاف مذهب ابن القاسم و روايته عن مالك في المدونة وغيرها فيمن أوصى لرجل بشيء يعنيه ثم أوصى بذلك الشيء لغيره ، أنهما يشتركان فيه و لا تكون وصية الثانية نقصا لوصية الأولى، وكذلك على مذهبه إذا أوصى لرجل ثلثه ،ثم أوصى به لغيره يشتركان به"[4].	تطـــــابق في المعـــــنى و اخـــتلاف في اللفظ	حافظ	

---

[1] القاضي عبد الوهاب، **التلقين في الفقه المالكي ومعه في الحاشية كتاب تحصيل ثلج اليقين في حل معقدات التلقين لفقيه اللغوي أبي الفضل السجلماسي**، تحقيق وتعليق الشيخ الفقيه أبي محمد الحسني **التطواني وأبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 2004م** ، ج1،ص26.

[3] العلوي، المرجع السابق، ص127.

[4] ابن رشد: **البيان و التحصيل**،ج13 ،ص253 -254.

الرسالة لأبي زيد القيرواني	**قال أبي زيد القيرواني** في الرسالة " لا يدخل الرجل الحمام إلا بمئزر و لا تدخله المرأة إلا من علة"[1].	**قال ابن رشد:** قال ابن زيد في :"لا تدخل المرأة الحمام الرسالة إلا في علة"[2].	هنالك تطابق تام في المسألة	حافظ	
النوادر و الزيادات لابن زيد القيرواني	**قال ابن أبي زيد القيرواني** : "و عن مسافر الماء منه على نصف ميل أو ميل ، ويخاف سباعا أو سلابة أو عليه فيه مشت فليتيمم "[3]	**قال ابن رشد** في البيان و التحصيل: وفي النوادر إن كانت عليه في ذلك مشقة فليتيمم". [4]	هناك تطابق	حافظ	

إن الرجوع إلى استشهاد "**ابن رشد**" الجد بأمهات الكتب في المذهب المالكي و مصادره المتنوعة و المختلفة ، واستشهاده بأقوالها وبالرجوع إلى هذه المصادر و قراءة ما جاء فيها والقيام بالمقارنة بينها و بين ما نقله "**ابن رشد الجد**" في "**البيان و التحصيل**" ، يلاحظ التطابق بينهما إما باللّفظ أو بالمعنى فحسب، و هذا الأمر يوصل إلى حقيقة من الحقائق ألا و هي اتصاف "**ابن رشد الجد**" بحفظ محتوى كتب المذهب المالكي و استيعابه لمسائلها ، و بالأخص ما اشتهر منها كالمدونة و **الواضحة ،والنوادر ،و الزيادات** ، و الجدول السابق يؤكد صفة الحفظ له بواسطة الأدلة

---

[3] العلوي ،المرجع السابق ،ص126.

[2] ابن رشد : **البيان والتحصيل**، ج12،ص548.

[3] ابن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات** ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1999م، ج1، ص111.

[4] ابن رشد: **البيان والتحصيل** ، ص157.

والبراهين بناءً على التطبيق دون الاقتصار على الجانب النظري في معرفة صفات" **ابن رشد الجد"** ومكانته العلمية عن طريق الممارسة.[1]

فضلا عن حفظ" **ابن رشد"** لأمهات الكتب في المذهب المالكي و استشهاده بأقوالها فإن لقوله مكانة هامة لدى علماء المذهب ، إذ يعد أحد الأربعة الذين اعتمادهم "**خليل بن إسحاق"** في مختصره[2]، كما سبق التطرق إليه ،ونقل العلوي عن" **عبد الرحمن الغرياني الطرابلسي"** أنه إذا تعارض نقل الشيوخ أو قولهم ،فإن "ابن **رشد رحمه الله"** هو المقدم ، **و"ابن يونس"** مقدم على "**اللخمي"**، وذكر نقلا عن الجماعة" **أبو يوسف الزغبي** "عن "**ابن عرفة** ":" لا يحل لمسلم أن يحل على نص ابن رشد و يأخذ بقول اللخمي"، وبين الفقهاء أن اتفاق "**ابن رشد الجد" و" اللخمي"** على مسالة ما يجعلها ترجح و لا يعدل عن قولها إلى قول آخر لأنها عمدة المذهب ، وإن تميز "**ابن رشد"** بالحفظ جعل الفقهاء الكبار من معاصريه و ممن جاؤوا بعده يعتمدون عليه في تحصيل الأقوال ويستدلون بما ورد في كتبه [3].

وخلاصة ما يمكن أن نصل إليه أن لقول" **ابن رشد الجد"** مكانة لدى علماء المذهب المالكي حتى اعتبر عمدة المذهب مع "**اللخمي"** ، واعتبر عند الفقهاء منفردا بهذه الصفة من بينهم "**الشاطبي"** الذي اعتمد عليه في مواقع كثيرة في مؤلفاته[4]، لكونه زعيم فقهاء **الأندلس** لوقته ومرجعهم في دقائق المذهب و خواصه وخفاياه لذلك قدم قوله على غيره من شيوخ المذهب لرسوخه في العلم و درايته في الروايات وتحقيقه لها.

---

[1] العلوي، المرجع السابق،ص129.

[2] الحطاب: **مواهب الجليل**، ج1، ص ص34 -35.

[3] العلوي ، المرجع السابق،ص130.

[4] أنظر الشاطبي: **الاعتصام**، مراجعة و تدقيق مكتب البحوث و الدراسات دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان، بيروت2016، ج1،ص41.

6ـ استدلال ابن رشد الجدّ بأصول المذهب المالكي في البيان والتحصيل:

أ ـ تعريف الاستدلال لغة واصطلاحا:

1 ـ لغة:

هو طلب الدليل ، ويقال من دله على الطريق دلالة إذا أرشده إليه[1]، ويطلق في اللغة على أمرين، أحدهما المرشد، بمعنى الدليل الذي يرشد إلى المقصود، أما الثاني فيقصد به الإرشاد أيّ ما يعرف به الدليل[2].

2 ـ اصطلاحا:

يقصد بالاستدلال عند" **ابن رشد الجدّ**" في البيان والتحصيل، هو ذكر الدليل نصا أو إجماعا أو قياسا، أو بغيره من أصول المذهب المالكي[3]، فابن رشد الجدّ يذكر المسألة أو القول ثمّ يورد الدليل من الكتاب أو السنّة أو الإجماع، فإن لم يجد بها استعان بالقياس أو المصالح المرسلة أو العرف، أو اعتمد على أقوال الأندلسيين ، ويستعين أحيانا بعمل أهل المدينة لاعتباره حجة في مذهب الإمام مالك بن أنس[4].

---

[1] الفيروزبادي، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي : **اللمع في أصول الفقه**، تحقيق، عبد القادر الخطيب الحسني، ط1، دار الحديث، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين، 2013، 81-82.

[2] الزركشي : **البحر المحيط في أصول الفقه**، مراجعة عمر سليمان الأشقر، ط2، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة 1996م، ج1، ص34.

[3] الأصفهاني شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، تحقيق محمد مظهربعا ، مركز إحياء التراث الإسلامي ،ج3، ص251.

[4] العلوي، المرجع السابق، ص405.

ب ـ أصول المذهب المالكي:

أصول المذهب هي مصادر استنباط الأحكام ، وطرق الاستدلال وقوة الأدلة الفقهية ومراتبها، وكيفية الترجيح بينها عند تعارضها، فالبحث عن أصول مذهب ما يوجد في أغلب الأحيان فيما كتب ودوّن الإمام بنفسه، كما فعل "**الشافعي**" عندما كتب في أصول الفقه، وبيّن منهجيته في تقرير الأحكام، أما إذا لم يكتب الإمام في الأصول كالإمام مالك فإن الحديث عن أصوله نجدها في مواضع من كتب أتباعه ، خاصة تلك التي تبنت شرح أمهات كتب المذهب المالكي حيث تباينت أراء العلماء حول تدوين أصوله بين من قال أن "**الإمام مالك** "هو الذي دوّن هذه الأصول، وأن أتباعه قاموا بشرحها والتفصيل فيها ، وبين من أكد أنه لم يدونها وإنما أتباعه وتلاميذه هم الذين استخرجوها من فتاويه وأقواله[1].

تعتبر الأصول عند أيّ مذهب من المذاهب بمثابة الأدلة العامة التي يستند إليها الفقيه أو المجتهد للتوصل إلى حكم شرعي ، كاستدلاله واستناده إلى إيجاد حكم مسألة ما على القرآن أو السنة أو الإجماع أو القياس، وإلى هذا ذهب "**الأسنوي**" حين قال:" أصول الفقه معرفة دلائل الفقه إجمالا ومعرفة كيفية الاستفادة منها وحال المستفيد"[2].

وتطلق القواعد[3] أيضا على الأصول التي استخرجت من فروع المذهب والتي يستخدمها الفقيه وأتباعه عند الحديث عن جزئيات الفقه، مثل قاعدة" **اليقين لا يزول بالشك**"، وقاعدة "**الأمور**

---

[1] الولاتي محمد يحي بن عمر المختار: **إيصال السالك في أصول الإمام مالك**، تحقيق مراد بوضاية، ط1، الدار الأندلسية –دار ابن حزم،بيروت 2006م ، 13 وما بعدها.

[2] الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الشافعي: **نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي**، تحقيق الشيخ محمد بخيت المطيعي، مصر، ج1، ص5.

[3] وتعرف أيضا بفنّ الأشباه والنظائر ، وفي هذا **قال السيوطي** :" اعلم أنّ فنّ الأشباه والنظائر فنّ عظيم، به يطّلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره، ، و يتمهّر في فهمه ، واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج، ومعرفة أحكام المسائل، التي

بمقاصدها"[1]، وبهذا فإنّ أصول الفقه:" هي القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة" ، فالأصول فهي الأدلة الإجمالية أو المصادر التي تستقى منها أحكام الفروع الجزئية، كالكتاب والسنة وغيرها من مصادر الفقه المالكي، أما القواعد فهي ما توصل إليه المجتهدون وأهل التخريج والاستنباط من ضوابط كلية توضّح المنهاج الذي انتهى إليه الاجتهاد في مذهب من المذاهب[2].

ولقد اعتمد "**ابن رشد الجدّ** "في كتابه البيان والتحصيل على أمرين مهمين ألا وهما:

1 ـ ردّ الفرع إلى الأصل، أيّ أنّ ابن رشد الجدّ قام بردّ الأقوال الواردة بالسماعات المختلفة والمسائل إلى أصولها الثابتة ، وهي ليست بحاجة إلى الاستدلال عليها بأدلّة خارجية، كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والإجماع والقياس والمصالح المرسلة وسدّ الذرائع وعمل أهل المدينة ، والاستحسان ومراعاة الخلاف.

2 ـ تدقيق النظر في القول وتصحيحه، وتوجيهه حسب قوّته أو ضعفه، ثمّ الاستدلال بالأصول في المسائل التي يذكرها، حيث يتعمّق في دراسة تلك المسألة ، من أجل التوصل إلى أصله الذي ينبني عليه، فإن كان من الكتاب استدل بالآيات القرآنية ، وإن كان من السنة أورد الحديث النبوي المثبت سندا ومتنا، وإن وجد من الأحاديث ما يعارضه قام بالترجيح للتوفيق بينهما[3].

ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مرّ الزمان، ولهذا قال أصحابنا الفقه معرفة الأشباه والنظائر".أنظر: عمر سليمان الأشقر: **تاريخ الفقه الإسلامي**، د-ط، دار النفائس – مكتبة الفلاح، الأردن 1990، ص ص138- 139.

[1] العلوي: **المنهج الاجتهادي لابن رشد**، ص407.

[2] العلوي ، نفس المرجع، ص407 وما بعدها

[3] العلوي، المرجع السابق، ص410.

أما أصول المذهب المالكي فهي أصل المذهب التي اعتمد عليها "**الإمام مالك**" رضي الله عنه وبني عليها مذهبه، وهي ما بين ستة عشر أصلا ،من بينها الكتاب والسنة النبوية والإجماع والقياس وعمل أهل المدينة وقول الصحابي والاستحسان، وسدّ الذرائع ومراعاة الخلاف ،أشار إليها "**الفقيه أحمد بن محمد بن أبي كف**"[1] في نظمه لها في ستة وعشرين بيتا، شرحها "**محمد بن يحي بن عمر المختار**"[2]، في كتابه" **إيصال السالك في أصول الإمام مالك**". [3] **منها قوله:**

فقلت والله المعين أستعين وأستمدّ منه فتحه المبين

وأدلة المذهب مذهب الأغر مالك الإمام ستة عشر

يقصد بذلك أنّ أصول مذهب الإمام مالك الإجمالية التي يستخرج منها الأحكام الشرعية الفرعية ويعتمد عليها في العمل والإفتاء ستة عشر دليلا[4].

وترتيب هذه الأدلة يراعى فيه الأقوى فالأقوى وفي ذلك قال **القاضي عياض:**" وترتيب أدلة الاجتهاد على ما يوجب العقل، ويشهد له الشرع، تقديم كتاب الله عزّ وجلّ على تقديم أدلّته في الوضوح من تقديم نصوصه ثمّ ظواهره، ثمّ مفهوماته، ثمّ كذلك السنة على ترتيب متواترها ومشهورها

---

[1] الإمام الفقيه أحمد بن محمد المكنى بأبي قفه أو كف، بن محمد الماحي ، اكتنف مولده ونشأته نوع من الغموض ، حيث لم تأتي المصادر على ذكرها ، لكن المعروف عنه أنّه من مواليد قرية ولاتة الموريطانية ، البلدة العريقة التي كانت تستقبل طلبة العلم من كل حدب وصوب، حيث تخرج منها الكثير من كبار العلماء وأعيانهم .**أنظر ترجمته**:الولاتي: **إيصال السالك في أصول الإمام مالك**، ص37وما بعدها.

[2] هو الفقيه محمد يحي بن محمد المختار المولود سنة **1259هـ/1845م**، كان من بيت علم وفضل وشرف نشأ على طلب العلم وتحصيله، منذ نعومة أظافره، فنبغ وهو لم يبلغ سنّ العشرين، قيل عنه أنه كان عالي الهمة جمع بين التجارة والتدريس والقضاء.**أنظر ترجمته**: الولاتي: نفس المرجع، ص55 وما بعدها.

[3] الولاتي ،نفس المرجع، ص128.

[4] الولاتي ،نفس المرجع ، ص129.

وأحادها، ثمّ ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها، ثمّ الإجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنّة، وعند عدم هذه الأصول كلّها القياس عليها والاستنباط منها.إذ كتاب الله مقطوع به، وكذلك متواتر السنة، وكذلك النص مقطوع به، فوجب تقديم ذلك كله ثمّ الظواهر ثم المفهوم، لدخول الاحتمال في معناها، ثمّ أخبار الآحاد عند عدم الكتاب ، والمتواتر منها، وهي مقدمة على القياس لإجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف المرضيين، وعلم من مذهبهم أجمعين[1]".

1- استدلال ابن رشد الجدّ بالكتاب والسنة في البيان والتحصيل:

أـ القرآن الكريم:

لقد استشهد **ابن رشد الجدّ** في كتابه البيان والتحصيل بالكتاب والسنة كثيرا حيث استدل بهما في الكثير من المسائل والمواقع، باعتبارهما أصلين هامين من أصول المذهب المالكي، أما القرآن الكريم فهو الدليل الأول والمصدر الأساسي للشرع الإسلامي أنزل بالوحي على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ عربي ، آيات متفرّقات حسب مقتضيات الحوادث ، وقد عرف القرآن الكريم بأنه كلام الله تعالى المنقول إلينا بالتواتر، ومكتوبا في المصاحف، نصوصه كلّها قطعية الثبوت لا شكّ في صحتها أيّ لم ينله أي تحريف أو تغيير ،[2]كما عرّفه "**حجة الإسلام الإمام الغزالي**" بقوله:" وحدّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفّتي المصحف، على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا ، ونعني بالكتاب القرآن المنزل، وقيّدناه بالمصحف، لأنّ الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله حتى كرهوا التعاشير والنقط وأمروا بالتجريد كيّ لا يختلط القرآن بغيره"[3].

[1] عياض ، **ترتيب المدارك**، ج1، ص39.

[2] بدران ، أبو العينين بدران، **تاريخ الفقه الاسلامي ونظرية الملكية والعقود**، دار النهضة العربية ، بيروت، ص165 وما بعدها

[3] الغزالي: **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق حمزة بن زهير حافظ،**د-ط ، د-دار نشر** ، المدينة المنورة ،**ج2**، ص9.

والمتصفّح لكتاب "**البيان والتحصيل**" يلاحظ اهتمام "**ابن رشد الجدّ**" بالقرآن الكريم باعتباره أول مصادر التشريع الإسلامي، لذلك في الكثير من الأحيان كان يردّ الفروع والمسائل إليه، أولا مستشهدا ومستدلا بها[1] ، إذ لا يخلو أي جزء من أجزاء البيان والتحصيل الثمانية عشر من الاستدلال بالقرآن الكريم والأمثلة على ذلك كثيرة منها : ما ذكره في كتاب الصلاة من" أنّ الخشوع في الصلاة هو التذلل لله فيها والاستكانة والخضوع بالخوف الحاصل في قلب المصلي، ثم استشهد بقوله تعالى : " **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُم فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُون**[2]". كما استدل بها في مسألة أخرى سئل فيها عن مساجد القبائل يصلون فيها بغير أردية ، قال: "لقد كرّهه مالك لقوله عزّ وجلّ :"**خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلّ مَسْجِد**"[3].، وقال ابن رشد: استدل مالك رحمه الله لما ذهب إليه من كراهة ترك الرداء في الصلاة في المساجد، وهو دليل ظاهر لأن الرداء من الزينة ، فكان الاختيار أن لا يترك مسجدا من المساجد تعلّقا بالعموم والظاهر، وإن كانت الآية نزلت في الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة، فالغرض من اللباس ما يستر العورة منه، لقوله عزّ وجلّ:" **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُم**"[4]، والاختيار منه في الصلاة في المساجد بلوغ الزينة المباحة قال الله عزّ وجلّ:" **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**[5]"[6].

كما استشهد بالقرآن الكريم في مسألة سئل فيها عن قوم خرجوا إلى الغزو وأخذوا معهم أموالا ليشتروا بها من الغنائم فقال مالك لا بأس بذلك، قال **محمد بن رشد**: " قوله لا بأس بذلك أمر جائز للرجل إذا خرج للجهاد أن يخرج معه بفضل مال يشتري به من مغانم المسلمين ما يرجو الربح

---

[1] العلوي، المرجع السابق، ص416.
[2] ابن رشد ، **البيان والتحصيل**، ج1، ص219.
[3] سورة الأعراف، الآية 31.
[4] سورة الأعراف، الآية ، 26
[5] نفس السورة ، الآية ، 32.
[6] ابن رشد ، **البيان والتحصيل**، ج1، ص352

فيه، ولا ينقص ذلك من أجر جهاده ولا يقدح في نيّته، إذا كان أصل خروجه لله ، ولم يكن أصل خروجه ابتغاء التجارة ، كما لا يقدح في نيّته ما يرجوه من الغنيمة وقال الله عزّ وجل :" **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ**"[1]، يريد الشهادة أو الغنيمة، وقد أباح الله تعالى التجارة في قوله:" **لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاح أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم**[2] .[3]

ب ـ السنة النبوية:

أما بالنسبة للسنة النبوية الشريفة فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي لقوله عزّ وجلّ:"**وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا**"[4]، ويعرّفها المحدّثون بأنها كلّ أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل، أو صفات خلقية أو خلقية ، ومعنى التقرير أن يفعل بعض الصحابة شيئا بمحضر الرسول صلى الله عليه وسلم فيسكت عنه أو يستحسنه فيفهم من ذلك موافقته عليه[5] ، أما الفقهاء فتطلق عندهم على كلّ ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مما لم ينصص عليه الكتاب بل نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان موضحا لما في الكتاب ، كما تطلق على كل ما يقابل البدعة فيقال فلان على السنة

---

[1] سورة التوبة، الآية 52.

[2] سورة البقرة، الآية،198.

[3] ابن رشد : **البيان والتحصيل**، ج2، ص518.

[4] سورة الحشر، الآية 7.

[5] السمعاني، أبي المظفر : **قواطع الأدلة في الأصول**، تحقيق محمد حسن هيوتو، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م، ص51وما بعدها؛ بدران أبو العينين بدران ، المرجع السابق، ص153.

إذا عمل وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك مما جاء في القرآن، ويقال فلان على البدعة إذا عمل خلاف ذلك[1] .

والسنة ثلاث أنواع **سنة متواترة** وهي التي رويت في العصور الثلاثة الأولى بواسطة جمع الصحابة ، وهي متفق على وجوب العمل بها من طرف الفقهاء لثبوتها بطريق القطع، والنوع الثاني **سنة مشهورة**، وهي ما تواترت بعد الصحابة ، وهي قريبة من المتواترة العمل بها واجب، أما النوع الثالث فهي **السنة الأحادية** ، وهي ما رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة عدد لا يبلغ حدّ التواتر، وقد اختلف في وجوب العمل بها واشترطوا لها شروطا كثيرة فاشترط البعض موافقتها لعمل أهل المدينة ، والبعض قبلها متى كانت متصلة صحيحة السند.[2]

ولقد استدل **ابن رشد الجد** بالسنة النبوية كثيرا ومثال ذلك ، عندما سئل عن النجاسة في الماء والطعام قال:" أنّ النجاسة اليسيرة لا تفسد الطعام الكثير ولا تنجسه، كما لا تفسد الماء الكثير ولا تنجسه، لأن الله تعالى خلق الماء طهورا فهو يحمل ما غلب عليه من النجاسات، بخلاف ما عاداه من الأطعمة والآدام المائعات، والفرق بينهما أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء بِيرِ بُضَاعَةٍ وما يلقى فيها من الأقذار والنجاسات، فقال:" **خَلَقَ اللهُ المَاءَ طَهُورًا ، لاَ يُنْجِسُهُ إِلاَّ مَا غَيَّرَ لَوْنَهُ أَوْ طَعْمَهُ أَوْ رَائِحَتَهُ"**[3]. وسئل عن المريض لا يجد من يناوله الماء ولا التراب للتيمم، **قال**

---

[1] الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي: **الموافقات في أصول الشريعة**،تحقيق وشرح عبد الله دراز–محمد عبد الله دراز، تخريج الآيات وفهرس الموضوعات عبد السلام عبد الشافي محمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ، ج4، ص3.

[2] بدران أبو العينين بدران، المرجع السابق، ص194.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج1، ص37-38.

ابن رشد:" الصواب من قال أنّه لا يصلي حتى يجد الماء فيتوضأ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **"لاَ يَقْبَلُ الله صَلَاة بِغَيْرِ طَهُور، وَلاَ صَدَقَةً مِنْ غَلُول"**[1].

2 ـ استدلال ابن رشد الجدّ بالإجماع والقياس:

أ ـ الإجماع:

قال الشيرازي:" الإجماع في اللغة يحتمل معنيين ، أحدهما الإجماع على الشيء والثاني العزم على الأمر والقطع به، ومن قولهم أجمعت على الشيء إذا عزمت عليه، وأما في الشرع فهو اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة[2]، و عرّفه **الغزالي بقوله:**" أما تفهيم لفظ الإجماع فإنما نعني به اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة على أمر من الأمور الدينية"[3].

اتفق جمهور العلماء على أن الإجماع حجة شرعية يجب العمل به خلافا للشيعة والخوارج والمعتزلة، مستدلين به بالكتاب والسنة النبوية الشريفة، مثل قوله تعالى:" **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى الله وَالرّسُول"**[4]، ومن المعقول فإنّ العادة تحيل أن يجتمع كل المجتهدين في عصر من العصور على حكم ويجزموا جزما قاطعا دون أن يكون لهم من الكتاب والسنة مستند قاطع بنو عليه إجماعهم[5].

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق، ج1، ص207.

[2] الفيروزبادي :**اللمع في أصول الفقه**، ص223.

[3] الغزالي، **المستصفى**، ج2، ص ص 293-294.

[4] سورة النساء، الآية ، ص59.

[5] العلوي، المرجع السابق، ص ص424-426؛ بدران أبو العينين ، المرجع السابق ، ص200.

أما بالنسبة للبيان والتحصيل فكثيرا ما نجد **ابن رشد الجدّ** يستدل به باعتباره أصلا من أصول المذهب المالكي ، ومصدر تشريعي ثابت الحجة عند المالكية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما سئل عنه مالك فيمن اشترى من رجل تمرا جزافا ولم ينتقد ثمنه، ثمّ اشترى البائع منه كيلا أكثر من الثلث ، قال **مالك:**" لا يجوز أن يشتري منه أكثر من الثلث كيلا نقد أو لم ينتقد، وان اشترى إلى أجل فلا يجوز له أن يشتري منه، أقل من الثلث، بنقد قال **سحنون:** ولا شيء منه بنقد ،قال **ابن القاسم قال مالك:** وإن تفرقا فلا يجوز له أن يشتري منه أقل من الثلث بنقد ولا بغير نقد، وإنما يجوز له أن يشتري منه أقل من الثلث إذا لم يتفرقا بغير نقد". **قال محمد بن رشد** :" الأصل في هذه المسألة أجماعهم على أن من باع جزافا ، فلا يجوز له أن يستثني منه كيلا إلا الثلث فأقل"[1].

ب ـ القياس:

تعريفه: القياس في اللغة التقدير والمساواة، أمّا اصطلاحا فهو تسوية فرع بأصل في حكم لعلة جامعة بينها، فالفرع المقيس ، والأصل المقيس عليه، والحكم ما اقتضاه الدليل الشرعي، من وجوب أو تحريم، أو صحة أو فساد، أو غيرها، والعلة المعنى الذي ثبت بسببه حكم الأصل ، فهذه الأربعة هي أحكام القياس والقياس أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية[2]، وقد عرفه **الإمام الغزالي**: " بأنّه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم صفة أو نفيهما عنهما "[3]، وأورد **الأصفهاني** تعريف **ابن الحاجب** للقياس لغة واصطلاحا فقال:"

---

[1] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج7، 113-114.

[2] عبد الرحمن السعدي وغيره: **موسوعة المسائل الفقهية الميسرة** ، ط1، دار الفكر ، بيروت 2010م، ص46.

[3] الغزالي، **المستصفى**، ج3، 481.

القياس في اللغة التقدير والمساواة ، وفي الاصطلاح مساواة فرع للأصل في علة حكمه"[1].أما أركانه فذكرها **الشيرازي** قائلا:"القياس يشتمل على أربعة أشياء على الأصل والفرع والعلّة والحكم"[2].ومن نماذج اعتماد "**ابن رشد الجدّ** "عليه في البيان والتحصيل مسألة سئل فيها "**مالك**" عن المطر" إذا كان الطين والأذى في الطريق أيصلي الرجل في منزله، ويكون في سعة من ترك إتيانه إلى المسجد ، قال : نعم ، أرجو أن يكون في سعة إنشاء الله تعالى ،قال **محمد بن رشد**: هذا من نحو إجازته الجمع بين **المغرب** والعشاء في الطين والوحل على ما تقدّم في الرسم الذي قبل هذا، لأنّ فضيلة الوقت أفضل من فضيلة الجماعة، فإذا جاز ترك فضيلة الوقت لهذه العلة جاز ترك فضيلة الجماعة لها "[3].

3 ـ استدلال ابن رشد الجدّ بفتوى الصحابي .

كان **مالك بن أنس** رضي الله عنه يأخذ بفتوى الصحابي على أنها حديث يجب العمل به حيث يروى عنه أنه كان يأخذ بفتاوى كبار التابعين[4] ،وذلك لما تحقق وورد من الأدلة على عدالتهم ونزاهتهم وتخييرهم على من بعدهم[5].

ولقد استدل **ابن رشد الجد** بقول الصحابي في عدة مسائل بكتابه البيان والتحصيل، ومن ذلك قوله في كتاب القبلة: " أنّ **عمر ابن الخطاب** أرسل إلى **سليمان بن أبي خثيمة** ، فوجده راقدا فقال: أشهدت الصلاة ؟ قال : كنت أشتكي، ولولا رسولك جاءني ما خرجت، قال عمر: إن كنت

---

[1] الأصفهاني شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، تحقيق محمد مظهربعا ، مركز إحياء التراث الإسلامي، ج3، ص5.

[2] الفيروزبادي : **اللمع في أصول الفقه** ، ص257.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج1، ص311-312.

[4] أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، ص400-401.

[5] العلوي، المرجع السابق، ص433.

خرجا لدعوة أحد فاخرج إلى الصلاة.[1] قال **محمد بن رشد:** " هذا بيّن على ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه..." حيث استدل ابن رشد الجدّ بقول **عمر بن الخطاب** في هذه المسألة و لم يزد على ما قاله[2].

4 ـ عمل أهل المدينة واستدلال ابن رشد الجدّ به في البيان والتحصيل:

كان **مالك** رضي الله عنه يعتبر عمل أهل المدينة حجة في مذهبه ، لأنه في نظره لا يمكن أن يكون إلا نقلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك كان يقدمه على خبر الآحاد ، وكان يلوم كل فقيه لا يأخذ به ويخالفه في الرأي ، ولقد كان الأخذ بعمل أهل المدينة رائجا بين الفقهاء والقضاة قبل "**مالك بن أنس**" حيث كانوا يعتبرونه من المنقولات عن **النبي صلى الله عليه وسلم**[3] .

ويستخدم ويطلق الفقهاء عبارة عمل أهل المدينة على عملهم في القرون الثلاثة الأولى التي وردت في الآثار على أنّها خير القرون، والمقصود بأهل المدينة الصحابة والتابعون فقط ، لذلك اعتبره "**الإمام مالك**" حجة في مذهبه وعمل به، لأنّه في الغالب توقيف من **الرسول صلى الله عليه وسلم**[4].

و"بذلك فعمل أهل المدينة هو كلّ ما اتفق عليه العلماء والفضلاء بالمدينة كلهم أو أكثرهم في زمن مخصوص سواء كان سنده نقلا أو اجتهادا"، فهذا التعريف يكشف حقيقة عمل أهل المدينة ، ففيه تحديد للمعتبرين فيه ، وأنّهم العلماء والفضلاء ، حيث يكاد يتفق معظم الأصوليون على اعتبار عمل أهل المدينة حجة خاصة بمالك ، بينما يرى "**القاضي عبد الوهاب**" ، و"**القاضي عياض**"

---

[1] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج18، ص5.
[2] ابن رشد : **البيان والتخصيل**، ج18، ص5.
[3] أبو زهرة محمد، المرجع السابق، ص400.
[4] العلوي، المرجع السابق، ص435و ما بعدها.

و"**الباجي**" و"**ابن رشد الجدّ**" و"**ابن تيمية**" و"**ابن قيّم الجوزية** " ، على حسب استنتاجاتهم من كلام "**مالك**" أنّ عمل أهل المدينة نوعان : نوع مستنده النقل المتواتر، وهو حجة عند جميع العلماء ، نوع مستنده الاجتهاد وهذا هو الذي وقع فيه الخلاف بين مالك وغيره من العلماء[1].

أما تأصيل **ابن رشد الجدّ** للأقوال والمسائل بعمل أهل المدينة في البيان والتحصيل فوارد في عدة مواقع منها في قول ابن رشد: "كنا نبتاع اللحم من الجزارين بسعر معلوم ، نأكل كلّ يوم رطلين أو ثلاثة نشترط عليهم أن ندفع الثمن إلى العطاء و يدل على أنّ ذلك كان معلوما عندهم ومشهورا من فعلهم ... وسميت بيعة أهل المدينة ، وهذا أجازه مالك وأصحابه إتباعا لما جرى عليه العمل بالمدينة."[2]

5 ـ الاستدلال بالعرف والعادة وسد الذرائع:

يطلق العرف على الشيء المعروف ، المستحسن، ويقصد به ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم ، وقد يراد به العادة القولية والفعلية [3]، أما الفقهاء فلقد اصطلحوا على تعريفه بأنّه ما استقر في النفوس من جهة العقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول. أما العادة يعرّفها **ابن فرحون** بقوله :" هي غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد أو بعضها "[4].

أما **سدّ الذرائع** فهي من الأصول التي أخذ بها "**الإمام مالك**" وظهرت في فروع كثيرة قد نقلت عنه ، ومعناها أنّ ما يؤدي إلى الحرام يكون حراما وما يؤدي إلى الحلال يكون حلالا بمقدار

[1] محمد المختار محمد المامي: **المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته،** مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات ، 2000م، ص331وما بعدها.

[2] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج17، ص207-208.

[3] سعدي أبو حبيب : **القاموس الفقهي لغة اصطلاحا**، ط2، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، 1988م. ص 249.

[4] ابن فرحون، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق جمال مرعشلي، دار عالم الكتب ، الرياض 2003م، ج2، ص68.

طلب هذا الحلال ، وكذلك فإنّ كل ما يؤدي إلى مصلحة يكون مطلوبا ، وكل ما يؤدي إلى مفسدة يكون حراما [1]، كما عرّفها **ابن رشد الجدّ** في **المقدمات** بقوله:"الذرائع هي الأشياء التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل المحظور، ومن ذلك البيوع التي ظاهرها الصحة ، ويتوصل بها إلى استباحة الربا"[2].

ومن الأمثلة على تأصيل "**ابن رشد الجد**" للمسائل بالعرف والعادة وسد في البيان والتحصيل مسألة سئل فيها"**ابن القاسم**" في رجل فرضت عليه امرأته في جهازها لحافا تلتحفه ودهنا ومشطا ومكحلة وصبغا، وغير ذلك مما تتزين به المرأة ، فقال:" يفرض لها اللحاف لليل والفراش والوساد والسرير إن كان بموضع يحتاج إليه لخوف العقارب أو ما شابه ذلك، ويفرض لها الدهن فيما يفرض ، أما المشط والمكحلة والصبغ فلا أدري ما ذلك؟[3].

لقد شرح "**ابن رشد الجد**" قول ابن القاسم واستدل في ذلك بالعرف والعادة ، فقال :" أوجب في هذه الرواية على الرجل في فرض امرأته من الدهن ما تدهن به، ومن الحناء ما تمشط ، وذلك لعرف معروف عندهم ، وعادة جرى عليها نساؤهم ، ولا يفرض ذلك عندنا إذ لا يعرفه نساؤنا، ولأهل كلّ بلد من هذا عرفهم وما جرت به عادتهم"[4].

---

[1] أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ص402.

[2] ابن رشد الجدّ، **المقدمات الممهدات** ، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت . لبنان 1988م، ج2، ص39.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج5، ص424-425.

[4] نفسه.

يستنتج من هذه المسألة التي رواها ابن القاسم وابن رشد الجد الذي قارن فيها بين أهل مصر وأهل الأندلس ، أنّ من عادات أهل مصر الفرض على الزوج توفير ما تتزيّن به الزوجة لأنّه من عاداتهم، أما أهل الأندلس فلا يفرضون ذلك على الزوج لأنّه ليس من عوائدهم[1].

أما بالنسبة لتأصيل **ابن رشد الجدّ** للمسائل في البيان والتحصيل بسد الذرائع، نذكر مثال حول ما ورد من اتخاذ المساجد على القبور، حيث قال **ابن القاسم**: " إنما أكره من ذلك هذه المساجد التي تبنى عليها"، قال **محمد بن رشد**:" إنّما كرّه اتخاذ المساجد على القبور صيانة لها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى الصلاة عليها، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" **اللهم لا تجعل قبري وثنا بعدي يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**. وأما إذا عفت المقبرة وانقطع الدفن فيها فلا بأس أن يبنى عليها مسجد للصلاة فيه، لأن المسجد والمقبرة حبسان على المسلمين لصلاتهم ودفن موتاهم، فلا بأس أن يستعان ببعض ذلك في بعض"[2].

أصَّل **ابن رشد الجدّ** في هذه المسألة لسدّ الذرائع ، لأنّ اتخاذ المساجد على القبور قد يؤدي إلى مفسدة ، وهي الشرك بالله تعالى وتعظيم الموتى لذلك وجب أن يسدّ هذا الطريق المؤدي إلى الحرام[3].

---

[1] العلوي، المرجع السابق ص443.
[2] ابن رشد ، **البيان والتحصيل**، ج12، ص ص 234-235.
[3] العلوي، نفس المرجع ، ص450.

6 ـ استدلال ابن رشد الجدّ بمراعاة الخلاف والاستحسان :

أـ مراعاة الخلاف :

يقصد بمراعاة الخلاف المحافظة والاعتبار، أي أن المجتهد يلاحظ ويحفظ رأي مجتهد آخر ، ولا يهمله بل يأخذه بعين الاعتبار، ويبني عليه الأحكام ، فالخلاف والاختلاف في اصطلاح الفقهاء أن يذهب كل عالم إلى خلاف ما ذهب إليه العالم الآخر ، وهو ضدّ الإنفاق حيث استعمل الفقهاء والأصوليون الخلاف والاختلاف بمعناه اللغوي ، وهو المراد بمراعاة الخلاف،[1] لذلك **قال الإمام الغزالي**: " اعلم أنّ كلّ من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك ، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه، ومن قرر المعاني أوّلا في عقله، ثم اتبع المعاني الألفاظ في عقله فقد اهتدى "[2].أما **الشاطبي** فلقد عرفه بأنّه إعادة نظر المجتهد إلى الأحكام التي يقررها ، وذلك بمراعاة دليل الخلاف، والنظر إلى المآلات بعد تقرير الأدلة في المسائل الخلافية ." [3] .

ويعتبر مراعاة الخلاف أصلا من أصول المذهب المالكي ودليل معتبر عند الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، حتى قيل أنّ من أصول المالكية مراعاة الخلاف، و" إنّ مالكا وأصحابه رحمهم الله يجرى كثيرا في فتاويهم ومسائلهم مراعاة الخلاف، ويبنون عليها فروعا جمة ، ويعلل بها شيوخ المذهب، الشارحون له أقوال من تقدّم من أهل مذهبهم ، من غير توقف حتى صارت عندهم وعند مدرسي الفقهاء قاعدة مبنيا عليها"[4].

ولقد أشار الفقهاء كثيرا إلى تأصيل **ابن رشد الجدّ** الأقوال بمراعاة الخلاف حيث أشار **ابن سلمون الغرناطي** إلى اعتماد ابن رشد الجد مراعاة الخلاف عندما استدل بقوله في باب الشفعة

---

[1] العيد عباسة: **قاعدة مراعاة الخلاف وأثرها في الفقه الإسلامي**، أطروحة ماجستير، إشراف أحسن زقور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2006-2007م، ص71.

[2] الغزالي، **المستصفى**، ج1،65.

[3] الشاطبي ، **الموافقات** ، ج4، ص151.

[4] الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص366-367.

قائلا: " قال ابن رشد: إنما أوجب ابن القاسم الشفعة فيما لا يحكم بقسمته كالرحا والحمام ، وإن كان لا يحكم فيها بالقسمة مراعاة لقول من يرى فيها القسمة".[1]

أما من أمثلة استدلال **ابن رشد الجدّ** وتأصيله لمراعاة الخلاف بكتاب البيان والتحصيل ما ورد عن ابن القاسم في رجل قال لرجل : "خذ هذه النفقة فاجعلها في سبيل الله ، فقال له رجل: إن هاهنا امرأة محتاجة فقال له : ادفعها إليها، فقال: إن كان أوجبها في سبيل الله فلا يعجبني، قال محمد ابن رشد: هذا كما قال أنه أوجبها في سبيل الله وأراد بذلك الغزو فلا ينبغي له أن يصرفها عما أوجبها فيه، إلى غير ذلك من وجوه البر، فان فعل لم يكن عليه ضمانها مراعاة لقول من يقول من أهل العلم أن للرجل الرجوع في صدقته ما لم يدفعها وكانت بيده، لذلك قال ابن القاسم لا يعجبني ولم يقل لا يجوز"[2].

ب ـ الاستحسان:

فهو ترجيح حكم المصلحة الجزئية على حكم القياس فلو كان القياس يقتضي إلحاق حكم غير منصوص عليه بحكم معين منصوص عليه ، والمصلحة الجزئية توجب غير ذلك يحكم بها وتسمى استحسان، فهو عند **الإمام مالك** حكم المصلحة حيث لا يوجد نص سواء كان في الموضوع قياس أو لم يكن، لأن الشرع في نظره ما جاء إلا لمصالح الناس ، فكلّ نص شرعي هو مشتمل على مصلحة الناس ما في ذلك شكّ[3].

ومن نماذج استدلال **ابن رشد الجدّ** به في كتاب البيان والتحصيل قول **ابن القاسم** في رجل حضرته الصلاة وهو في سفر وليس معه إلا ثوبان، أصابت أحدهما نجاسة ولا يدري أيّهما"، فذكر

---

[1] العلوي، المرجع السابق،ص455.

[2] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج14، ص127-128.

[3] أبو زهرة محمد، المرجع السابق، ص401.

ابن القاسم أنه يصلي في الثوب الأول ثمّ يعيد في الآخر، وعلّق ابن رشد على ذلك قائلا:"قول ابن القاسم استحسان لأنّه صلى بأحد الثوبين ثمّ أعاد في الآخر مكانه، فلقد تيقّن أنّ إحدى صلاتيه قد خلصت بثوب طاهر..."[1].

7 ـ استدلال ابن رشد الجدّ بالمصالح المرسلة في كتاب البيان والتحصيل:

إنّ الشريعة الإسلامية من الشرائع الغنية بالمصادر الفقهية ، وهذا ما جعلها تتميّز عن سائر الديانات الأخرى ، ومن بين مصادر التشريع الإسلامي مصدر عظيم وهو المصالح المرسلة التي بواسطتها استحدث العلماء تشريعات وقوانين لكلّ المستجدّات وتحقيقا لمطلب المنفعة العامة ، وقد عرّفها أهل العلم بتعريفات عديدة منها "جلب المنفعة ودفع المضرة"، أو المحافظة على الكلّيات الخمسة ومقاصد الشريعة الإسلامية، كحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكلّ ما يدخل في إطار حفظ هذه الأصول فهو مصلحة ، وكلّ ما يمّسها فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة[2].

تعريفها:

أ–لغة : المصلحة لغة كالمنفعة وزنا ومعنى فهي مصدر بمعنى الصلاح واسم لواحدة من المصالح، والمرسلة هي الإرسال أو الإطلاق بمعنى عدم التقييد[3] .

ب– اصطلاحا: يراد بالمصالح المرسلة شرعا كل مصلحة غير مقيّدة بنص من الشارع يدعو إلى اعتبارها أو عدم اعتبارها ، ويكون في اعتبارها جلب دفع أو إبعاد ضرر [4]، ولقد اختلف الفقهاء في

---

[1] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج2، ص180-181.

[2] عبد الله محمد صالح : **المصلحة المرسلة وتطبيقاتها المعاصرة**، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول ، 2000م، مج16، ص356وما بعدها

[3] محمد المختار محمد المامي، المرجع السابق، ص415.

[4] محمد المختار محمد المامي، المرجع السابق، ص415.

هذا الدليل فالحنفية والشافعية لم يعتبروه أصلا من أصول الفقه ، أما الإمام مالك فاعتبرها أصلا من أصول الفقه وأكثر في الأخذ منها بشروط عدة من بينها:

1ـ أن يكون في الأخذ بها رفع حرج لازم يقع على الأمة .

2 ـ أن تكون المصلحة في أصلها معقولة بحيث لا تعارض مقصدا من مقاصد الشريعة ، ولا دليلا من أدلتها المعروفة[1] .

وقال **ابن أبي الكف:**

وبالمصالح عنيت المرسلة   له احتجاج حفظته النقلة

يعني أن **الإمام مالك** نقل عنه الاحتجاج بالمصالح المرسلة أيّ المطلقة من الاعتبار والإلغاء أي التي لم يرد عن الشارع أمر بجلبها ولا نهى عنها بل سكت عن ذلك، لأن المصالح على ثلاثة أقسام ، المصلحة المعتبرة شرعا وهي التي أمر الشارع بها كمصلحة حفظ العقل مثلا، والمصلحة الملغاة شرعا هي التي تؤدي إلى مفسدة، والمصلحة المرسلة هي المطلقة من الاعتبار والإلغاء وهي حجة عند الإمام مالك يأمر باستعمالها والقياس عليها[2].

ولقد استند في ذلك إلى أنّ الصحابة قد جمعوا القرآن الكريم في مصاحف، وليس في القرآن ولا في السنة نص يوجب أو يحرم جمع القرآن في المصاحف، والذي دفعهم إلى ذلك المصلحة التي هي حفظ القرآن من الضياع والخوف من ذهاب تواتره بموت حفاظه من الصحابة ، وغيرها من الأمور الكثيرة التي استجدت من طرف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. والفرق بين القياس والمصالح المرسلة هي أن القياس يكون أمام المجتهد واقعة ثبت لها حكم بالنص أو الإجماع ، أما المصالح المرسلة فيجد المجتهد نفسه أمام مسألة مستجدة ليس فيها ما يقاس عليها[4].

---

[1] بدران أبو العينين بدران : **تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود**، ص210.

[2] الولاتي: **إيصال السالك في أصول الإمام مالك** ، ص184وما بعدها.

[3] الولاتي ، المرجع السابق، ص186 ؛بدران أبو العينين ، المرجع السابق ، ص211و ما بعدها.

[4] بدران أبو العينين، المرجع السابق، ص 212.

ومن أمثلة استدلال" **ابن رشد الجدّ"** بالمصالح المرسلة في كتاب **"البيان والتحصيل** "مسألة سئل فيها عن رجل توفي وأوصى إلى رجل وترك من الورثة ابنا صغيرا و ثلاث بنات وأمه وزوجته، وترك مصحفا قيمته خمسة وعشرون دينار، أترى أن يستخلصه الوصي للغلام فقال إني لست أدري ما تركه الميّت فقيل له، أموال عظام من أصول وغيرها ، فقال ما سنّ الغلام فقيل ستّ سنين، فقال : ما أرى في ذلك بأسا أن يستخلصه للغلام ، وقد كان من أمر الناس أن يحبس لولد الميت هذا وما أشبه السيف والمصحف وأشبهها ، فلا أرى بأسا أن يستخلصه له فقيل له، أيستخلصه للغلام والجواري فإنّهن ربّما علمن القراءة في المصاحف؟ فقال : أحبّ إلي أن يستخلصه للغلام وحده ، وهذا من خير ما يشترى له، وإن بلغ فاحتاج إلى ثمنه وجد به ثمنا فأرى أن يستخلصه له ولا أرى بذلك بأسا ".

قال **محمد بن رشد** :"هذا بيّن على ما قاله، لأنّه من النظر لليتيم الذي لا يخفى وجهه وبالله التوفيق"[1]. لقد علل **ابن رشد الجدّ** هذا القول بالنظر إلى اليتيم ومراعاة لمصلحته، لأن الناس تعودوا تحبيس كلّ ما كان ثمينا كالسيف أو المصحف لليتيم[2].

يستنتج مما تقدم أنّ **ابن رشد الجدّ** استدل وأصل في كتابه **البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل** لجميع أصول مذهب **الإمام مالك** رحمه الله، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، قول الصحابي وعمل أهل المدينة ، العرف والعادة وسدّ الذرائع، مراعاة الخلاف والاستحسان والمصالح المرسلة،وهذا ما يدلّ إلا على معرفة **ابن رشد الجدّ** بالتأصيل وبراعته فيه، ومقدرته على ردّ الفروع إلى الأصول، الأمر الذي جعل الفقهاء الذين جاؤوا بعده يعوّلون عليه في كتبهم.

---

[1] ابن رشد ، **البيان والتحصيل**، ج13، ص50 وما بعدها.

[2] العلوي، المرجع السابق، ص466.

الفصل الثاني

كتاب فتاوى ابن رشد الجدّ

1ـ أهمية فتاوى ابن رشد:

2 ـ الاعتماد على فتاوى ابن رشد و العناية بها من الفقهاء المعاصرين والمتأخرين:

أ ـ من المعاصرين.

ب ـ من المتأخرين

3ـ موقع فتاوى ابن رشد من فقه النوازل:

أ ـ أجوبة محمد بن سحنون

ب–الإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبغ عيسى بن سهل .

ج ـ نوازل البرزلي .

د–المقارنة بين فتاوى ابن رشد الجدّ وأجوبة محمد بن سحنون ونوازل أبي الأصبغ والبرزلي.

4–مظاهر الحياة الاجتماعية من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ.

أ–الأسرة ومشكلاتها.

ب–الأحباس

ج–بعض فئات المجتمع

د–العادات والتقاليد والأعراف.

5–مظاهر الحياة الاقتصادية بالأندلس من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ

أ-الزراعة والصناعة:

1- الزراعة والريّ.

2_النظم الزراعية والرعي.

أ-نظام المشاركة الزراعية

ب-نظام المغارسة

3 -الصناعة

ب-النظم التجارية والمعاملات المالية.

1-النظم التجارية(الأسواق، النظام التسعير، النظام النقدي)

2-المعاملات المالية .

أ-نظام الشركات التجارية والوكيل التجاري.

ب-نظام الاستدانة

ج-نظام المعاوضة.

6-مظاهر الحياة الدينية من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ.

أ-المذاهب الفقهية.

ب-الفرق الكلامية

ج-مواجهة الزندقة والشعوبية

د-أصل اتجاه ابن رشد الحفيد في التوفيق بين الشريعة والحكمة

5-مظاهر الحياة السياسة ،التاريخ والأدب من خلال فتاوى ابن رشد الجد.

يعتبر كتاب الفتاوى من أهم كتب " **ابن رشد الجدّ**"، وذلك لأنه اعتمد في فتاويه تلك على أهم الكتب في الفقه المالكي بأنواعها المختلفة ، سواء كانت الأمهات أو الاختصارات في الأصول والفروع والنوازل والوثائق، كما استعان فيها بآراء وفتاوى معاصريه "**كابن الحاج" و"ابن حمدين" و"ابن أبي العافية" و"ابن رزق**"، وغيرهم من الفقهاء الكبار، ولقد نبّه الكثير من الباحثين المستشرقين إلى أهمية كتب النوازل الفقهية وقيمتها في دراسة التاريخ الحضاري للمجتمعات الإسلامية من بينهم المستشرقين الإسبانيين" **لوبث أورتيث**" و"**سلفادور بيلا** "، والمستشرق الفرنسي "**ليفي بروفنسال**"[1]، كما تنبه إلى أهمية مثل هذه المصادر باحثين عرب من بينهم الدكتور" **علي مكي**" عندما حقق مجموعة فتاوى و نوازل تتعلق بأحكام السوق[2] "**ليحي بن عمر**"[3].

أ ـ أهمية فتاوى ابن رشد الجد:

إذا تمعنا إلى سير حركة تأليف الكتب الفقهية على فترات مختلفة، نلاحظ أن التصنيف الفقهي اتخذ اتجاهين ، الأول اتجه إلى الشرح و التعليق وبيان الأحكام ، وهذا ما يلاحظ على أغلب المؤلفات، ، و الثاني اهتم بتسجيل النوازل، و الحوادث ، وبيان فتاوى العلماء فيها، و هذه المؤلفات و إن كانت تهتم بالتبويب والترتيب الفقهي في الكثير من الأحيان، إلا أن طريقة عرضها تكون على

[1] أبو مصطفى كمال : **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة ، **الإسكندرية ، 1997،ص 7**.

[2] ابن عمر يحي : **أحكام السوق**، تحقيق علي مكي، د –ط، د–ت،ص2وما بعدها.

[3] هو أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني (**289هـ/901م**)، أصله من أسرة تنتمي إلى بني أمية بالولاء، ، أصله من **جيان** ، ونشأ **بقرطبة**، وبها درس وأخذ الفقه المالكي على يد علمائها، **كعبد الملك بن حبيب**، كما كانت له الرحلة إلى المشرق، أخذ العلم خلالها على يد تلاميذ الإمام مالك بن أنس **كعبد الرحمن بن القاسم** ، **وأشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن وهب**، وبعد عودته انتصب للتدريس بالمسجد الجامع بالقيروان، أين اشتغل طول حياته بالفقه حيث كان من أشد الفقهاء حماسا في الدفاع عن المذهب المالكي والردّ على خصومه. ابن عمر يحى :نفس المصدر، ص5وما بعدها.

شكل سؤال وجواب ، وهذه المؤلفات التي تهتم بالفتاوى أطلق عليها عدة مصطلحات أشهرها ، الفتاوى ، النوازل، الأجوبة ، الواقعات والمسائل و القضايا[1] .

ويشمل كتاب "**فتاوى ابن رشد الجدّ**" على مجموعة كبيرة من النوازل الفقهية الواقعية ، والتي تعبر بصدق عن واقع الحياة اليومية في المجتمع الأندلسي والمغربي ، والملاحظ أن تلك الحوادث التي عاشها المغاربة والأندلسيون في تلك الفترة قد اصطبغت بصبغة محلية ،مما دفع الفقهاء والقضاة وأهل الفتوى إلى استنباط أحكام وفتاوى وفقا للكتاب والسنة و الإجماع والقياس و أصول المذهب المالكي.

ودراسة الفتاوى مهمة جدًا لمن يهتم بالبحث عن نازلة من النوازل ، فهي تزود الباحث بصور عن الوقائع التي حدثت في السابق ، و ما قيل فيها أو ما جاء فيها من أجوبة و أحكام ،كما تزود الباحث بتصوّر عن مكانة النازلة الجديدة التي لم تحدث في أي عصر من العصور،إذ تعد كتب النوازل أو الفتاوى مصدرًا ثريا بالمعلومات الواقعية الصادقة التي تنقل لنا صورة المجتمعات السابقة ، ومدى ازدهارها و تقدّمها و نوع المشكلات التي كانت تحدث فيها.[2]و هذا ما لمسته من خلال احتكاكي بفتاوى **ابن رشد الجد**.

فكتاب المسائل أو الفتاوى التي أصدرها **أبو الوليد محمد بن رشد الجدّ** جمعها أحد تلاميذه، وحدّث بها غير واحد من أصحابه ،واعتبره عدد من المترجمين مؤلف من مؤلفاته الكثيرة التي

---

[1] ابن رشد ، **الفتاوى**،س1، ص22؛ دنون طه عبد الواحد : **أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس، نموذج تطبيقي من كتاب المعيار للونشريسي، أعمال ندوة دولية تحت عنوان الحضارة الأندلسية في الزمان والمكان**، مطبعة الفضالة ،1993م،ص119؛ حمداوي جميل: **فقه النوازل في الغرب الإسلامي، نحو مقاربة تأصيلية**، شبكة الألوكة ، د-ت ، ص10.

[2] الشاطبي: **الاعتصام**،ص ص63- 64.

أشار إليها في كتبه"**ككتاب الجامع من المقدمات**" في أحد أبوابه فيمن خالط ماله الحرام...حيث قال بعد تفصيل المسألة وعرض الخلاف فيها:" وتوجيه الاختلاف في هذه المسألة يطول وقد عرفنا ذلك في مسألة مشخصة في هذا المعنى، وما يتعلق به لمن سألني ذلك من المريدين وبالله سبحانه التوفيق"[1].

فابن رشد الجدّ يشير إلى المسألة 151ضمن كتاب الفتاوى إلى حكم أموال الظلمة والولاة المعتدين والمرابين والمرتشين وأشباههم من المخلطين ومعاملتهم وأعطياتهم،وهي المسألة التي أطال فيها الجواب وشرح فيها القول.[2]

ولقد قام بجمع هذه فتاوى و ترتيبها تلميذه الفقيه "**أبو الحسن بن الوزان**" [3]، و يؤكد هذا القول ما أورده" **ابن خير الاشبيلي**" فيما يلي :"ذكرت فيما تقدم عند ذكر تآليف "**محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد**" أني أرويها عنه بالإجازة العامة ، وتفسير ذلك أني نقلت من خط صاحبها الفقيه المشاور "**أبو القاسم محمد بن عبد الله بن أحمد القنطري الشلبي**" ، و حدثت بعد نقلي إياه قراءة عليه قال:" نقلت من خط الشيخ الإمام الفقيه"**أبي الحسن محمد بن أبي الحسن المعروف بالوزان**"، وحدثني به بعد نقلي إياه من خطة قراءة عليه قال:" لما استخار الله شيخنا الفقيه القاضي "**أبي الوليد بن رشد**" في النهوض إلى **المغرب سنة 520هـ/1126م**،سألته غداة يوم الاثنين لليلتين خلتا منه "ربيع الآخر" أن يجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة من ضروب العلم....."[4].

---

[1] ابن رشد : **الجامع من المقدمات**، ص93.

[2] ابن رشد : **الفتاوى**،س1، ص22.

[3]إحسان عباس: **بحوث و دراسات في الأدب و التاريخ** ،ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت ،2000، ص418.

[4] ابن خير : **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ، ج1،ص589.

ويؤكد ذلك ما جاء في آخر "**كتاب الفتاوى**" من التصريح باسم جامعها فيما يلي :" **قال الفقيه أبو الحسن بن الوزان** : إلى ها هنا انتهى ما جمعته من المسائل التي سئل عنها وأجاب عليها الفقيه الإمام القاضي **أبو الوليد بن رشد** شيخنا رضي الله عنه فيما عنيت بجمعه وقراءته عليه على مرور الأيام وتعاقب الأعوام مسألة مسألة إلى أن وقع المرض الذي قضي عليه".[1]
فابن خير أخذها عن مؤلفها وحدّث بها عنه من طريقين : الأول مباشرة بعد اتصاله **بابن رشد الجدّ** حيث طلب منه أن يجيزه كتبه، وكان ذلك في **520هـ/1127م**، أي قبل سفره إلى **مراكش.**[2]والطريق الثاني بواسطة تلاميذه وأصحابه الذين أخذوا عن شيوخه[3].

وكتاب الفتاوى كتاب فقه بالدرجة الأولى يبيّن منهج"**ابن رشد الجد**" التطبيقي في تقرير الأحكام الشرعية في النوازل التي عرضت عليه واستفتي فيها ،وسجلّ يعكس آراء صاحبه ومنهجه في فهم الفقه الإسلامي بصفة عامة والفقه المالكي بصفة أخص، كما يبرز مدى حفظه وتبحره واطلاعه على الروايات ووقوفه على اختلاف المذاهب، كما يبيّن مدى وثوق السائلين به بتنوع عناصرهم الاجتماعية ، ففتاوى "**ابن رشد الجدّ**" تعتبر بمثابة وثيقة قيّمة تكشف عما كان بينه وبعض علماء عصره من اختلاف في وجهات النظر وما كان بينهم من حوار علمي قائم على إقناع الآخر[4] .

ويمثل إلى جانب أهميته الفقهية قيمة أخرى ،فهي مسائل تتّصف بصفة الواقعية حيث تعرض صورًا من مجتمع ملوك الطوائف والمرابطين **بالمغرب والأندلس** [5] ،بما تعطينا من نصوص تصور أحداث العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية في **الأندلس والمغرب**، خصوصا وأن "**ابن رشد**

---

[1] ابن رشد: **الفتاوى**،س3، ص1517.

[2] ابن خير: **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ، ص589.

[3] نفسه

[4] ابن رشد ،**الفتاوى** ،س1، ص ص69-70.

[5] ابن رشد: **المسائل**،مج1،ص102.

الجدّ" كان من بين علماء عصره حجة في الفقه المالكي سواء كمدرس أو مؤلف ،حيث كان لهذه المنزلة دورا كبيرا ومرجعا أساسيا للفتوى من حيث الزمان والمكان ، فمن الناحية الزمنية فإنها تتطرق إلى مرحلة مهمة من عصر ملوك الطوائف ثم عصر المرابطين إلى حدود **518هـ/1124م**، أما من حيث المكان فإنها ترتبط بمعظم المدن الأندلسية وبعض المدن المغربية، أما من حيث المضمون فإنها تثير مسائل هامة في شتى شؤون الحياة[1]، فهي إذن ليست مجرد إجابات فقهية و إنما هي بالأحرى مدونة تعكس قضايا جديدة كان **الغرب الإسلامي** يعرفها، و من هنا حظيت لدى فقهاء المذهب المالكي إلى جانب كتبه الأخرى باهتمام خاص جعلها سلطة إفتائية قوية[2] .

و يجمع هذا الكتاب بين دفتيه عددًا هاما من الفتاوى تصل إلى 559 فتوى **لابن رشد** ما عدا ثلاثة فقط، واحدة منسوبة إلى" **أبي عبد الله ابن حمدين"**، و الأخرى **لأبي عبد الله بن الحاج** ،و كثير من هذه الفتاوى تتناول قضايا الحياة المختلفة إلى جانب قضايا العقيدة و مسائل العبادات والمعاملات حيث تقف على مسائل الأحوال الشخصية بما تعرفه من علاقات واسعة و تطرحه من مسائل الزواج و الطلاق و النسب و الإرث والخصومات ،كما تقف على قضايا المعاملات التجارية و المالية ، بما كانت تعرفه من أنظمة و عقود و مشاكل إضافة إلى بعض الأمور التي تمس الجهاد و ما له علاقة بخصوصيات المجتمع[3]،ولهذه الأهمية نال كتاب الفتاوى عناية خاصة لم تظفر بمثلها فتاوى أندلسية أخرى منذ صدورها عن صاحبها إلى الآن ،وذلك يدل على أهميتها وغزارة فوائدها وإلى منزلة

---

[1] ابن رشد : **الفتاوى**، س1، ص ص70-71.

[2] محمد المنصور، محمد المغراوي: **التاريخ و أدب النوازل** ،ط1، منشورات كلية الآداب ، المملكة المغربية، الرباط ،1970، ص61.

[3] المغراوى محمد ، **مسائل العملة و الصرف و الأسعار في العهد المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد**، **التاريخ وأدب النوازل**،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، الرباط ، 1970م، ص61.

ابن رشد الجدّ ورتبته العلمية السامية[1] ،حيث رتبه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القيسي الأندلسي (**ت737هـ/1336م**)[2]، وأبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع التونسي(**ت734هـ/1334م**)[3]، وأبو عبد الله محمد بن هارون الكناني(**ت750هـ/1349م**)،[4] ومحمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الأندلسي(**779هـ/1377م**)[5].

ففتاوى **ابن رشد** إذن ليست مجرد ذكر لقواعد الشرعية المجردة في صورتها المثالية، و إنما هي وصف للوقائع كما حدثت فعلا ،ووصف لتطبيق القانون الإسلامي عليها اعتمادًا على النص أو الاجتهاد.[6]

---

[1] أبو الأجفان محمد : **الفتاوى الأندلسية وتقويم تحقيق فتاوى ابن رشد ، التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة** ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، تيطوان، 1991م، ص ص154- 155.

[2] التنبكتي، **نيل الابتهاج** ، ص139.

[3] هو العلامة قاضي القضاة الفقيه الأصولي العالم بالأحكام والنوازل ، أسرته من بيوت تونس الكبرى ، له تصانيف كثيرة منها **معين الحكام في مجلدين** ، وله رد **على ابن حزم في اعتراضه على مالك** وله **اختصار أجوبة ابن رشد** وغيرها .أنظر ترجمته : مخلوف ،المرجع السابق، ص207.

[4] فقيه مالكي من مدرسي جامع الزيتونة في تونس في الفقه والأصول وعلم الكلام له شروحات واختصارات كثيرة .أنظر ترجمته:السراج : **الحلل السندسية في الأخبار التونسة** ، تحقيق محمد الحبيب الهيل ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1985م،ص805.

[5] عالم فاضل مولع بالتصنيف له تصانيف كثيرة منها اختصار مفرقات ابن رشد والأجوبة .انظر ترجمته: التنبكتي : المصدر السابق، ص278.

[6]أنظر ابن رشد: **المسائل**،مج1،ص 92.

2 ـ الاعتماد على فتاوى ابن رشد و العناية بها من الفقهاء المعاصرين والمتأخرين:

أ ـ من المعاصرين له:

لقيت فتاوى"**ابن رشد الجدّ**" الاهتمام والعناية الفائقة من معاصريه ،وهذا ما يدل على عظم قدره وجلالته وتقدم فتواه على فتاوى العديد من علماء عصره حتى ولو كانوا من أساتذته الكبار، وهذا ما لمسناه في العديد من الفتاوى التي رفعت له من طرف قضاة وفقهاء من مناطق مختلفة **بالأندلس** و**المغرب** ، من بينهم" **ابن الحاج الشهيد**" [1]الذي بين لنا موقفه من فتوى" **ابن رشد" الجد** في مسألة تدمية العمد التي وقعت **بقرطبة** سنة **516هـ/1123م** [2]، "**فابن الحاج**" لما عرضت عليه هذه الواقعة[3].

أجاب هو وغيره من المفتين بما نصت عليه الروايات في" **المدونة**"، وفي" **الواضحة**" وفي "**النوادر والزيادات**" ،و "**كتاب ابن المواز**"[4]. ولقد قام بالتعليق على فتوى **ابن رشد الجدّ** المخالفة ،والتي جاء مضمونها والانتصار لها فيما يلي: "وكان ابن رشد قد خالف في هذا وقال : الحق في هذا للصغار، ويؤخّروا إلى أن يكبروا من غير رواية أستند إليها"[5].

---

[1] أحد الفقهاء الفضلاء ، تفقه بشيوخ قرطبة كابي جعفر بن رزق ، وأبي الحسن بن حمدين، وغيرهم قال عنه **عياض**:" كان حسن الضبط جيّد الكتب ، كثير الرواية ، له حظ في الأدب ، مطبوعا في الفتيا ن مقدما في الشورى"، ولي قضاء قرطبة مرتين حمدت سيرته فيهما ، وقتل وهو قاض يوم الجمعة وهو ساجد في صلاة الجمعة **سنة 529هـ/1135م** ، **ومولده سنة 458هـ/1066م**. أنظر ترجمته: عياض: **الغنية**، ص47 وما بعدها.

[2] ابن رشد : **الفتاوى**، س 2، ص 1196.

[3] الونشريسي: **المعيار** ، ج2، ص319.

[4] الونشريسي، نفس المصدر 320.

[5] الونشريسي :**المعيار**، ج2، ص320.

اجتهد "**ابن رشد الجدّ**" في إجابته في الواقعة ، وتمسك برأيه في الفتوى ، واحتج له بالأدلة وسأله الطلبة عن رأيه الذي خالف به الرواية ، فجاءت إجابته مطولة على هذه المسألة، وهذا ما جاء فيها:" قال الفقيه العدل أبو الوليد شيخنا رضي الله عنه ، سألني جماعة من طلبة العلم الباحثين عن معانيه ، مستفهمين لي عن وجه ما اتصل بهم من فتواي فيمن دمى على رجل بدم عمد ، وله بنون صغار وعصبة كبار، بأن ينتظر الصغار حتى يبلغوا، ولا يمكن العصبة من القسامة ... إذ البنون الصغار أحق بالقيام بالدم والقسامة فيه ،والعفو عنه منهم، **بخلاف الرواية المأثورة في ذلك عن مالك وعن غيره من أصحابه** ، إذ خفي عليهم المعنى في ذلك، وظنوا أنه لا يسوغ للمفتي العدول عن الرواية الموجودة في ذلك، وليس في ذلك على ما ظنوا بل لا يسوغ للمفتي تقليد الرواية والفتوى بها إلا بعد المعرفة بصحتها، هذا ما لا اختلاف به بين أحد من أهل العلم[1] ، لقول الله عز وجلّ : **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**"[2].

واستدل على ذلك شارحا رأيه ومنتصرا له في إجابة مطولة جدّا قائلا: " وهذا وجه ما ذهبت إليه في المسألة قد بانت صحته واتضحت حقيقته والحمد لله ، وقد كان فيما دون ذلك البيان كفاية إلا أن المرء قد يحب معرفة وجه الصواب ،وموقع الحجة كما قال **مالك** في موطئه"[3].

وكان" **ابن الحاج**" من الذين يستشيرون"**ابن رشد الجدّ**" ويأخذون برأيه ، وهذا ما يلمسه المتصفح أو القارئ للفتاوى في عدة مسائل ،منها مسألة سئل فيها عن رجل سقي سمّاً فتجذّم أو اسودّ لونه، حيث يذكر" **ابن الحاج**" بعد جوابه حول هذه الواقعة قائلا:" ... ثم فاوضت فيه ابن رشد فاستحسنته وكذلك كان يقول فيه"[4].

---

[1] ابن رشد ،**الفتاوى**، س 2، ص 1197.

[2] سورة النحل ، الآية 43.

[3] ابن رشد ، **الفتاوى**، س2، ص1203.

[4] ابن رشد :**الفتاوى**، س3، ص 1644.

ويظهر عمق احترام "**ابن الحاج الشهيد**" لأراء "**ابن رشد الجدّ** "في فتاويه ما أجاب به حين سئل في مسألة ساق فيها رأي" **ابن رشد**" **قائلا:**" وذهب ابن رشد إلى أنّه إذا وجبت القسامة ولم يقسم الولاة ذ،فإنّه يضرب مائة ويسجن سنة مثل إذا أقسموا ثم وقع ترك القتل بعفو أو بغيره وإنّما يراعى وجوب القسامة دون غيرها فتدبّره"[1] .

أما بالنسبة للقاضي "**عياض بن موسى اليحصبي**"، أحد تلاميذه السبتيين النجباء، فأسئلته المرفوعة إلى "**ابن رشد الجدّ**" كثيرة جدا ، وهذا ما يدل إلا على احترامه الكبير لشيخه وإمامه ، فلمّا كان قاضيا **لسبتة** أرسل إليه يسأله عن عدة مسائل **قائلا:** "الرغبة إلى شيخي المعظّم أدام الله جلاله ،في النص في هذه المسائل التي أسأله عنها إذ هي نوازل كان من بعض الأصحاب فيها نزاع، فأردت الاستنجاد برأيه والاهتداء بهديه والله يعظم أجره ويجزل ذخره بعزته".[2]

وفي سنة **515هـ/1122**م وجه إليه **القاضي عياض** عددا من المسائل بلغت 11 المسألة يسأله الفتوى فيها ،ففي المسألة الأولى سأله عن ما شروط من يوجّهه القاضي في الأعذار أو في التحليف ،فبعد عرض المسألة قال: " لك الفضل في بيان هذا فإنّه قام فيها تعلّة ، منك جلاؤها إن شاء الله وهو المستعان لا إله غيره "[3]، وفي المسألة الثانية المتعلقة حول إذا كان يصح توجيه شاهدين في الحيازة ، قال:" ما تراه في ذلك وهل فيه نص لأحد الأشياخ؟ ،فقد لاح لي فيه شيء أردت رأي إمامي فيه بتوفيق الله"[4]. وفي المسألة الرابعة سأله عن الحدّ الذي يوجب اليقين في الشهادة ثم قال: "ورغبتي أن تشبع لي الجواب في هذا السؤال، فلم أقف فيه على شيء يشفي على كثرة مطالعتي وفتشي عنه وعن مثله، ولست أريد باب الشهادة في السفر ، ولا ما سطره المتكلّمون الأصوليون في حدّ نقلة متواتر الخبر"[5].

---

[1] الونشريسي، **المعيار** ،ج2، ص322.

[2] ابن رشد، **المسائل**،مج2، ص872 وما بعدها.

[3]ابن رشد، نفس المصدر، مج 2، ص912_913.

[4]ابن رشد ، نفس المصدر ، مج 2ص، 914_915.

[5] ابن رشد : **المسائل**، مج2 ص 917.

كما أرسل إليه في النصف الثاني من شهر رمضان سنة **516هـ/1123م** برسالة استفسار ورد فيها 15 مسألة ، الأولى قال فيها: "جاوبني متفضلا مأجورا عن ذلك فصلا فصلا ، فالأمر فيه موقوف ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته " ، وسأله في التاسعة بما يلي :" وهل تعرف لها خلافا في المذهب"، وفي المسألة العاشرة قال: "ما رأيك فيه وفتياك وقد علمت ما وقع فيه من خلاف في أصولنا عند محمد وغيره".

وفي جمادى سنة **518هـ /1125م** بعث يسأل عن خمس مسائل كتب في أولها:" رغبتي إلى الفقه الأجل القاضي أدام الله توفيقه أن يفسر لي رأيه وما يفتى به من الأعذار للغائب وما ينقطع فيه و يجب معه ، ومقدار ذلك من المسافة مع أمن الطريق وارتفاع الفتن هل يلزم لمن خاف ركوب البحر لسيما في زمن منع ركوبه، وغير ذلك من فصول المسألة ، وأن يذكر لي ما عنده في ذلك رواية ورأيا مأجورا إن شاء الله تعالى"[1] .

كما بعث إليه **"القاضي عياض"** بعشرة أسئلة أخرى ، نزلت في الأحكام بين يديه وهي كلها في شأن أرحاء وجنات وخضر قائلا في المسألة الأولى:"بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله توفيق الفقيه الأجل معظمي وأبقاه ، وختم له بحسناه، وجمع له خير دنياه وأخراه ضمّنتُ مدرجتي هذه الأسئلة رغبتي جوابه عنها، مأجورا مشكورا إن شاء الله"[2].

كما توالت عليه الأسئلة من الفقهاء وكبار العلماء من مختلف جهات الأندلس ففي سنة **518هـ/1125م**، كتب إليه بعض الفقهاء المفتين بإقليم **باقة** يسألون عن 16 سؤالا[3]، أولها كان حول وثيقة إثبات ملك متوفى[4]، أما المسألة الثالثة فكانت حول من التزم في عقد زواجه الثاني أنّه متى

---

[1] ابن رشد ، **الفتاوى**، س3،ص 1626.

[2] ابن رشد، **المسائل**، مج2، ص1149.

[3]ابن رشد: **المسائل،مج2**، ص1209.

[4] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص ص، 1209-1210.

ردّ الأولى فهي طالق[1]، أما المسألة الثامنة فتناولت إذا كان يجوز إفراغ الدار المشتركة من أجل القسمة[2]، وغيرها من المسائل الكثيرة التي تعكس قضايا المجتمع الأندلسي، ومدى وعيه الفكري والثقافي[3].

وفي سنة **519**هـ/ **1126**م كتب إليه بعض طلبة العلم من **طنجة** يسألونه عن معنى الفتوى وصفة المفتي وتقسيم صفات المنتسبين إلى العلوم ونصّ السؤال يقول:" أيها الإمام الأجل والقدوة التي يقتدى بها من إليه العقد والحلّ، وصل الله إليك ما منحك من التأييد بالتأبيد، وأكّد ما وهبك من التسديد بالتجديد ... واجب على من أهمّت في يقينه مهمة ، وألمت به في دينه ملمّة ، أن يتوخّى أقرب الخلق في اعتقاده إلى الحقّ فيسأله سؤال تمجيد وتوقير ... ليبرأ فيما عليه من عهدة التكليف ويقوم في الحنيفية بالمقام الشريف، وقد عرضت لنا مسائل مشغلة مشكّلة لم نجد إلا مصباحك لاندفاع ظلم إشكالها ...ورغبتنا أحسن الله ذكراك أن تتصفح ما رسمنا منها ، وتسمح بالجواب عنها"[4].

ذكر "**ابن الوزان**" أن هذا السؤال ورد من عند "الأديب الأستاذ النبيه **بطنجة أبي العباس أحمد بن محمد المري**"، الذي بعث **لابن رشد** برسالة ثانية جاء فيها:" إلى الفقيه الأجل المشاور ، الأفضل حرس الله الإسلام بحراسته ، ملتزم إعظامه محمد بن أحمد ،حرس الله بالإمام الأجل الأثير المحل معاهد الإسلام، وأيّد بعزائمه الميمونة وصرائمه المأمونة معاقد الأحكام ، وأعلى كلمة ذكره في السادة الأعلام ، وأبقى له لسان صدق بقاء الليالي والأيام، ... ومن لي أن أجد في قطري جليلا يشفي غليلا ، أسأل الله جلّ اسمه أن يمدّ المسلمين في حياته وسلامه ذاته ..."، ثم واصل رسالته

---

[1] ابن رشد ،**المسائل**،مج2 ، ص1211.

[2] ابن رشد ،المصدر السابق، مج2 ص1214.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2، ص1215 وما بعدها

[4] ابن رشد، **الفتاوى**،س3، ص1494ـ 1495.

قائلا:" وطويته على مسائل من المهمة ، والواضح أثرها في الدين والهمة ، ورغبتي إليه أن لا تهون رغبتي هذه عليه ، وأن يراجع فيما سألته عنه بما يشبه المعهود منه ، فعل مأجورا مشكورا"[1].

إن هذه الأسئلة لها مكانتها وقيمتها بقدر الإجابات التي كانت تمثل حلولا علمية في نظر الدين ، فهي ليست أسئلة من عامة الأمة، وإنما هي أسئلة من مثقفيها وعلمائها ،وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على تميّز" **ابن رشد الجدّ**"ومكانته العلمية بين معاصريه، ليس كمدرس فقط وإنما كمؤلف أيضا، و كمرجع كبير للفتوى.

ب ـ من المتأخرين (في العصور المتتالية):

حظيت فتاوى "**ابن رشد الجدّ**" بالعناية والاهتمام في العصور المتتالية أيضا، حيث انتشرت وذاعت بين العلماء والفقهاء الذين عدوها ثالث تأليف "**لابن رشد الجدّ** "، فعولوا عليها في فتاويهم الفقهية ، وعكفوا تدارسها نتيجة لسمعتها الطيبة ، من بينهم "**خليل بن إسحاق الجندي" في مختصره** لما شرح قوله :"إلاّ لأخذ ظالم ما قلّ، لا ينكث على الأظهر"[2] قال :"أما ابن رشد لم أجده له في المقدمات ولا في البيان ولا في الأجوبة ولا عزاه له ابن عرفة ولا المصنّف في توضيحه،ولا في مناسكه وإنّما قال في قول **ابن الحاجب** "[3]. فهذا الأمر يدل على أنه مطلع على كتب" **ابن رشد** كلها.

كما كتب **الحطاب** في باب الغصب :" وذكر ابن رشد في أجوبته في أوائل كتاب الجامع في المسألة التي تكلّم فيها عن معاملة من ماله حرام أو بعضه ،أن رب الشاة مخير ،ولم يذكر في ذلك

---

[1]ابن رشد : **الفتاوى** ، س3، ص ص 1495ـ 1496.

[2] خليل بن إسحاق الجندي: **مختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حلّ مقفل خليل لمحمد بن غازي العثماني**، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه للطباعة والنشر ، القاهرة 2008م، ج1، ص 316 .

[3]خليل بن إسحاق الجندي، نفس المصدر ، ج1،ص317.

خلافا"[1].ولقد صدرت هذه الفتوى في سنة 736هـ في نازلة حبس أفتى في صاحبها قائلا في خاتمتها مستدلا:"حسبما نصّ عليه ابن رشد في المقدّمات والأجوبة"[2].

كما يتضح الاعتماد على نصّ **ابن رشد** ما أجاب به بعضهم في "**نوازل الونشريسي**"حين سئل عن أرض له غامرة لم تعمر منذ سنين ولا تعمر أبدا، فهل تصح معاوضتها بأحسن منها أم تبقى غامرة إلى يوم القيامة ، وقد عاوضنا ببعضها وعمرت، وأنفقنا عليها مالا وظهرت اليوم، فان لم تصح المعاوضة فكيف يعمل في غرسها وما انفق عليها؟ ومن أين تخلف من عملها؟ فأجاب: **قال ابن رشد**[3] :" إن كانت القطعة من الأرض المحبسة قد انقطعت منفعتها جملة وعجز عن عمارتها، فلا بأس بالمعاوضة فيها بمكان يكون حبسا مكانها ، ويكون ذلك بحكم من القاضي بعد ثبوت ذلك السبب والغبطة في العوض، وسجّل ذلك وشهد عليه"[4] .

ومن الاعتماد عليها معنى ونقلا حرفيا في كلام الفقهاء الذين اعتبروها مادة فقهية صحيحة ، ما ذكره "**ابن عرفة** "حين قال على لسان" **ابن رشد الجدّ"**: " للموكل عزل وكيله، وللوكيل أن ينحل عن الوكالة متى شاء أحدهما اتفاقا إلا في وكالة الخصام ، فليس لأحدهما بعد ذلك إن نشب الخصام، و المفوض إليه والمخصوص سواء"[5].

---

[1] الحطاب: **مواهب الجليل**، ج3، ص312.
[2] الونشريسي، **المعيار** ج7، ص186ـ 187.
[3] ابن رشد : **الفتاوى**، س2، 1080.
[4] الونشريسي ، **المعيار**،ج7، ص138.
[5] الحطاب، **مواهب الجليل**، ج7،ص214، ص ، ابن رشد ، **الفتاوى**، س3، ص1351.

ومن مظاهر الاحتجاج بكلا"م **ابن رشد**" والاستشهاد به ،ما جاء "**أبو القاسم العبدوسي** (**827هـ/1425م**)"[1] في إجابته على زيارة قبور الوالدين بما يلي:" وأما القراءة على القبر فنصّ **ابن رشد في الأجوبة** ،و**ابن العربي في أحكام القرآن** له، **والقرطبي في التذكرة** ، على أنه ينتفع بالقراءة ،أعني على الميت سواء قرأ على القبر أو في البيت، وبعث الثواب له، أو في بلد إلى بلد"[2].

كما استدل "**الونشريسي**" فيما ذكره قائلا:" وفي نوازل ابن رشد إذا قرأ الرجل ووهب ثواب قراءته لميت جاز ذلك ،وحصل للميت أجره، وحصل له نفعه"[3]، واستند إلى مسألة الزيادة في جامع **سبتة** في جوابه عن مسألة إيقاع الجمعة **بجامع القرويين بفاس**[4]، حيث أورد رأي "**ابن الحاج**"في نوازله[5]، وأضاف إليه رأي "**ابن رشد**" ذاكرا:"قال ابن رشد في جوابه على مسألة جامع سبتة أن مالكا وجميع أصحابه المتقدّمين والمتأخرين لم يختلفوا فيه"[6].

كما أورد الونشريسي جوابا "**للأمير أبي عبد الله الحسن بن السلطان أبي العباس الحفصي**"، عمن متّعته زوجته في أملاك ثم طلّقها طلقة لا يمكن رجعتها، ثم راجعها هل تعود المتعة أم لا؟ فأجاب عن ذلك ثمّ قال :" وتقدّم في كلام **ابن رشد** ما يشهد لصحة هذه الفتوى"[7]، ثمّ ذكر **قائلا:**" إن أعمرت الزوجة زوجها في دارها أو في غيرها مدة الزوجية فطلّقها الزوج ، فإن راجعها بقيت له العمرى ... ولا ينقطع إلا بالثلاث إن راجعها بعد زوج ، لأنّ قوله أمد الزوجية يقتضي أمد

[1] هو أبو القاسم عبد العزيز بن موسى العبدوسي الإمام الحافظ العالم الجليل،كان نادرة في الحفظ والإتقان، **أنظر ترجمته:** مخلوف : **شجرة النور الزكية،** ج1،ص363-364.
[2] الونشريسي: **المعيار،** ج1، ص321.
[3] الونشريسي :نفس المصدر، ج1، ص333.
[4] الونشريسي : المصدر السابق، ص237 وما بعدها.
[5] الونشريسي : **المعيار** ،ج1، ، ص244.
[6] نفسه.
[7] الونشريسي ، المصدر السابق ،ج3، ص24.

العصمة".[1] واستدل بذلك برأي "**ابن رشد الجدّ** "فيمن تطوع لزوجته في نفقة ابنها من غيره أمد الزوجية ، فطلّقها ثم راجعها وأبى من الإنفاق، أنّ الإنفاق لازم ..."[2] .

كما استدل "**أبو عبد الله محمد بن مرزوق** (**842هـ/1439م**)"[3] في فتواه المسماة "**تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم**"[4](ورق الروم)بما في مسألة سئل عنها "**ابن رشد الجدّ**" حول صفة المفتي وفي معنى الفتوى وتقسيم صفات المنتسبين إلى العلوم[5]، حيث أخذ منها ما يلي:"ثمّ الحجة في المسألة ما حرر **ابن رشد** في أجوبته لما سئل عنها فقال :"من يتميّز عن العلم بالمحفوظ والمفهوم أقسام ، قسم قلّد مذهب مالك وحفظ أقواله وأقوال أصحابه ولم يتفقه في معانيه ولا ميّز صحيحها من سقيمها ، فلا تصح فتواه بما حفظ من قول إمام أو صاحب، إذ لا علم له بصحة شيء من ذلك ، ولا تصح الفتوى بمجرد التقليد من غير علم ، ويصح له إن نزلت به نازلة ، ولم يجد من يستفتيه أن يعمل فيها بقول ما حفظه، ويتنزل ذلك الغير منزلته هو"[6]، ثمّ رجع إلى شرح القول وواصل الكلام المقتبس من **ابن رشد** قائلا:" وقسم كالذي قبله وزاد بمعرفة قياس الفروع على الأصول لعلمه بأحكام القرآن والسنة وما اتفق عليه الأئمة ولا اختلفوا فيه و عنده من العلوم ما يحتاج إليه في الاجتهاد ، وهذا هو الذي يفتي في الاجتهاد في الأدلة الشرعية ".[7]

---

[1] الونشريسي : **المعيار** ،ج3، ص24.

[2] الونشريسي ،نفس المصدر ، ج3، ص25.

[3] هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المشهور بالخطيب، من بيت علم ودراية ودين وولاية كعمه وأبيه وجده وأحفاده، كانت له رحلة إلى المشرق، أخذ فيها عن كبار العلماء ، مؤلّفات مفيدة في شتى فنون العلم.**أنظر ترجمته:** مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص ص340-341.

[4] الونشريسي، **المعيار**،ج1،ص75- 107.

[5] ابن رشد، **الفتاوى** س3، ص1494.

[6] الونشريسي :**المعيار** ، ج1،ص104.

[7] الونشريسي : **المعيار** ، 1، ص 105.

كما جاوب "**أبو سعيد بن لب** (**782هـ/1381م**)"[1] عن نازلة استفتي فيها عمن اشترى دارا ، وأراد هدم سقيفة بها ،فنازعه البائع بأنّ البيع لا يشملها مستشهدا بكلام "**ابن رشد**" في فتواه على مسألة درب غير نافذ فيه باب دار لرجل آخر قائلا:" وأفتى ابن رشد فيمن كان له شارع إلى سكة غير نافذة ، فطمسه ثم وهب الدار ، فأراد الموهوب له فتحه بدون رضي أهل تلك السكة ، فمنعه ابن رشد من ذلك"[2].

واستشهد "**أبو عبد الله القوري**"[3] برأي واختيار "**ابن رشد الجدّ**" في مسألة ترميم المسجد الجامع[4]، في جواب له حول ما قصد به وجه الله هل يجوز أن ينتفع بعضه في بعض قائلا:" وبالجواز أفتى ابن رشد رضي الله عنه برم مسجد من وفر مسجدا غيره ، ولهذا ذهب الأندلسيون خلاف مذهب القرويين ، وبه قال ابن القاسم والأصح الجواز، وهو الأظهر في النظر والقياس"[5].

ذكر" **الونشريسي**" أنّ "**ابن عرفة**" أفتى في نازلة حول من سافر بمال قراضا ، فتعرض له في الطريق من قتله قائلا مستشهدا بقول لابن رشد:"حكم ابن عرفة فيها بالمال وما تقدم له من الربح، و احتج بمسألة وقعت "**لابن رشد**" في غلاة ربح اليتيم "[6].

---

[1] **فرج بن قاسم بن لبّ الغرناطي** المكنى أبو سعيد، إمام غرناطة ومفتيها، من كبار العلماء ومحققهم، له درجة الاختيار في الفتوى ،كان معظما عند الخاصة والعامة، أكثر المواق من النقل عنه في شرح المختصر، و له مؤلّفات كثيرة . **أنظر ترجمته:** مخلوف : **شجرة1** ، ج1،ص ص331-332.

[2] الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص435.

[3] هو محمد بن قاسم القوري، الإمام المفتي بفاس، وآخر حفاظ المدونة بها، أخذ العلم عن علماء كثر ،كما أخذ عنه ابن الغازي وطبقته ، توفي سنة 872هـ.**أنظر ترجمته:** ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي: **درة الحجال في أسماء الرجال،** تحقيق محمود الأحمدي أبو النور، ط1، مكتبة العقيقة –دار التراث، تونس- القاهرة، 1971م، ج2، ص ص295-296.

[4] ابن رشد، **الفتاوى**، س1، ص113.

[5] الونشريسي: **المعيار**، ج7، ص187.

[6] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج8، ص204.

كما استشهد الفقيه "**أبو القاسم محمد التازغدري** (**832هـ/1440م**)"[1] في جوابه على مسألة حول السقي والطحن بكلام ابن رشد حيث قال: " إنّما يتقدم المتقدم على المتأخر في السقي خاصة ، وأما إن احتيج إلى الماء للسقي وطحن الأرحى ، فالسقي أولى من الطحن كان الأسفل أو الأعلى ، أيهما تقدّم أو تأخر، قاله **ابن رشد في نوازله**"[2].

كما استشهد" **أبو عبد الله المواق**" في فتواه حول التشبه بالأعاجم في اللباس بفتوى "**ابن رشد" قائلا:**" ويرشح هذا المأخذ فتوى ابن رشد بجواز تلثيم المرابطين ، بل استحبه لهم لأنه زيهم الذي عرفوا به وهم حماة الدين، وقال لا حرج على من صلى منهم ملثما بخلاف غيره"[3]. وعلق **الونشريسي** على ذلك **قائلا:** قلت وأقام الشيخ أبو الحسن مثل فتوى ابن رشد هذه من قوله في المدونة: ومن صلى محتزما أو بشعره ... "[4] .

وتوضح الدراسات حول كتاب الفتاوى فيما أوضحه تلميذه "**ابن الوزان**" في تعليقاته على بعضها قيمة جوابات" **ابن رشد الجدّ**"، بعد عرضه لمسألة سئل عنها" **ابن زهر**" حول ضيعة في بادية بيد رجل ملكها وراثة عن سلفه منذ سبعين عاما ،ولم يزل هو وأبوه يتصرف بها ويستغلّها ، إلى أن قام عليه رجل فادعى أن الضيعة رهن بيده تملّكها وبذلك تملّكها سلفه قبله [5]، فبعد عرض ابن الوزان لفتوى" **ابن رشد الجدّ**" في القضية[6] ، ساق بعدها فتوى" **أصبغ بن محمد**"[1]، ثمّ قارن بينهما

---

[1] **أبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري**، العلامة الفقيه ، الخطيب البليغ النظار الفهامة كما وصفه مخلوف، له شرح على تعليقة أبي الحسن على المدونة، وله فتاوى كثيرة نقل الونشريسي عددا منها في المعيار المعرب، كما أكثر ابن الغازي في النقل عنه، قتل غدرا سنة 832هـ/1428م أنظر ترجمته: **شجرة النور الزكية** ،ج1، ص363.

[2] الونشريسي،**المعيار**، ج8، ص16.

[3] الونشريسي ،نفس المصدر، ج11، ص28.

[4] الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص28.

[5] ابن رشد، **الفتاوى**، س1، ص345.

[6] ابن رشد ،**المسائل** ، مج1، ص346ـ 347.

وأورد قائلا أنه:" لا يصح في المسألة غير ما أجاب به الفقيه **أبو الوليد بن رشد** رضي الله عنه"[2].

وسجل محقق كتاب الفتاوى **المختار بن الطاهر التليلي** الكثير من التعليقات والتذييلات في هوامش الفتاوى تبين مزاياها ومحاسنها ، ومدى اهتمام العلماء بها ، ويزداد الأمر وضوحا حين سئل الفقهاء عن معانيها في بعض القضايا ومنهجها الفقهي، من بينهم "**أبي علي عمر بن البراء (ت797هـ/1396م)**" الذي سئل عن فتوى"**ابن رشد الجدّ** "فيمن أنفق على أبيه المعدم فلا رجوع له على إخوته بشيء ليبين وجه فقهها ، وطريقة أخذها قائلا:"عما وقع لابن رشد فيمن أنفق على أبيه المعدم ، فلا يرجع على إخوته بشيء لأجل أنه تطوع، بل لو أشهد برجوعه على إخوته فلا يرجع لأنّ نفقتهم لم تكن واجبة حتى يطلبوا بها، بخلاف نفقة الزوجة"[3]، **فأجاب:**" بأنّ نفقة الابن على الأب العديم وانفراد أحد الأولاد بها بما ذكر فيها ظاهر ، لأن القضية تحتاج إلى ثبوت فصول عند الحاكم من فقره، وعجزه وغنى أولاده، فيوزع الحاكم حينئذ النفقة عليهم ، ولما لم تثبت هذه ، كان ما كتب في أمره لم ينبرم عقده فلا أثر له، ونفقة الزوجة واجبة ولا نظر فيها ولا شرط، وهي تجب بالعقد والتمكين ومسائله جارية على نهج الفقه وأصول المذهب"[4].

هذا بالنسبة "**لنوازل الونشريسي**" التي لا يخلو أيّ جزء من أجزائها 12 من ذكر لفتاوى" **ابن رشد الجدّ"** ، حتى أنّ محققها "**محمد حجي"** لم يذكر في فهرس الأعلام الصفحات المتعلقة بشخصيته لتداولها الكثير في معظم صفحات الأجزاء ، كما نقلت" **نوازل الونشريسي"** فتاوى الكثير من العلماء الذين اعتمدوا في فتواهم على" **فتاوى ابن رشد الجدّ"** .

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق، مج1، ص348.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق،ج1، ص349.

[3] الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص 285.

[4] الونشريسي، نفس المصدر ، ج3، 285.

يستنتج في الأخير أنّ فتاوى ابن رشد الجدّ ما هي إلاّ وقائع أهمت الناس في عصره بالعدوة المغربية والأندلسية ، حيث توجه بها إليه معاصروه من مختلف فئات المجتمع من عامة المسلمين وخاصتهم ، من الأمراء وأعوانهم ، كما أرسلت إليه من الولاة والقضاة والمشاورين والفقهاء، ومن العلماء والطلبة ، حاملة أسماء المستفتين وصفاتهم العلمية ، كلّهم يبحثون عن الحقّ بالالتجاء إلى الأحكام الفقهية والاحتماء بالقانون الشرعي الرادع بما في الفتاوى من إرشاد وبيان، وهذا ما أبرز مكانة ابن رشد العلمية ومنزلته الفقهية، ويكفيه فخرا ما نعته به "**أبو عبد الله محمد القوري**" مفتي **فاس** في قوله:" وجرت عادة الشيوخ بتقديم غيره من الشيوخ لرسوخه في العلم ، ودرايته بالروايات وتحقيقها، وتقدمه القضاء والفتيا بإجماع جلّ معاصريه.

4 ـ موقع فتاوى بن رشد الجدّ في فقه النوازل:

أ ـ أجوبة أبو عبد الله محمد بن سحنون:

عاصر "**محمد بن سحنون**" دولة الأغالبة التي عرفت نهضة علمية مزدهرة وغير مسبوقة في تاريخ الإسلام بالمنطقة المغرب الأدنى في عصره، ففي هذا الجوّ نشأ "**محمد بن سحنون**" آخذا العلم من شيوخ كثيرين على رأسهم والده "**سحنون بن سعيد التنوخي المغربي**"صاحب كتاب المدونة المشهور الذي أصبح معتمد المغاربة والأندلسيين في الفقه المالكي، حيث كان علما من أعلام **القيروان** الكبار وفقيها مالكيا من فقهائها[1]، قال عنه **المالكي**: " أنه كان إماما ثقة عالما بالمذهب ، مذهب أهل المدينة، عالما بالآثار، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه ، ألف في ذلك كتبا كثيرة تنتهي إلى مائتي كتاب في جميع العلوم و في المغازي والتواريخ"[2].

و**أجوبته** تعتبر امتدادا لمدونة أبيه ، فهي عبارة عن إجابات لأسئلة صاحبه "**محمد بن سالم**" مثلما قامت المدونة على أسئلة أبيه "**سحنون لعبد الرحمن بن القاسم**"، أما خصائص كتاب الأجوبة "**لمحمد بن سحنون**" حسبما أشار إليها محقق الكتاب "**حامد العلوني**" فتتمثل فيما يلي:

ــ ندرة الكثير من القضايا وغرابتها في بعض الأحيان ، مما يوحي أنّها أسئلة افتراضية حول قضايا يمكن أو لا يمكن أن تحدث.

---

[1] ابن سحنون : **كتاب الأجوبة** ، ط1، تحقيق حامد العلوني، دار سحنون- دارابن حزم، تونس- بيروت، 2011م، ص28وما بعدها.

[2] المالكي عبد الله بن محمد: **رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ، تحقيق بشير بكوش- مراجعة محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.، ج1،ص443 وما بعدها.

ـ إعطاء صورة عن الحياة العلمية وجوانبها في عصر "**محمد بن سحنون**" أيّ العصر الأغلبي حيث تعطي ملامح من الحياة الواقعية بما تقدّمه من مجريات الحياة المختلفة بالقيروان خصوصا في منتصف القرن الثالث الهجري.

ـ أشار "**حامد العلوني**" إلى أنّ القواعد الشرعية كانت ترد في شكل أسئلة مقتضبة ، متبوعة بأجوبة متفاوتة الطول، ولئن كان السائل واحدا فإنّ المجيب أكثر من واحد في ردوده وحججه وبراهينه. حيث فصل في ذكر القواعد الشرعية بصورة مختصرة وكافية في الموضوع بمختلف جوانبه.

ـ الاعتماد والاستدلال بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وسوابق القضاء .

ـ الاعتماد على أقوال مالك بن أنس وحججه وأقوال تلاميذه، وأقوال أبيه سحنون وبراهينه.

ـ لم يكتف محمد بن سحنون بالحفظ والجمع والتحصيل، وإنّما تجاوز ذلك النظر والتمحيص والتأويل. [1]

ب ـ كتاب الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى لأبي الأصبغ عيسى بن سهل الأزدي:

يعتبر"**أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي**" من الأعلام المشهورين **بالأندلس** خلال القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي ، أصله من مدينة **جيان** ، سكن **قرطبة** وتفقه بها حيث سمع من حاتم الطرابلسي، ولازم ابن عتاب واختص به في الفقه ، وغيرهم من فقهاء الأندلس وعلمائها الكبار، ذكر **ابن فرحون** أنّه :"كان جيّد الفقه، مقدّما في الأحكام، له كتاب حسن سماه

---

[1] ابن سحنون : المصدر السابق، ص34 وما بعدها.

الإعلام بنوازل الأحكام ، ولي وظيفة الشورى والكتابة **بقرطبة**"[1]، أما **ابن بشكوال** فقال عنه في **الصلة**:"كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء، حافظا للرأي ذاكرا للمسائل، عارفا بالنوازل، بصيرا بالأحكام، مقدّما في معرفتها ،وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعوّل الحكام عليه"[2]." أما **ابن الخطيب** فقد ساق أراء العلماء فيه من بينهم **ابن الصيرفي** الذي قال فيه:"كان من أهل العلم والفهم والتفنّن في العلم مع الخير والورع وصحة الدين وكثرة الجود بارع الخط فصيح الكتابة .. . توفي **بغرناطة** سنة **(486هـ/1094م)**"[3].

وكتابه "**الأحكام الكبرى**" فهو عبارة عن نوازل ذات صبغة قضائية وحوصلة لاجتهاده القضائي، وهذا ما نستنتجه من قول **أبو الأصبغ** عن جمعها :"فإني بجميل صنع الله ، وجميل أفضاله عندي وحسن عونه لي أيام نظري من القضاء والأحكام، وزمن تقييدي أحكام غيري من القضاة والحكام جرت علي يدي نوازل، استطلعت فيها رأي من أدركت من الشيوخ والعلماء، وانفصلت لدي مسائل كاشفت كبار الفقهاء منها، إذ كانوا بهذا الشأن بأرفع مكان، وأعلى منزلة وأعظم درجة، ورسوخا وعلما، ودراية وفهما، ومنها ما شافهتم فيه، ومنها ما كاتبت في معانيه"[4].

يفهم من هذا القول أنّ هذه النوازل موجهة بصفة خاصة إلى القضاة والمفتين، للتبيين لهم كيفية صناعة الفتوى والمشورة القضائية، وفنّ القضاء، وذلك عن طريق تعريفهم كيفية الاستدلال بأصول المذهب المالكي، على الوقائع المستجدة، وكيفية تكييفها والحكم فيها على طريقة القرطبيين، حيث قال:" ولو لم يفد إلا معرفة نهج الأحكام ، وسنن القضاء والأحكام في مشاورة الفقهاء وكيفية

---

[1] ابن فرحون :**الديباج المذهب** ، ج 2، ص71.

[2] ابن بشكوال : **الصلة**، ، ج2، ص635.

[3] أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأزدي: **الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى**، تحقيق نورة محمد بن عبد العزيز التويجري، ط1، 1995م ،ص22.

[4] ابن سهل ، نفس المصدر، ص ص23-24.

المعتاد في ذلك بينهم **بقرطبة** حيث كان جمهور العلماء والقدوة الوقوف على هيأة فتوى المفتين لهم، فكان أكبر مستفاد لمن طلب في تعلّمه الازدياد لأنّها طريقة لم تأخذ عنهم ، ولا توجد بالإتقان الذي هي عليه إلا عندهم"[1] .

وبذلك تميّزت بعدة خصائص:

ـ من أهمها الواقعية التي ميّزتها فهي لم تشمل عصر "**عيسى بن سهل** "بل تجاوزته إلى عصور الفقهاء قبله من الأندلسيين والقرويين، حيث التزم بأقوال الفقهاء السابقين، وأحكام قضاياهم، في إطار بحثه عن الحكم لنازلته، مستعينا في ذلك بمشورة معاصريه، وإلى رأيه الخاص أحيانا مقارنا بينهما.

ـ إعطاء الأهمية للفهم المحلي لنصوص المذهب بالأندلس عامة، وقرطبة بصفة أخص، وهذا ليس بالجديد على أهل **الأندلس** ، إلا أنّ عيسى بن سهل قيّد فكره بعدم التطلع لأيّ جديد، لأنّه يرى أنّ من مضى أعلم ممن بقي، وأنّ الاجتهاد حسب رأيه إتباع السلف.

ـ تميّزت نوازل الأحكام أيضا بتركيزها على أمّهات المذهب كالمدونة والعتبية ومسائل ابن زرب، وغيرها مع ضعف التعامل مع نصوص القرآن والسنة النبوية، حيث لا يدخل الكتاب والسنة إلا في بعض التمهيدات.

ـ التأصيل التاريخي لبعض القواعد الشرعية، مع غياب تحصيل الفقه الذي ورد عند محمد بن سحنون والذي يوجد عند "**ابن رشد الجدّ**" [2].

---

[1] ابن سهل: **الإعلام بنوازل الأحكام** ، ص 25.

[2] ابن رشد ، **المسائل**، مج1، ص112وما بعدها.

ج - نوازل البرزلي :

اشتهر" **أبو القاسم بن أحمد بن معتل البلوي القيرواني بالبرزلي"**، حيث أثبتت له سائر المصادر أنه قيرواني النشأة والأصل وإن اختلف في لقبه بالبرزلي، ولد **سنة 738هـ/1338م** تقريبا، لأن هذه السنة اختلف فيها من طرف المصادر التاريخية، أما وفاته فكانت **سنة 841هـ/1438م**، أخذ العلم عن جماعة من العلماء الكبار الذين اختلفت مشاربهم واختصاصاتهم بين الفقه والحديث وعلم القرآن،وغيرها من العلوم الشرعية والنقلية، من بينهم **"أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي** المتوفي **سنة 803هـ/1402م"**،**"وأبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب** المتوفي **سنة 781هـ/1380م** "أكبر فقهاء المغرب،وغيرهم كثير[1].

أما **"كتاب البرزلي"** المعروف بالفتاوى أو النوازل أو ديوان البرزلي، والذي أطلق عليه اسم **"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"**، اشتهر بين الفقهاء والمفتين والباحثين القدماء بسبب أهميته،فوصفه **ابن مريم** بالديوان الكبير في الفقه والفتاوى[2]،و هو من كتب المذهب الكبيرة أجاد فيه البرزلي، ونقل **أحمد بابا التنبكي**[3]قول **ابن مريم**، ووصفه **السخاوي** بالفتاوى المتداولة[4].

---

[1] البرزلي ، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي : **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام** ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2002م ، ج1، ص5 وما بعدها.

[2] ابن مريم الشريف المليتي المديوني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر 1908م.ج1، ص150.

[3] التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، ص ص368-369.

[4] السخاوي ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل ، بيروت ، د-ت، ج11، ص133.

أما الهدف من تأليفه الكتاب أورده البرزلي في مقدّمته **قائلا:**" هذا كتاب قصدت فيه إلى جمع أسئلة اختصرتها من **نوازل ابن رشد الجدّ**، و،**ابن الحاج، والحاوي لابن عبد النور، وأسئلة عزّ الدين** وغيرهم من فتاوى المتأخرين من أئمة المالكين من المغاربة الإفريقيين ممن أدركناه وأخذنا عنه أو غيره ممن نقلوا عنهم ، وغير ذلك مما اخترناه، ووقعت به فتوانا أو اختاره بعض مشايخنا، ونغزو كل مسألة إلى من نقلتها عنه غالبا، وما لا نغزو فيه فقد نقلته من كتب مشهورة مما اختصرته أو رويته"[1].

د- أما فتاوى ابن رشد الجد بالمقارنة بينها وبين أجوبة سحنون ونوازل أصبغ والبرزلي:

فقد تميّزت بمجموعة من الخصائص منها ما يلي:

ــ هي عبارة عن مسائل واقعية جدا إذ يمكن تصنيف محتواها ، إلى نوازل قضائية شملت في اغلب الأحيان نزاع مرفوع إلى القاضي، الذي بدوره يعرضها على اللجنة الاستشارية أو المشاور ليدلوا فيها برأيهم و الحكم فيها بأحكام الشرع بناءً على الحجج و الأدلة ، و نوازل غير قضائية فضل فيها حل النزاع وفق مشورة فقيه مشاور ، كما شملت شروح من الكتب المتداولة، أو فتاوى كشرح النصوص من "**المدونة**" **أو** "**العتبية** "أو "**الواضحة**" أو "**النوادر والزيادات**" وغيرها من أمهات الكتب ، كما شملت شرح للنصوص من **القرآن والسنة النبوية** ،كما ضمت بين دفتيها فتاوى تتصل بالنزاع بين الفرق الكلامية كإثبات الكرامة وإنكارها و غيرها من القضايا، كما شملت الفتاوى موضوعات ملخصة ، تنوعت بدورها ومنها ما قدمه "**ابن رشد الجد**" في دروسه "**للمدونة**" وكذلك الموجودة في مسائله و في كتابه "**المقدمات**" ،و منها ما هو سؤال موجه من شخص أو جماعة بعد نقاش في

[1] البرزلي: **جامع مسائل الأحكام** ، ج1، ص61.

موضوع فكري أو فقهي أو عقائدي.[1] على خلاف" **نوازل الأحكام لأبي الأصبغ بن الفرج**" التي تقيّدت بالنوازل القضائية فقط، و"**أجوبة محمد بن سحنون** "التي طغى عليها الافتراض[2].

ـ التعامل مع السنة النبوية مثلها مثل أجوبة "**محمد بن سحنون**"، لكنّ "**ابن رشد**" انفرد بتخريج الأحاديث، وتحقيق المصادر، ونقد الرواة في بعض الأحيان، وعلى عكس نوازل "**ابن سهل**" "التي عرفت بضعف تعاملها مع السنة النبوية.

ـ أعطى "**ابن رشد الجدّ**" طريقة مثالية للاستفادة من التراث وذلك عن طريق عرض آراء الفقهاء والترجيح بينها، دون أن يمنع الاجتهاد والنظر وابتكار الحلول المناسبة للمسائل المستجدة، على خلاف نوازل "**عيسى بن سهل** "رغم مشاركته ابن رشد الجدّ له في الاستدلال والاعتماد على سوابق القضاء والفتيا ، كما يلاحظ التشابه بين "**مسائل ابن رشد الجدّ**" و"**أجوبة محمد بن سحنون**" في تحصيل الفقه[3].

ـ تمثل نوازل البرزلي بالنسبة لفتاوى "**ابن رشد الجدّ**" استمرارا لها ، وتجسيدا لمنزلتها لدى الفقهاء المالكية بعده، وذلك لأنّ نوازل البرزلي نقلت الكثير من مسائل ابن رشد الجدّ بلفظها تارة وباختصارها تارة أخرى، ويمكن اعتبارها شرحا مفصلا لمسائل "**ابن رشد الجدّ**" ، وبذلك فهي تعتبر تطوّرا جديدا في فقه النوازل بمنطقة **الأندلس والمغرب** على حدّ سواء، لأنّها أخرجت الفقه من دائرة الاستفادة من التراث عن طريق المقارنة ، واستغلال سوابق القضاء إلى مرحلة إعادة كتابة فتاوى المتقدمين وتلخيصها، لتكون فيما بعد سجلا للفتوى والقضاء ومرجعا هاما للمهتمين بهذا المجال، إلاّ أنّ البرزلي تميّز كفقيه في تخريج هذه الفتاوى والأحكام بناء على أصول المذهب المالكي، وميّز ما خرج

[1] ابن رشد: **المسائل**،مج1،ص 92-93.

[2] ابن رشد ، نفس المصدر،مج1، ص ص114-115.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق،مج1، ص115.

من أصوله، فسماه شاذا عقد له بابا خاصا سماه" **جامع مسائل شذت عن المسائل المتقدمة**"، وبذلك يكون قد أسّس لمدرسة جديدة خاصة به ميّزته عن سائر فقهاء عصره الذين قلّدوه في الاعتماد عليها، "**كالونشريسي صاحب المعيار** "، و"**محمد المهدي الوزاني صاحب المعيار الجديد**"[1].

4ـ مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس والمغرب من خلال فتاوى ابن رشد:

تعرض فتاوى" **ابن رشد الجد**" صورا من مجتمع المدن الأندلسية خلال عصري الطوائف والمرابطين ، كما تكشف عن بعض المظاهر الاجتماعية في البيئة المغربية والأندلسية ،كطبقات المجتمع وقضايا الأسرية، وعادات وتقاليد أندلسية ، فضلا عن العلاقات بين طبقات المجتمعّ، كما لمحت إلى المذاهب والفرق الدينية في المجتمع الأندلسي ،حيث اتصفت هذه الفتاوى بكونها فتاوى نوازلية واقعية ،فضلا عن كونها فتاوى فقهية بالدرجة الأولى ،ومن هذه المظاهر التي تبينها ما يلي:

أ–الأسرة ومشكلاتها :

تشير نوازل "**ابن رشد الجد**" للعديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بالزواج والطلاق والحياة الأسرية بصفة عامة ، حيث تبرز العلاقات الزوجية والعائلية في حالات الهدوء والغضب والتفاهم وعدم الرضا في نفس الوقت[2]، كما تقدم صورة المرأة الأندلسية و هي في حالة غير مساوية بالرجل و خاصة في قضية الرشد والترشيد التي فصّل فيها" **ابن رشد**" تفصيلا مطوّلا في مسألة سئل فيها عن أحكام القاصر والسفيه، معرّفا الرشد وتقسيماته قائلا: "فأما الرشد فحدّه حسن النظر في المال

---

[1] ابن رشد : **المسائل**،مج1، ص115-116.

[2] ابن رشد، نفس المصدر، مج2، ص842.

ووضع الأمور في مواضعها ... وهو يخفى ولا يدرك معرفته إلا بطول الاختبار في المال والتجربة له فيه ، ولهذا المعنى وقع الاختلاف بين أهل العلم في الحدّ الذي يحكم فيه للإنسان بالرشد ، ويدفع إليه ماله ويمكّن من التصرف فيه"[1] ، وقد قسم **ابن رشد الجدّ** أحوال الرشد والسفه إلى أربعة أقسام وهي:

1ـ حالة الأغلب على صاحبها السفه ،فيحكم فيها بحكمه وإن ظهر رشده .

2 ـ حالة الأغلب على صاحبها الرشد ، فيحكم له فيها بحكمه ، وإن ظهر سفهه.

3 ـ وحالة محتملة للرشد والسفه، و الأظهر فيها السفه، فيحكم له فيها بحكمه ما لم يظهر رشده.

4 ـ وحالة محتملة للرشد والسفه ، والأظهر فيها الرشد ، فيحكم له فيها بحكمه، ما لم يظهر سفهه.[2]

ورد في إحدى المسائل أن رجلا سفّه بناته وتركهن على ولايته، ولم يرشدهن إلا بعد الزواج ومضي سبع سنوات من الدخول ، وكان قد حبس لبنيه الذكور في مرضه داره مع أرض له ، فلما رفع الأمر إلى "**ابن رشد**" قال:"إذا بقي البنات مع أزواجهن من المدة ما ذكرت فهن محمولات على الرشد"[3] ،كما رفع "**لابن رشد الجدّ** "من مدينة **إشبيلية** مسألة في رجل كان محجورا عليه من قبل قاض من القضاة ، ثم توفي فقدّمه قاض آخر للنظر على يتيم ، هل يخرجه ذلك من الحجران أم لا ، فأجاب ابن رشد بقوله:" إذا ثبت أنّ الرجل الذي قدّمه القاضي على اليتيم محجورا عليه ، بتقديم قاض آخر قبله عليه، باطل على التقديم ولم يخرج به من الحجران إن علم بالسفه أو جهلت حاله ولم

---

[1] ابن رشد، **المسائل** ، مج1، ص289.

[2] ابن رشد ، نفس المصدر، مج1، ص290.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2،ص850.

يعلم برشد ولا سفه ، أما إن علم بالرشد، فلذي أقول به في هذا ... أن يكون بتقديم القاضي إياه على اليتيم خارجا من الحجران مراعاة لمذهب ابن القاسم، وأحد قولي مالك في أنّه لا يعتبر بالوَلاية على اليتيم إذا علم رشده ". [1]

كما تبرز الفتاوى ظاهرة **السياقة** المفروضة على الزوج عند الزواج والتي يسوقها لزوجته كهدية[2] ،وقد تكون بيتا أو قطعة أرض وغيرها من الأشياء الغالية الثمن، و التي كان يعجز الزوج عنها في بعض الأحيان مما يجعله يكذب ويعد الزوجة بشيء لا يمتلكه وهذا ما نلمسه في مسألة ذكر فيها:" أنه من الغرر في الصداق أن يتزوج الرجل المرأة بأرض ...ولا يسمي موضع الأرض ولا حدودها ولا ذرعها ولا تعرف بعينها ولا توصف مجالها ،ويفسخ به النكاح بعد البناء"[3].

كما سئل "**ابن رشد الجدّ**" عن إذا كان الجهل في السياقة جهل في الصداق أم لا وقد سأله هذا السؤال تلميذه الفقيه" **أبو مروان بن مسرة**" أثناء توليته قضاء الأحكام ونص السؤال يقول:" وساق الناكح فلان لزوجته فلان دارا بقرية كذا وتَكْسِيرِ (مساحة أرض) ثلث مدي من أرضه ، نصفه في الأرض البيضاء و نصفه في الزيتون "، وحدثت مناقشة بين "**ابن رشد الجدّ**"، و"**ابن مسرة**" خصوصا أن الزوجة كانت جاهلة للقرية التي ساق لها فيها زوجها الأرض والزيتون ،ولم تكتب مساحتها وصفاتها في كتاب الصداق ، فاعتبر ابن رشد ذلك الحكم حكم النكاح الفاسد لصداقه ، والسياقة جائزة على أن يتم تعيينها وتعويضها بالمال إن لم توجد"[4].

---

[1] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص ص1222-1223.

[2] محمد حجي، **نظرات في النوازل الفقهية**، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب1999م ،ص184.

[3] ابن رشد: **المسائل**،ج2، ص968.

[4] ابن رشد : **المسائل** ، ج2، ص965و ما بعدها.

كما سئل في نفس الموضوع (**الصداق والسياقة**) أنّه كثر في البلاد الأندلسية أنّ كل ناكح أو من يريد الزواج ، يسوق صداقه سياقة من جملة الصداق ، وفي بعض الأحيان تكون غير معلومة ولا محدودة ، فتعود بجهل في الصداق، فما الحكم في ذلك قبل البناء وبعده؟[1] ،**فقال ابن رشد** :" أنّ النكاح الذي انعقد على سياقة غير محدودة في كتاب الصداق جائز، لا يفسخ قبل البناء وبعده من أجل إهمال تحديدها في كتاب الصداق، إن كانوا عرفوا ذلك ولم يدخلوا به على جهل ."[2]

ومن العادات والتقاليد الأندلسية التي كانت سائدة أيضا في تلك الفترة ، أنّ الزوج في بعض الأحيان كان يطالب الأب بأن يجهز ابنته بقدر السياقة التي يسوقها لها ، وهذا ما دلت عليه إحدى المسائل المرفوعة إلى "**ابن رشد الجدّ**" من **مدينة شلب،** فيما عرف من عادات الزواج في بعض مناطقها ، ومن هذه العادات أنّ الزوج منهم يسوق لامرأته جزء من أملاكه ، والعرف عندهم والعادة أنه من ساق منهم لزوجته ذلك الجزء من أملاكه، فإنّه لابد لوالد الزوجة أن يبرزها إلى زوجها من مال نفسه هبة وعطية لها بما يفي المقدار الذي ساقه لها زوجها، وبما يزيد عليه، وهذه العادة من عادات المنطقة الثابتة المتوارثة منذ القدم ، فتزوج رجل من أهل هذه المنطقة بامرأة كفؤا له ، ومن نفس منطقته فساق لها من ماله ما جرت به العادة ، وكان والد ها من أهل الثروة والحال ، فذهب بعد تلك السياقة التي ساقها لابنته زوجها، أن أبرز ابنه فقيرة دون أن يمنحها شيء مما جرى عليه العرف[3].ما تراه وفقك الله، وهل ترى أن العرف كالشرط ؟ **قال ابن رشد:**" إذا أبى الأب أن يجهّزها

---

[1] ابن رشد :**المسائل**،مج2، ص، 1244.

[2] ابن رشد ، نفس المصدر، مج2، ص1247.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق ،ص ص، مج2 1260-1261.

إليه بما جرى به العرف والعادة أن يجهّز به مثلها إلى مثله، على ما نقدها وساق لها ،كان بالخيار بين أن يلتزم بالنكاح أو يرده عن نفسه، فيستردّ ما نقد ..."[1].

ولقد حدثت مشاكل كثيرة أدت في الكثير من الأحيان إلى الطلاق بسبب السياقة التي كانت ظاهرة من ظواهر المجتمع الأندلسي، وولكن ربما كانت هذه الظاهرة من أجل حماية المرأة في حالة الطلاق أو تعدد الزواجات ،كما تدل على انتشار الغنى عند سكان **الأندلس** وعلى عنايتهم بالزواج ومغلاتهم في المهور[2]، حيث وردت فتاوى أخرى كثيرة في هذا الشأن[3].

كما أشارت إحدى الفتاوى إلى ما يشبه التمليك في الطلاق ، حيث سئل "**ابن رشد الجدّ**" من بعض مناطق الأندلس عن مسألة تشبه التمليك في الطلاق في رجل وقع له مع زوجته خلاف أدى إلى شجار فيما بينهما فقالت له زوجته بأنها لا تحب البقاء معه على هذه الوضعية ، فقال لها إن شئت ، فقالت المرأة على زعم الرجل : قد تركتك،فاعتبرها الزوج في حال قولها طلاقا ، فأنكرت ذلك وحلفت على أنها ما أرادت به طلاقا ، فكان جواب " **ابن رشد الجدّ**" على ذلك بقوله:" إن كان الزوج لم يرد تمليك زوجته الطلاق بقوله لها إن شئت، جوابا على قولها قد تركتك شيء، وإن كان قد أراد بقوله ذلك تمليكها الطلاق لزمه بقولها قد تركتك، ثلاث تطليقات إلا أن يناكرها فيما فوق الواحدة، فيحلف على ذلك ولا يلزمه سواه، وهو مصدق في أنه لم يرد بذلك تمليكها الطلاق."[4]

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج2، ص، 1262.

[2] محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**،ص185.

[3] ابن رشد : **المسائل**، مج2،ص965وما بعدها.

[4] ابن رشد ، نفس المصدر، مج2، ص843.

كما أشارت إحدى الفتاوى إلى أنه في حال تضرر الزوجة من زوجها سواء بالضرب أو الكلام الفاحش أو بما لا تستطيع الصبر عليه فلها تركه ، بشرط أن ترجع له كل ما ساقه لها من أموال سواء كانت قطعة أرض أو بيت وغيرها.[1]

ومن الأمور التي كانت تسبب مشاكل أسرية أن الزوج كان يحلف في بعض الأحيان للزوجة في كتاب صداقها بعدم الزواج عليها ، وإن تزوج عليها فكل داخلة عليها طالق الأمر الذي سبب له مشاكل كان في غنى عنها ، هذا ما أشارت إليه مسألة رفعت إلى القاضي **ابن رشد الجدّ.**[2] كما أشارت بعضها إلى رجل وعد زوجته بأن لا يغيب عنها لأكثر من مدة معينة فإن فعل فأمرها بيدها فرفع الأمر لابن رشد الجدّ لأن الزوجة فضلت أن تأخذ بخيار الغيبة بعد قدوم الزوج.[3]

كما أشارت إحدى الفتاوى إلى الفرق بين نفقة الأبوين ونفقة الزوجة، حيث ذكر فيها أن الرجل إذا غاب وخلّف أصلا، وقام أبواه بعدم الإنفاق ، أن الحاكم لا يبيعه عليه ولا يخرجه من يده " ، كما ذكر" **ابن رشد الجدّ"** أن نفقة الأبوين كانت ساقطة عنه ، فلا تجب عليه لهما حتى يطالباه بها فإذا غاب عنهما لم يصح أن يحكم لهما عليه بما في مغيبه، وتباع عليه فيها أصوله لاحتمال أن يكون في ذلك الوقت قد مات وقد استدان من الديون ما يغرقها ، ويكون أحق بهما من نفقتهما، وذلك بخلاف نفقة الزوجة ، فالفرق بينهما أن نفقة الأبويين ساقطة حتى يعلم وجوبها بمعرفة حياته، وأنه لا دين عليه، وأن نفقة الزوجة واجبة حتى يعلم سقوطها بمعرفة موته أو استغراق ذمته بالديون"[4].

---

[1] ابن رشد، المصدر السابق، مج2، ص844.

[2] ابن رشد : **المسائل**، مج1، ص698.

[3] ابن رشد ، نفس المصدر ، مج ،ص698 وما بعدها

[4] ابن رشد ، المصدر السابق ، مج1، ص526.

يفهم من هذه المسألة أن الرجل إذا غاب لفترة طويلة ، بحيث لا يعلم له مقر أو مكان أو بلد وترك بموطنه أرضا أو دارا أو عقارا، فإن القاضي لا يسمح للأبويين أو الزوجة (الأشخاص الذين تجب نفقتهم عليه)بيع أصوله وأملاكه ،لأنه لم يعرف حياته من موته، أما إن تأكدوا من حياته وأنه ليس عليه دين فيصح لهم التصرف في بعض أملاكه إن احتاجوا للنفقة.

ب ـ الأحباس:

كان للحبس أو الوقف دورا مهما في توفير الرعاية الاجتماعية بالأندلس ، تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام ، فالأحباس من الصدقات الجارية وأعمال الخير التي يبتغي الواقف من ورائها مرضاة الله وثوابه، ولقد تنوعت الأحباس **بالأندلس** بتنوع احتياجات المجتمع ، كان من أهمها الحبس على المساجد والأربطة ، الأولاد ، الفقراء ، المساكين والمرضى.

ولقد أشار "**ابن رشد الجدّ**" للعديد من هذه الأحباس باختلاف أنواعها، ومن ذلك **أحباس المساجد** بالأندلس، التي ذكرت الفتاوى الفقهية الكثير منها ،ومن ذلك ما ورد في مسألة حول حبس معقبّ مع اشتراط المرجع على مسجد معيّن ، أي أنّ رجلا حبس على بنيه وعلى عقبه من بعده ، فإن لم يوجد له عقب رجع الحبس إلى المسجد الذي في بلده، ولم يسمّ نوع الحبس الذي قام بتحبيسه[1]، كما أشارت إحدى المسائل إلى ناظر الأحباس في المساجد وتصرّفه في غلّته، وتصرّفه فيما يخصّ شؤونه ومصاريفه، وبيّنت أنه لا يكون ذلك إلاّ بإذن القاضي بعد أن يثبت عنده وجهة نظره في ذلك[2].

[1] ابن رشد، **المسائل**، مج2، ص1213.

[2] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص ص1213-1214.

كما أشارت إحدى المسائل إلى أنّ بعض أحباس المساجد كانت تزيد أحيانا عن حاجتها أيّ بعد إصلاح المسجد ورمه ودفع رواتب العاملين فيه من إمام ومؤذّنين وناظر أو المشرف على الحبس، فأشار ابن رشد الجدّ إلى أنّه لا يجب استنفاذ غلة المسجد ، وإنّما توقف لما يحتاج إليه في نوائبه[1].

فضلا عن أحباس المساجد أشارت إحدى النوازل إلى وجود العديد من الأحباس التي حبست لدفن موتى المسلمين ، ومن ذلك ما رفع لابن رشد الجدّ في شأن رجل من **كورة غليرة** حبس أرضا لمقبرة[2].

كما أشارت فتاوى ومسائل "**ابن رشد الجدّ**" إلى أحباس حبست على أربطة وثغور إسلامية ، من بينها ما أشارت إليه مسألة حول تحبيس ما أصله أملاك عامة باعها "**المعتمد بن عباد**" واسترجعها "**يوسف بن تاشفين**"، حيث كتب" **لابن رشد**" من **جزيرة طريف** في رجل مرض مرض الموت ولا ولد له ولا ولد ، وكانت له أملاك كثيرة ، من بينها فندقين أوصى بحبسهما على ثغر من ثغور المسلمين (حدّده ولم يذكر اسمه) ، تنفق غلّتهما على ذلك الثغر[3]، كما أشار **ابن رشد** في سؤال آخر حول قصة هذا الرجل فذكر أنّه فضلا عن الفندقين ،حبس إسطبل وحوانيت على ذلك الثغر من ثغور المسلمين[4].

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، ص1135؛ ابن رشد ، المصدر السابق، مج1، ص521.

[2] ابن رشد: **المسائل**، مج2، ص1239.

[3] ابن رشد، نفس المصدر، مج2، ص1197.

[4] ابن رشد ، المصدر السابق، مج 2، ص1247 وما بعدها.

كما أشارت فتاوى" **ابن رشد الجدّ**" إلى أحباس حبست للمرضى المجذومين والعميان ، وهذا ما لمسناه في مسألة رفعت إليه من **غرناطة** ، في رجل حبس حبسا مؤبدا لابنيه وبنيه من بعده ، مع اشتراط إن لم يكن له عقب رجع الحبس إلى المرضى المجذومين والعميان بغرناطة[1].

أما الأحباس على أفراد الأسرة فلقد كثرت بالأندلس ،وهذا ما أشارت إليه العديد من المسائل المتعلقة بهذا الشأن ، أي الحبس على الأولاد وأولاد الأولاد والزوجات وغيرهم من الأقارب. ومن ذلك أنّ رجلا من **مدينة دانية** حبس أملاكه على ابنته وعقبها [2]، كما كتب أحد الفقهاء المشاورين من مدينة **جيان لابن رشد الجدّ** سنة **513هـ/1120م** ، يسأله عن رجل حبس ملكا على ابنيه ومن عقبهما من بعده [3]، وهذا ما أشارت إليه نازلة أخرى من مدينة **جيان** أيضا في رجل حبس حبسا مؤبدا لابنته وكل ولد لها من ذكر أو أنثى ، وأعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا[4].

نستنتج من خلال تناول بعض فتاوى **ابن رشد** المتعلقة بالأحباس على مايلي:

1ـ كان يتولى أحباس المساجد ناظر للأحباس ، يساعده بعض المشرفين والكتاب والجباة ، حيث كان يعمل تحت إمرة القاضي ، ولا يتصرّف في أحباس المسجد إلا بإذنه.

2 ـ أن الناظر وأعوانه من عمال وموظفي المسجد من إمام ومؤذّنين كانوا يتقاضون رواتبهم من غلة الأحباس.

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج1، ص546.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق، مج1، ص145.

[3] ابن رشد، **المسائل**، مج2، ص 910.

[4] ابن شد ، نفس المصدر، مج1، ص541.

3 ـ كثرة الأحباس على أفراد الأسرة بالأندلس أي الحبس على الأولاد والأولاد الأولاد والزوجات والأقارب ، ربّما كان ذلك من أجل تأمين الحياة الكريمة لهم، أو الحفاظ على بعض الممتلكات من الاغتصاب والنهب ، هذا ما ذهب إليه كما أبو مصطفى لما تحدّث عن الأحباس على أفراد الأسرة بالمغرب[1]،لكن من جهة أخرى يمكن أن يسبب ذلك مشاكل بين الورثة.

4 ـ اهتمام الأندلسيين بالمرضى والمجذومين والعميان ، فخصصوا لهم أحباسا خاصة بهم ، كما اهتموا بتخصيص أحباس للأربطة والثغور الإسلامية وهذا ما يدل على اهتمامهم بالجهاد وحماية الحدود الإسلامية المتاخمة للعدو.

ج/ بعض فئات المجتمع:

تعرّض" **ابن رشد الجدّ"** ضمن فتاويه لبعض الفئات والطوائف الاجتماعية بالأندلس والتي من خلالها نستدل على الدور الذي كانت تقوم به في الحياة اليومية ، أهمها طائفة الفقهاء الذين كانوا يشكّلون طبقة هامة في المجتمع الأندلسي ، فلقد كانوا المتزعمين الحقيقيين لشعبهم، الرافعين شكاويهم للقضاة والسلطات الحاكمة ، وهذا ما لمسناه في العديد من المسائل التي أشار إليها ابن رشد الجدّ ،منها مسألة وقعت بإقليم **باقة** رفعت إليه من طرف فقهاء مفتين [2]، والفقيه المحدّث **القاضي عياض** الذي رفع الكثير من شكاوى العامة لشيخه ابن رشد الجدّ مما سبق ذكره [3]،كما أشارت إحدى المسائل إلى فقيه مشاور من مدينة **شلب** رفع عددا من أسئلة العامة لابن رشد الجدّ[4].

---

[1] كمال أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص32.

[2] ابن رشد ، **المسائل**، مج2، ص1209.

[3] أنظر أمثلة حول ذلك : ابن رشد: نفس المصدر، مج2، ص866؛ ابن رشد ، نفس المصدر ، مج2، ص912؛ ابن رشد ، نفس المصدر ، مج2، 960؛ ابن رشد، نفس المصدر ، مج2، ص1006.

[4] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2،ص746.

والجدير بالذكر أنّ طبقة الفقهاء والقضاة تمتعوا بمركز عال ومرموق في ظلّ دولة المرابطين التي حرصت على استمالتهم وتوثيق أواصر العلاقات معهم لضمان مساندتهم لها ، ودعمهم للسلطة المرابطية بالأندلس، مما أدى إلى ازدياد ثرائهم ، حيث أشارت" **فتاوى ابن رشد الجدّ**" إلى بعض الأسر الثرية المنتمية إلى طبقة الفقهاء منها أسرة "**الفقيه سفيان بن العاصي الأسدي**" ، القاطنة **بقرطبة** والذي كان من الفقهاء وأهل العلم فيها، أما أخوه "**محمد بن العاصي الأسدي**" ،فكان من أعيان بلدهم **مربيطر** ومن ذوي الأملاك فيها فتذكر الفتاوى أنه التزم بعد أداء فريضة الحج على تثمير عقاره ، والنظر فيه بما ينمي غلّته، ولقد انتشر عنه في بلده سعة الحال[1].

وقد أشارت الفتاوى أيضا إلى بعض **البيوتات الكبرى في الأندلس** خلال عصري الطوائف والمرابطين ، والتي تنتمي إلى الطبقة الخاصة أو ما يسمى بالطبقة الارستقراطية ، وكان معظم أفراد تلك العائلات الكبيرة يتمتعون بالوظائف العالية في خدمة الدولة وقد تمكنوا من تكوين ثروات طائلة فضلا عن الممتلكات من العقارات والضياع[2] .وتعدّ أسرة" **بني زهر**" من الأسر الشهيرة التي ذكرتها فتاوى "**ابن رشد الجدّ**" ، وهي من الأسر التي كانت تقطن **اشبيلية** في عهد دولة "**بني عباد**"، وتمتعت بنفوذ كبير بها، علاوة على الجاه والتميّز العلمي خصوصا في المجال الطبي، فتذكر إحدى الفتاوى أنّ أسرة بني زهر كانت تمتلك الضياع الواسعة والفنادق[3].

والمعروف أنّ بنو عباد حكام اشبيلية تخوفوا من هذه الأسرة مما دفعهم إلى مصادرة أملاكهم بها ، فرحل محمد بن مروان بن زهر إلى **شاطبة** بشرق **الأندلس** وأقام بها بقية عمره، بالرغم من أنّ

---

[1] ابن رشد : **المسائل،** مج2، ص772وما بعدها؛ أبو مصطفى كمال السيد : **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة** ، ص ص12-13.

[2] أبو مصطفى كمال السيد : **دراسات أندلسية** ، ص9.

[3] ابن رشد :**المسائل** مج1، ص275وما بعدها.

العلاقات بين بني عباد وأسرة بني زهر قد تحسنت حيث استمال المعتمد بن عباد زهر بن عبد الملك بن زهر لبراعته في الطبّ ،وحثّه على العودة إلى بلده **إشبيلية** وأعاد إليه بعض أملاك أسرته بها، إلا أنّ ابن زهر لم يستقر بها إلا بعد خلع المعتمد ، حيث استدعاه "**يوسف بن تاشفين**" إلى العاصمة مراكش واستقبله استقبالا حارا، وازداد نفوذه في عهد **علي بن يوسف** حيث صار من أهل العقد والحلّ ومن ذوي الرأي والمشورة القضائية في **إشبيلية**.[1]

كما ألمحت فتاوى" **ابن رشد الجدّ**" إلى فئة من فئات المجتمع الأندلسي، وهم الجند من المرابطين ،وإلى مستواهم المعيشي حيث كانوا يتمتعون بمركز اقتصادي واجتماعي مرموق ومستوى معيشي مرتفع حيث كانوا يتقاضون رواتب عينية تعرف بالبراءات وهي عبارة عن كميات من الطعام أو الحبوب يصرفها أمير المرابطين للجند في الثغور والحصون ، وفي بعض الأحيان كان الجند المرابطين يبيعون تلك البراءات إلى أهل الأندلس قبل قبضها مما دفع" **ابن رشد الجدّ**" إلى الإفتاء بأنّه لا يجوز للجند المرابطين وغيرهم بيع الطعام المرتب لهم على خدمتهم وعملهم[2] .

يستنتج من هذه النازلة أنّ عطاء الجند المرابطي كان أكثر من عطاء الجند الأندلسي ولعلّ مثل هذا التمييز يفسّر جانبا من مظاهر القلق الاجتماعي الذي كان الأندلسيون يشعرون به اتجاه المرابطين ، ولعله يبرر أيضا ثورات أهل **الأندلس** على المرابطين في نهاية عهدهم[3].

ومن الطبقات التي لعبت دورا مهما في المجتمع الأندلسي طبقة **الرقيق أو العبيد** ، التي تعرّضت لها فتاوى "**ابن رشد**" بكثرة ، فلقد أشارت العديد من المسائل إلى ظاهرة عتق العبيد أو الرقيق في المجتمع الأندلسي ، منها ما أشارت إليه مسألة شرح فيها ابن رشد الجدّ نصا من كتاب

---

[1] أبو مصطفى كمال السيد :نفس المرجع، ص ص10-11

[2] ابن رشد: **المسائل**،مج2، 1288 وما بعدها.

[3] أبو مصطفى كمال السيد: **دراسات أندلسية**، ص14.

التلقين للقاضي عبد الوهاب في عتق العبد[1] ، ومسألة أخرى حول تتميم العتق[2]، كما أشار ابن رشد الجدّ في إحدى المسائل إلى تزويج العبد أو الأمة وشروط ذلك إذا كانوا لشركاء عدة[3]، كما رفعت "لابن رشد الجدّ" مسائل فقهية كثيرة تتناول مشاكل مختلفة تتعلّق بالرق ، منها ما رفع إليه في شأن عبد اشتري من بيع فاسد[4]، والأولوية بين العتق والدين[5] وعتق المفلس[6]، وإثبات العتق بالكتابة بعد وفاة المعتق[7]، وعيرها من المشاكل الكثيرة في هذا الشأن، كما أشار" **ابن رشد الجدّ**" إلى نوع آخر من العبيد ألا وهو **العبيد الأبيض أو العلج**، وذلك في مسائل سئل فيها عن أسير، لم يوجد له سبيل لفك أسره غير استبداله بعبد من العلج[8]، وذلك لارتفاع قيمتهم في سوق الرقيق، وهذا ما أشارت إليه مسألة أخرى في نفس المضمون حول هبة علج لفداء أسيرين مسلمين بدار الحرب[9].

كما يمدنا "**ابن رشد الجدّ**" بإشارات مهمة وقيّمة عن **أهل الذمة** وأوضاعهم في المجتمع الأندلسي ، من بينهم **اليهود والنصارى** الذين كانوا ينعمون بنوع من التسامح في التعامل معهم من طرف المسلمين ،حيث لعب اليهود دورا مزدوجا بين المسلمين والنصارى في الأندلس[10] ،هذا ما أشارت إليه عدة مسائل من بينها مسألة حول بيع دار وحصة من بئر مشتركة ليهودي ومسلم[11]،

[1] ابن رشد : **المسائل**،مج1، ص477.
[2] ابن رشد : نفس المصدر ، مج1، ص481.
[3] ابن رشد، المصدر السابق، مج2 ، ص718ما بعدها.
[4] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2، ص780وما بعدها.
[5] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج2، ص788.
[6] ابن رشد : **المسائل** ، مج2،ص895.
[7] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2،ص958.
[8] ابن رشد : **المسائل** ،مج1، ص516.
[9] ابن رشد ، نفس المصدر،مج2، ص929.
[10] عباس سعدون نصر الله: **المغرب والأندلس في عهد المرابطين** ، ص188.
[11] ابن رشد : **المسائل**، مج1، 530.

وأشارت أخرى إلى التعامل بين الذمي والمسلم وشروطه[1]، وغيرها من المسائل الكثيرة.

د ـ العادات والتقاليد والأعراف:

أشار ابن رشد الجدّ من خلال بعض النوازل والفتاوى الفقهية للعديد من العادات والتقاليد والأعراف الأندلسية والمغربية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ومن ذلك اللثام عند المرابطين الذي كان من عادتهم المتوارثة أبا عن جدّ ، حتى اعتبر زيهم الذي يميّزهم عن غيرهم من الشعوب ، حيث سئل "**ابن رشد الجدّ**" عما نشأ عليه المرابطون من التلثيم الذي هو زيّهم ، هل يجب عليهم التزامه، ..؟ أم هو مكروه لهم يستحب لمن مال إلى العبادة منهم ان يطرحه، أم لا يستحب له ذلك؟، فأجاب قائلا: " لقد خلق الله الخلق أجمعين وجعلهم شعوبا وقبائل وباعد بينهم في البلاد وخالف بينهم في الأزياء ، والهيئات ، فلا يجب على أحد منهم الرجع عما اختاره في زيّه وهيئته إلى زيّ سواه، وهيئته، لأنّ ذلك من قبيل الجائز المباح للعباد، ... والتلثيم للمرابطين هو زيّهم الذي اختاروه لأنفسهم ونشئوا عليه وتوارثوه ودرجوا عليه، سلفا عن خلف، فلا كراهة فيه، بل يستحب لهم التزامه والمحافظة عليه ، ويكره لهم مفارقته لأنّه شعارهم الذي تميّزوا به عن سائر الناس، في أول أمرهم، إذ قاموا بدعوة الحقّ ، ونصرة الدين، ..."[2]

ومن جهة أخرى أوضحت نوازل وفتاوى "**ابن رشد الجدّ** "العديد من العادات والتقاليد التي تختص بالأعياد والاحتفالات بالمغرب والأندلس، من بينها أعياد تتعلق بأهل الذمة ، حيث شاركوا

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق ، ج2، ص862.

[2] ابن رشد، **المسائل**، مج1، ص854وما بعدها؛ الونشريسي، **المعيار**، مج1، ص225؛ابن عبدون : **رسالة في القضاء والحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955؛ مصطفى أبو كمال، المرجع السابق، ص41.

النصارى في الاحتفال بعيد النيروز و العنصرة[1] ، وهو أول يوم في السنة الشمسية عند الفرس، فلقد أشارت إحدى الفتاوى الفقهية إلى احتفال الأندلسيين به بالرغم من اعتبار الفقهاء له من البدع حيث كانت تباع صور وألعاب خاصة بهذا العيد والتي أفتى الفقهاء بعدم جواز شرائها بالنسبة للمسلمين[2].

ومن البدع التي كانت موجودة في تلك الفترة السحر والشعوذة واستطلاع الغيب بواسطة خطّ الرمل والحساب في التراب والتي اعتبرها ابن رشد الجدّ مشاركة لله في علم غيبه و اعتقادات مظلة [3]، كما أشارت عدة فتاوى فقهية إلى ما بني من السقائف والقبب والروضات في مقابر المسلمين والتي تخالف السنّة ، والتي اعتبرها **ابن رشد الجدّ** من البدع المنهي عنها في شريعة الإسلام[4].

أما بالنسبة للأزياء الأندلسية ، فأشارت فتاوى فقهية إلى بعض ألبسة النساء، كالغفارة وهي ما تغطي به المرأة رأسها، والملحفة القطنية والثياب المحشية بالقطن، والتي كانت تلبس في الشتاء للوقاية من البرد، هذا ما أشارت إليه مسألة فقهية حول الغشّ في بيع الملابس البالية[5] ، والغشّ في الثياب المحشية[6].

---

[1] ويعرف بعيد المهرجان في فصل الربيع ، وقد ورد ذكر النيروز في الكثير من القصائد عرفت باسم النيروزيات ، والعنصرة موسم للنصارى مشهور ببلاد الأندلس، ويقال أنّ في يومه، حبس الله الشمس على **يوشع بن نون** ولد **يحي بن زكريا عليهما السلام** .
أنظر : عبد العزيز بنعبد الله : **معلمة الفقه الإسلامي** ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ص276.

[2] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص834.

[3] ابن رشد ، نفس المصدر،مج1، ص204.

[4] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، 1093-1094.

[5] ابن رشد، نفس المصدر، مج2،ص823.

[6] ابن رشد ، نفس المصدر، مج 2، ص822.

5ـ مظاهر الحياة الاقتصادية بالمغرب والأندلس من خلال فتاوى ابن رشد:

أ ـ الزراعة والصناعة:

1ـ الزراعة :

أ – الزراعة و الريّ: يتضح من خلال فتاوى"**ابن رشد الجد**" أن مصادر السقاية في الغرب الإسلامي (**المغرب والأندلس**) هي الأمطار والعيون والآبار والأنهار[1] والسدود[2] ،حيث تمدنا بعض الفتاوى بمعلومات قيمة عن نظام الري بالأندلس والانتفاع المشترك من ماء البئر بين العامة، والسقي بالتناوب ، فلقد كان ببعض مناطق الأندلس عيون مشتركة يسقون منها بساتينهم ومزارعهم ، كما جرت العادة بهذه المنطقة أنّ الأهالي يستخدمون ويجرون سواقي من مجرى النهر عند احتياج الماء لسقي أراضيهم ، وقد تكون هذه الساقية ملكية خاصة أيّ ملكا للشخص الذي أجراها من منبعه الخاص، وقد تكون ملكية مشاعة إن أجريت من ماء الأودية والأنهار.

وهذا ما لمسته في نوازل عدة سئل عنها "**ابن رشد الجدّ**" من بينها، إذا كان التنازل عن فضل ماء السقي يكسب حقّ الملكية للمستفيد أم لا، حيث أشارت هذه المسألة إلى رجل حفر بئرا في أرضه، وسقى بهاز روعه أعواما عدة ، وكان بجواره أراض لأشخاص آخريين حسدوه في الماء الذي يجري من بئره ، فحفروا في أراضيهم آبارا، لكنّها لم تكن كافية لحوائجهم ، فطلبوا من جارهم أن يمدهم من فضل مائه لسقي خضرهم، فسمح لهم بذلك لمدّة طويلة غير أنّه ندم على ذلك لأنهم

[1] ابن رشد : **المسائل**،مج1 ، ص150.

[2] ابن رشد ، نفس المصدر،مج1 ، ص162.

أصبحوا يطالبونه بأحقيتهم في ماء بئره، فأورد ابن رشد في فتواه أنّ جيران الرجل لا يستحقون في بئر جارهم حقا بانتفاعهم بفضل مائه وإن طال زمان ذلك[1].

وفي نازلة أخرى حول توزيع الماء بين أصحاب الجنات باعتبار الأعلى والأسفل، حيث وردت هذه المسألة في ماء غير متملك الأصل يسقي به أعلون وأسفلون، منذ القدم فزرع أصحاب العلوّ خضرا وبقول سقوها مع أشجارهم ، فأضرّ ذلك بالأسفلين وحبسوا عنهم الماء، فمنعوا من ذلك وطلبوا منهم أن يقتصروا في السقي على الأشجار فقط ،وإن تبقى الماء سقي به الجنات والبقول للطرفين[2] .

كما سئل "**ابن رشد**" عن كيفية تقسيم الماء بين أصحاب الأرحاء وأصحاب الجنات، فأورد أنّ أصحاب الجنات أولى بالماء لسقي جناتهم من أصحاب الأرحاء ، فإذا فرغوا صرف لهم[3]. كما أشارت بعض الفتاوى الفقهية إلى أنّ بعض المناطق في **الأندلس** كانت تتناوب في سقي أراضيها التي تزرع حبوبا كلّ ثلاثين يوم[4]، وأشارت مسألة أخرى إلى استلاف وشراء الماء لسقي الأراضي الزراعية[5].

[1] ابن رشد ، **المسائل**، مج1، ص162- 163.
[2] ابن رشد ، نفس المصدر،مج2، ص ص1160_1161.
[3] ابن رشد ، نفس المصدر، مج2، ص ص 1150-1151.
[4] ابن رشد، **المسائل** ، مج2، ص 1168وما بعدها.
[5] ابن رشد ، نفس المصدر،مج2، ص 1170.

عبّرت هذه المسائل عن مشاكل كثيرة كانت تحدث بين الأندلسيين في هذا الشأن، كما يستنتج منها أنّ الأندلسيين عرفوا نظام المناوبة في سقي أراضيهم مما جنّبهم الكثير من المشاكل والمنازعات فيما بينهم.

ب – النظم الزراعية والرعي:

تقدم الفتاوى **ابن رشد الجدّ** من الناحية الاقتصادية مجموعة من الصور عن الملكية المشتركة أو الجماعية و عن ملكيات الضيعات و العقار، كما أشارت إلى النظم الزراعية من بينها نظام الشركات الزراعية ، **ونظام المغارسة**[1] ،أما **نظام المشاركة الزراعية**[2] فنلمسه في مسائل كثيرة في هذا الشأن من بينها مسألة سئل فيها **ابن رشد الجد** "عن قوم قرابة كانت لهم أملاك مشتركة مشاعة يحرث كل واحد منهم ما أمكنه على سبيل التوسع ورفع التغابن على بعضهم البعض، بالحرث الانتفاع عاما بعد عام مدة عشرة أعوام، فتوفيت منهم امرأة واستظهر ابن أخيها بعد موتها بعقد صدقتها عليه بما كان يتعاون بالحرث من الأملاك المشاعة المذكورة بزعمه أنها تصدقت عليه دون بنيها"[3].

[1] أورد **البرزلي** أنها المعاملة على مؤنة الشجر والثمرة والأرض، وذكر **ابن حبيب وعيسى ابن دينار عن ابن القاسم قال**:"ووجه العمل في المغارسة عند العلماء أن يعطيه أرضه يغرسها صنفا من الشجر أو أصنافا يسميها "، فإذا بلغت مقدارا من النمو كانت الأرض والشجر بينهما على النصف أو الثلث أو الثلثين ، أو جزء مسمى...، البرزلي : **جامع مسائل الأحكام** ، ج3، ص371.

[2] تعرّف في اصطلاح الفقهاء المالكية ،الشركة في الزرع أو الشركة في الحرث، والمزارعة أن يكون من أحدهما الأرض والآخر العمل أو هي دفع الأرض لمن يزرعها أو يعمل عليها والزرع بينهما، البرزلي ، نفس المصدر، ج3، ص403؛ عبدة أحمد إدريس : **فقه المعاملات على مذهب مالك مع المقارنة بالمذاهب الأخرى في أصول المسائل وعيونها**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر ، 2000م، ص509وما بعدها.

[3] ابن رشد، **المسائل** ،ج1، ص177ومابعدها.

وأشارت أخرى إلى **كراء الأاضي الزراعية** وما يصيب الأرض من ضرّ(شدة البرد وقحط[1]، والمشاكل القائمة بين الكاري والمكتري، حيث ذكر ابن رشد الجدّ في مكتر زرع الأرض ولم يوفي بشرط قلبها أو حرثها ، **فأجاب ابن رشد** بما يلي:"من اشترى أرضا في زمن القليب (وقت الحرث) ، على أن يزرعها في وقت الزراعة فمن حقّه أن يزرعها ليجود بذلك زرعه، وإن لم يشترط ذلك على ربّ الأرض، وقد تكون لرب الأرض في ذلك منفعة لأنّ الأرض تجود بذلك إن أراد أن يزرعها في العام الذي بعده، ولم يرد أن يجمّها بترك زراعتها... فإذا اشترط على المكتري أن يقلبها ويثني عليها بالحرث عند زراعتها لما له في ذلك منفعة ، كان الكراء جائزا ، والشرط لازما".[2]

كما أشارت إحدى الفتاوى إلى **شركة في الزراعة** ، حيث سئل **ابن رشد الجدّ** في رجل حرث أرضا له مرّة واحدة ، ثمّ اشترك مع رجل آخر ليزرع الأرض المذكورة وغيرها ، فزرعاها جميعا بزريعتها على الشركة فيما بينها، فلما حان الزرع وكمل وكان وقت حصاده، قال له شريكه:"ليس لك في هذه الأرض شيء لأنّني حرثتها قبل أن أشركك، واستأثر بالزرع دون شريكه ولم يعطه من ذلك الزرع شيئا والزريعة منهما على حسب الشركة"[3]، فأورد **ابن رشد** أنّه إذا كان الأمر على ما وصفه فيه فالزرع بينهما على ما اشترك عليه، ويرجع الذي حرث الفدان على شريكه من قيمة حرثه بقدر نصيبه[4]، كما أشارت أخرى إلى رجلين اشتركا أحدهما بالأرض والبذر والثاني بالعمل، على أن يكون الربع للعامل وثلاثة أرباع للمالك فذكر ابن رشد في هذه المسألة أنّهما إن تعاقدا على شركة في الزراعة فهذا جائز شرعا[5] .

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق، جم2، 1145.

[2] ابن رشد ، **المسائل** ،مج2،1257وما بعدها؛ ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، 1046وما بعدها.

[3] ابن رشد : المصدر السابق، مج1، ص166.

[4] ابن رشد ، المصدر السابق، مج1، ص167.

[5] ابن رشد : **المسائل**،مج2، ص895.

أما فيما يخص **نظام المغارسة** وهو نظام يشبه نظام المزارعة غير أنّه يطبّق في غراسة الأرض ولقد أوردت فتاوى **ابن رشد الجدّ** العديد من المسائل التي تناولت هذا النظام ،من بينها ما سئل عنه في عقد مغارسة بأجر مجهول، حيث أردف جوابه على هذا السؤال بذكر شروط المغارسة قائلا: " لا يجوز الاستئجار على غرس نصف الجبل بنصف أصله على الإشاعة، إلا أن يكون مستويا معتدلا في القسمة بالزرع، ويشترطان قسمته قبل الغرس، ويعيّنان الجهة التي يأخذ الأجير منها النصف لنفسه في أجرته ، والجهة التي يغرسها لربّ الجبل"[1].كما سئل من مدينة **شلطيش** عن مغارسة فاسدة أريد تحويلها إلى بيع يؤدى الثمن فيه خدمة" [2] ، ومن جهة أخرى يلاحظ أنّ أهل الأندلس كانوا يستأجرون الرعاة لرعي مواشيهم وأغنامهم لفترة معيّنة نظير أجرة محدودة، منها ما أشارت إليه إحدى المسائل اختلف فيها بين الراعي والمالك[3].

2-الصناعة:

يتضح من خلال بعض النوازل والمسائل الفقهية التي أوردها **ابن رشد الجدّ** في فتاويه ،أنّ الأندلس كانت تشتهر بتنوّع صناعاتها، من بينها **صناعة الأرحاء** التي كانت تستعمل لطحن الغلال من مختلف أنواع الحبوب التي كانت تنتج بالأندلس، ولقد تنوّعت الأرحاء بين التي كانت تدار بالدواب والتي كانت تدار بقوة جريان المياه[4]،هذا ما أشارت إليه مسائل عدة من بينها مسألة حول الأولوية في الشّرب بين الجنات المثمرة والأرحاء[5]، ومسألة حول كيفية تقسيم الماء بين أصحاب

---

[1] ابن رشد : **المسائل**، مج1، ص ص 144-145.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2، ص ص1000-1001.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق، **مج2** ص1168.

[4] كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص68.

[5] ابن رشد: **المسائل** ، مج2،ص1156وما بعدها

الأرحاء والجنات[1]، وغيرها من المسائل الكثيرة في هذا الشأن. كما أشارت مسائل أخرى إلى الصناعة **الجلدية ودباغة الجلود**[2]، **والصناعة الغذائية** كصناعة الحلويات المتنوعة [3].

ب ـ النظم التجارية والمعاملات المالية:

1 ـ النظم التجارية:

أشارت فتاوى **ابن رشد الجدّ** الفقهية للعديد من النظم التجارية الموجودة بالأندلس **كالأسواق والفنادق ونظام التسعير والنظام النقدي** وغيرها من المعاملات المالية، حيث أشارت نوازل ومسائل الأسواق إلى مظاهر الغشّ والتدليس من طرف الباعة والتجار والصناع ، ومن ذلك ما كان يتسامح به أهل الأندلس من حشو الملابس و الثياب القديمة بالقطن وإعادة خياطتها حتى تظهر جديدة والمشتري لا يعلم بذلك[4]، فضلا عن بيع الملابس القديمة على أنّها جديدة[5]، فذكر ابن رشد أنّ ذلك من الغش الذي لا يجوز والذي لا ينبغي على البائع إخفاؤه[6]، وأشارت مسألة أخرى إلى سرقة قمح وشعير وخلطهما يبعضهما البعض والقيام ببيعه[7].

ولقد أشارت فتاوى **ابن رشد الجدّ** أيضا إلى وجود الفنادق بالحواضر الأندلسية ، وهي عبارة عن مؤسسات اقتصادية كان ينزل بها التجار والمزارعون الغرباء للمبيت وتخزين السلع، حيث أشارت

---

[1] ابن رشد، نفس المصدر، مج2، 1150.
[2] ابن رشد ، المصدر السابق،مج1، ص143.
[3] ابن رشد :**المسائل**، مج2، ص932.
[4] ابن رشد ،المصدر السابق، مج2، ص823.
[5] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، ص 822.
[6] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2 ، ص933.
[7] ابن رشد ، المصدر السابق،**مج1**، ص414.

نازلة من **جزيرة طريف** إلى امتلاك شخص بها لفنادق عدة جعلها حبسا عاما لثغر من الثغور الإسلامية[1].

كما لمح ابن رشد إلى **نظام التسعير** في الأسواق الأندلسية ، حيث جرت العادة خلال هذا الصر سواء بالمغرب أو الأندلس وضع تسعيرة محددة للمنتجات الاستهلاكية حفظا للمصلحة العامة و للقدرة الشرائية لمختلف الفئات الاجتماعية ، حيث تقوم السلطة بتحديد أسعار مضبوطة لبعض المنتجات الغذائية ، وكانت عملية التسعير تتم عن طريق التفاهم بين القائم على الحسبة والتجار[2]، وفي هذا الشأن قال **ابن عبد الرءوف**: "إذا أراد الإمام العدل أن يسعّر شيئا من ذلك فيجمع وجوه أهل السوق وذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون، فإن رأى شطاطا في البيع نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك في كلّ حين فمن وجد منهم قد زاد الثمن أمر أن يبيع كبيع أصحابه وإلا أخرجه من السوق وأدّبه . فإن كثر هؤلاء قيل لمن بقي من أهل السوق إما أن يبيعوا كبيع هؤلاء وإلا فارتفعوا ، ولا يحلّ التسعير إلا عن تراض"[3]. وقد أشارت نوازل ابن رشد إلى هذا الأمر في إحدى المسائل التي ذكرت أنّ صاحب سوق أراد التسعير عليهم في غير المأكول والمشروب، مثل ما يبيعه العطارون وغيرهم من الحناء والفلفل وأشباه ذلك، فصرّح **ابن رشد** أنّ التسعير لا يكون إلا في ما يؤكل ويشرب من الأطعمة التي للناس فقر إليها في معايشهم[4]، فضلا عن ذلك قدمت فتاوى ابن رشد صورًا من مواد أساسية للتبادل التجاري البحري بين **المغرب** و**الأندلس**، و يأتي في أول قائمة

---

[1] ابن رشد : **المسائل** ،مج2 ،ص1197.

[2] بن الذيب ، المرجع السابق، ص373.

[3] ابن عبد الرؤوف عبد الله : **رسالة آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق ليفي برفنسال، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص ص72-73.

[4] ابن رشد : **المسائل** ،مج1، ص ص407-408.

هذه المواد تين **اشبيلية** وهذا ما وضحته إحدى مسائل **ابن رشد** تحت عنوان "إجارة ملاح لنقل حمولة تين من **إشبيلية** إلى **سبتة** [1]" .

أما **النظام النقدي** فلقد أشار إليه ابن رشد بكثرة في فتاويه الفقهية حيث تعرض إلى ذكر الكثير من العملات التي كانت سائدة في **المغرب والأندلس** في تلك الفترة من فترات التاريخ الإسلامي بها وعن أماكن ضربها **كالصرف**[2] **والمراطلة**[3] **والمبادلة**[4]، فهذه العقود الثلاثة تدخل تحت نطاق البيع ، وتختصّ ببيع النقدين (الذهب والفضة) ببعضها البعض، حيث كانت وحدة النقد من الذهب هي الدينار ويسمى مثقالا، ووحدة النقد من الفضة هي الدرهم وله أجزاء كالدانق (سدس الدرهم) ، وأضعاف كالأوقية (40 درهما)، ومن حيث الوزن فإنّ كلّ عشرة دراهم تساوي سبعة دنانير ، أما من حيث القيمة فقد يساوي الدينار عشرة دراهم ، وقد ينزل عن ذلك أو يرتفع بحسب السكة .[5]

ومن بين العملات التي أشارت إليها" **فتاوى ابن رشد الجدّ" الدينار المرابطي** الذي كان يطلق عليه اسم المثقال الذهبي أو الدينار المرابطي، وكان ثقيل الوزن، يمتاز بجودته وصفائه لدرجة أنّه كان يتمتع بثقة التجار في المغرب والأندلس على حدّ سواء[6]، ويذكر **الونشريسي** أنّ الدينار المرابطي كان يساوي عشرة دراهم فضية ، ولذا كان يطلق عليه اسم الدينار العشري، وذكر أنّه كان يساوي

---

[1] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص1121؛ حجي محمد : **نظرات في النوازل الفقهية** ، ص182.

[2] هو بيع الذهب بالفضة سواء كان على صورة النقد كعشرة دنانير بمائة درهم، أو كان على صورة أخرى كاستبدال سوار من ذهب بقلادة من فضة. أنظر المحاجي محمد سكحال :**أحكام عقد البيع في الفقه الإسلامي المالكي**، دار ابن حزم، ط1، 2001م، ص51.

[3] هي بيع الذهب بالذهب بطريق الوزن أو الفضة بالفضة بطريق الوزن أيضا، أنظر: المحاجي، نفس المرجع ، ص 51.

[4] هي بيع الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة عن طريق العدّ أنظر المحاجي : المرجع السابق ، ص52.

[5] المحاجي محمد سكحال ، المرجع السابق، ص ص50-51.

[6] كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص76.

أحيانا ثمانية دراهم فضية حسب قيمة الذهب التي تدخل في تصنيعه[1]،وذكر **ابن عذاري المراكشي** أنّ الدينار المرابطي ضرب باسم "**أبي بكر بن عمر**"، وأنّ "**يوسف بن تاشفين**" هو الذي أسس دارا للسكة **بمراكش** ضرب فيها الدراهم والدنانير الذهبية[2]، وسئل" **ابن رشد الجدّ**" عن مراطلة الذهب المرابطية بالعبادية أو الشرقية ، فأجاب بأنّه لا يجوز ذلك للاختلاف في قيمة الذهب الموجود في كلّ عملة[3].

كما أشارت "**فتاوى ابن رشد الجد**"ّ إلى العملة الشرقية والعملة العبّادية ، أما العملة الشرقية فكانت مختلطة بالنحاس حيث تعادل عشرون مثقالا من الذهب الخالص[4]، أما العملة العبادية فلقد كانت أقل وزنا من العملة المرابطية ،وكانت رائجة بكثرة في الأندلس[5]، حيث كانت تضرب في اشبيلية على عهد بني عباد والذي قام بسكها هو "**المعتضد بن عباد**" خلال فترة حكمه .[6]

كما أشارت أخرى إلى الدراهم الثلثية والثمنية ، والقراريط اليوسفية، حيث كتب" **لابن رشد الجدّ**" في مسألة وقعت في مناطق عدّة من مناطق الأندلس إلى أنّ رجلا استبدل قطع ثلثية بثمنية عن طريق المراطلة ، والذهب الشرقية بالمرابطية ، والقراريط اليوسفية بالثلثية ، فأورد ابن رشد الجدّ بأنه لا يجوز ذلك لأنّ القراريط اليوسفية أكثر فضة[7].

---

[1] الونشريسي ، **المعيار**، ج3، ص154.

[2]ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج4، ص22؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ ملوك مدينة فاس** ، ص88.

[3] ابن رشد، **المسائل**، مج2، ص830.

[4] ابن رشد ، نفس المصدر،مج1، ص221.

[5] ابن رشد ، نفس المصدر،مج2، ص907.

[6] كمال السيّد أبو مصطفى:**دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة** ، ص ص31-32.

[7] ابن رشد : **المسائل** ،مج1، ص502.

كما تعرضت **فتاوى ابن رشد الجدّ** إلى ذكر وسائل التّوْفية ، حيث استعمل العامة في تعاملهم اليومي في شراء بضائعهم ومستلزماتهم المكاييل،والموازين، والمقاييس ،وهي كثيرة تختلف من منطقة إلى أخرى، منها المدّ والسطل والقفير والصفحة والقليلة والقفة والزلاقة وغيرها حيث من وحدات الكيل التي كانت تخضع للعرف، فهي مقادير اصطلاحية تختلف من منطقة إلى أخرى[1] ، وقد ذكرت نوازل ابن رشد منها **المكيال** الذي يكال به السوائل كالزيت وغيره،وأكّدت أنه يترتّب للمبتاع في ذمّة البائع وضع مكيال على الوزن الذي يبيع الناس عليه[2] .

نستنتج مما سبق رواج وشهرة ثلاث عملات ذهبية **بالأندلس** خلال عهد" **ابن رشد الجدّ**" ألا وهي العملة المرابطية و العبادية والشرقية، وأنه كان يطلق عليها اسم الدنانير والمثاقيل ،وأن الدنانير العبادية كانت ناقصة مخلوطة بالنحاس بخلاف المرابطية الصافية الذهب[3] ،كما ذكرت المسائل القراريط اليوسفية والقطع الثلثية والثمنية[4].

---

[1] بن ذيب ، المرجع السابق، ص383.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق، مج1، ص476.ابن عبدون: **رسالة في الحسبة**،ص39.

[3] حجي محمد :نفس المرجع، ص182ومابعدها؛ ابن رشد ، المصدر السابق، مج1،ص ص501- 502.

[4] إحسان عباس ،**بحوث ودراسات في التاريخ والأدب،ص**430

2 ـ المعاملات المالية: تعرّض ابن رشد الجدّ من خلال فتاويه إلى ذكر المعاملات المالية باختلاف أنواعها من بينها:

أـ نظام الشركات التجارية ، والوكيل التجاري:

أشار **ابن رشد الجدّ** إلى وجود الشركات التجارية والوكيل التجاري [1] بالأندلس، ومن ذلك ما ورد في مسألة سئل فيها عن رجل كان له شريك في أملاك مشاعة ، غاب لفترة طويلة بسبب التجارة ، فضم الشريك الأول جميع المال وفوائده إليه، ولما عاد الشريك الثاني حدثت مشاكل بينهما في هذا الشأن فرفعت قضيّتهما **لابن رشد الجدّ** للفصل فيها وتبيين موقف الشرع منها[2].كما أشارت مسألة أخرى إلى رجل وكّل وكيلا تجاريا وكالة مطلقة، وذلك لطلب حقوقه واستخراجها وقبضها[3]، كما أشارت أخرى إلى امرأة وكلت رجلا للدفاع عنها وعن ابنتها البكر التي تحت نظرها بوصاية من والدها[4]، ولقد أشار "**ابن رشد الجدّ**" في مسألة أخرى إلى أن الموكل يستطيع أن يعزل وكيله متى شاء، كما أنّ للوكيل أن يتخلى عن الوكالة متى شاء أيضا إلاّ في وكالة الخصام، فليس للوكيل أن يتخلى عن الوكالة بعد أن ينشب الخصام، ولا لموكله أن يعزله عنها قبل إتمام مهمّته[5]، كما أشارت أخرى إلى وسيط تجاري توفي خارج بلدته ولم يترك إقرارا عليه[6].

---

[1] هي النيابة فيما لا يتعيّن فيه المباشرة أو نيابة ذي حقّ غير ذي إمرة لغيره فيه غير مشروطة بموته، وجعل **ابن رشد** ولاية الأمر وكالة ، أما **عياض فقال**: هي في اللغة بمعنى الحفظ ومنه **قوله تعالى** :"**وَكَفَىَ بِاللهِ وَكِيلا**"، وبمعنى الكفالة والضمان، **لقوله تعالى**:"**ألاّ يتَّخِذُونَ مِنْ دُونِي وَكِيلا**"،قيل حافظا ،وقيل كافيا،وقيل كفيلا، البرزلي،المصدر السابق، ج3،ص441.

[2] ابن رشد ، **المسائل**، مج1، ص173.

[3] ابن رشد، نفس المصدر ، **مج1** ص695.

[4] ابن رشد ، المصدر السابق، مج1 ص169.

[5] ابن رشد ، المصدر السابق،مج2،ص1209.

[6] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، ص1300.

ب ــ نظام الاستدانة : أشارت عدة مسائل إلى هذا النظام الذي لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية منه ، من بينها ما أشير إليه حول استلاف وشراء الماء بالمال لسقي الأراضي الزراعية والمزروعات إن عجزوا عن ردّ الماء[1]، كما أشارت مسألة أخرى إلى رجل أراد الاستدانة من مال الزكاة ، ومن بيت مال المسلمين؛ لقضاء دين له[2].

ج ـ نظام المعاوضة[3]:

ويقصد به معاوضة سلعة بسلعة أخرى مثلها أو بمبلغ من المال يساوي قيمة السلعة، حيث أشارت "**فتاوى ابن رشد**" إلى هذا النظام في مسألة حول نزع ملكية لتوسيع مسجد **سبتة** الجامع والذي قام بطرح هذه المسألة هو القاضي" **أبو عبد الله بن عيسى التميمي**" في فترة قضائه **بسبتة** ولقد جاوبه" **ابن رشد**" عليها قائلا في سياق كلامه :" إذا ضاق المسجد الجامع عن ذلك الموضع واحتيج إلى الزيادة فيه، ولم يكن حوله أرض للزيادة إلاّ الحوانيت المذكورة في السؤال والتي رفض أصحابها بيعها، فالواجب تعويضهم أحبوا أم كرهوا لمنفعة الناس في ذلك"[4].

كما أشارت إلى هذا النوع من النظام عدة مسائل أخرى منها معاوضة إخوة لأخ غائب في المال المشترك بينهم بالغرس والبناء، ومعاوضة حبس رفعا للضرر[5]. فضلا عن ذلك تعرّضت "**فتاوى**

[1] ابن رشد :المصدر السابق،مج2، ص ص1170-1178.

[2] ابن رشد : **المسائل**، مج 2، ص884.

[3] يجوز عند المالكية أن يحصل بين الناس معاوضة تقابل فيها المنفعة بمنفعة أخرى كأن يستأجر شخص محلا تجاريا من شخص آخر مقابل أن يسكنه في دار له طيلة مدة إجارة المحل، أنظر: محمد سكحال المجاجي: **أحكام عقد البيع في الفقه الإسلامي المالكي**، ص49.

[4] ابر رشد : **المسائل** ،مج1، ص241-215.

[5] ابن رشد ، نفس المصدر ،مج2،ص948.

ابن رشد الجدّ" للكثير من المعاملات المالية الأخرى ، **كنظام السلف والكراء**[1]، **ونظام الرهن** [2]، **ونظام القراض**[3]، **ونظام المزايدة**[4] ،وغيرها من المعاملات المالية التي تدل على مدى الوعي الديني والثقافي للمجتمع الأندلسي.

6ـ مظاهر الحياة الدينية من خلال فتاوى ابن رشد الجدّ :

أـ المذاهب الفقهية:

أبرزت فتاوى **ابن رشد الجد** العلاقة بين المذاهب الإسلامية ، وعلى الخصوص المذهب المالكي والحنفي ،وهذا ما نلمسه في عدة مسائل عرضت عليه، من بينها مسألة نقل فيها رأي **أبو جعفر الطحاوي الحنفي** حول الاجتهاد في كتابه "**مشكل الآثار**"، وكان ذلك فيما قرأ عليه في رمضان سنة 511هـ/1118م من مختصر كتابه ،وما اهتم بتبويبه وترتيبه، حيث أورد مشكل الأحاديث

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق ، مج1، ص498.

[2] الرهن شيء متمول أخذ توثقا به في دين لازم، أو صائر اللزوم، وهو جائز شرعا وأركانه أربعة وهي الراهن والمرتهن والمرهون وهو المال المبذول، والمرهون فيه وهو الدين ، والصيغة أيّ المكاتبة، أنظر ابن رشد ، المصدر السابق، ج2،ص ص 1029-1030؛ سعد محمد محمد: **دليل السالك لمذهب مالك في جميع العبادات والمعاملات** ، دار الندوة ،د –ط، د-ب، 2001م، ص112.

[3] **القراض أو المضاربة** اسمان لنوع واحد من المعاملات المالية والتجارة ، وهو نوع من التجارة يشترك فيها بدن ومال، ومعناه أن يدفع رجل ماله إلى الآخر يتجر فيه على أنّ ما حصل من الربح بينهما حسب ما يشترطانه، أما تسميته بالمضاربة لأنّ كيلاهما يضرب في الربح بنصيب، أو لأنّه مأخوذ من الضرب في الأرض ألا وهو السفر للتجارة ، ابن رشد : **المسائل**،ج1، ص787؛ أحمد إدريس عبده، المرجع السابق، ص415.

[4] هو بيع يتحدد فيه الثمن الذي يريده البائع بطريق الزيادة ، على ما أعطى المساوم الأول حتى يبل الحدّ الذي يرضى به أو يستقر الحال على ثمن معيّن لا يزيد عليه، أنظر: محمد سكحال المجاجي، ، المرجع السابق، ص44.

للرسول صلى الله عليه وسلم، واستخرج ما فيها من أحكام ، فبعد عرض "**ابن رشد الجدّ**" لرأي "**الطحاوي** "في الأحاديث النبوية الخاصة بالاجتهاد ،ساق رأيه ورأي مذهب السنة والجماعة فيه [1].

كما تحدث عن **المذهب الظاهري** في مواقع مختلفة في الفتاوى حيث طرحت عليه أسئلة في خلاف الظاهرية مع المالكية، وككيفية الحكم في بعض القضايا المختلفة بينهما ،حيث كتب **لابن رشد الجدّ** من **مدينة المرية** ، يسأل فيها عن شاهد يعتقد بالظاهرية نفاة القياس، هل تقبل شهادته أم لا؟ ، وهل إنكار القياس في ذلك جرحة في الشاهد أم لا؟ فأجاب **ابن رشد** بما يلي موضحا رأيه في المذهب الظاهري قائلا:"أنّ إبطال القياس في أحكام شرائع الدين جملة عند جميع العلماء بدعة، وذلك فيما أعتقده... لأنّ ذلك خلاف ما دلّ عليه القرآن وتظاهرت به الآثار واجتمع عليه الصحابة ومن بعدهم من فقهاء الأمصار وانعقد عليه الإجماع" [2].

واستشهد في ذلك بعدة آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وقال :" أما إن كان المسؤول عنه لا ينكر القياس جملة ، وإنّما ينكر بعض وجوهه، إذ منه جليّ وخفيّ يخالف فيما ينكر من وجوهه ما عليه جمهور الفقهاء وعامة العلماء، فلا يكون في ذلك جرحة فيه، إن كان من العلماء الراسخين في العلم الذين كملت لهم آيات الاجتهاد فكان فرضه ما أداه إليه اجتهاده"[3].

---

[1] ابن رشد، المصدر السابق ، مج2، ص763.

[2] ابن رشد، **المسائل**، مج2، ص1273وما بعدها.

[3] ابن رشد ، نفس المصدر، مج1، ص1278.

ب ــ الفرق الكلامية:

أبرزت فتاوى" **ابن رشد**" على وجه الخصوص العلاقة بين "**المعتزلة**" و "**الأشعرية**" [1]،و التي كانت تتسم بحدة الصراع بين الطرفين ، ففرقة "**المعتزلة** "قامت بعدة مناظرات علمية هاجمت فيها الفرق الأخرى خصوصا "**الأشعرية**" التي وجدت لها مناصرين **بالمغرب** و **الأندلس** ،والتي كان "**ابن رشد الجد**" أحد مناصريها ،وهذا ما نلمسه من موقفه حولها عند إجابته لأمير "**المسلمين علي بن يوسف** "حول **الأشعرية**[2] ، ونصّ السؤال يقول :" ما يقول الفقيه قاضي الجماعة الأجل الأوحد أبو الوليد وصل الله ترشيده وتوفيقه ،ونهج إلى كلّ صالحة طريقه في الشيخ ،"**أبي الحسن الأشعري** ، وأبي **إسحاق الإسفرايني** ،**وأبي بكر الباقلاني** ، **وأبي بكر بن فورك** ، **وأبي المعالي** ،**وأبي الوليد الباجي** ،ونظرائهم فيمن ينتحل علم الكلام ويتكلّم في أصول الديانات ، ويصنّف في الردّ على أهل الأهواء أهم أئمّة رشاد وهداية أم قادة حيرة وعماية ، وما تقول في قوم يسبّونهم وينقصونهم ويسبوّن كل من ينتمي إلى مذهب **الأشعرية** ،ويكفّرونهم ويتبرّؤون منهم وينحرفون بالولاية عنهم ، ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضين في جهالة ، فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم ؟ هل تجوز الصلاة وراءهم أم لا؟ .بيّن لنا مقدار الأئمة المذكورين ومحلّهم من الغير ، وأفصح لنا عن حال المنتقص منهم المنحرف عنهم وحال المتولي لهم.

---

[1] فرقة كلامية تنسب إلى أبو الحسن الأشعري، الذي تتلمذ على يد شيوخ المعتزلة ثمّ خرج عنهم وخالفهم في الكثير من مبادئهم البعيدة عن النصوص الثابتة، آخذا مآخذ أهل السنة في التوحيد، وفي الأخذ بظواهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية .صبحي صالح : **النظم الإسلامية نشأتها وتطوّرها**، ط2، دار العلم للملايين ، بيروت 1928م. ص172وما بعدها.

[2] ابن رشد ،المصدر السابق،مج1، ص712.

فأجاب: تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا ووقفت عليه وهؤلاء الذين سمّيت من العلماء أئمة خير وهدى وممن يجب الإقتداء بهم ، لأنّهم نصروا الشريعة وأبطلوا شبه أهل الزيغ، والضلالة ، وأوضحوا المشكلات وبيّنوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات فهم بمعرفتهم أصول الديانات العلماء على الحقيقة لعلمهم بالله عز وجلّ وما يجب له وما لا يجوز وما ينبغي عنه إذ لا نعرف الفروع إلا بعد معرفة الأصول فمن الواجب أن يعرّف بفضائلهم ، ويقر لهم سوابقهم ، فهم الذين عنى صلى الله عليه وسلّم ، والله يقول :"يحمل هذا العلم من كل صنف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين "، فلا يعتقد أنهم على ضلالة إلاّ غبيّ جاهل أو مبتدع زائغ ، عن الحقّ مائل، ولا يسبّهم وينسب لهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق،قال الله عز و جلّ : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات،بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا"، فيجب أن يبصر الجاهل منهم ويؤدّب الفاسق ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحقّ إذا كان مستسهلا ببدعة ، فإن تاب وإلّا ضرب أدبا حتى يتوب..."[1].

فلقد درس"**ابن رشد الجدّ**" أصول الدين وتعلم مذهب أهل الجماعة، وعرف عقيدة "**الأشاعرة**" لذلك قام بشرح أصولها و مبادئها ناشرا عقيدتها بين الطلبة السائلين حولها[2].

وكتب إليه أيضا "**الأمير أبو إسحاق بن أمير المسلمين**"[3]من مدينة **إشبيلية** سائلا عن أئمة الأشعريين، هل هم مالكيون أم لا؟ وهل أبي زيد ونظراؤه من فقهاء المغرب أشعريون أم لا؟ وهل أبو بكر الباقلاني مالكي أم لا؟.

---

[1]ابن رشد الجدّ : **الفتاوى** ،س2، ص802وما بعدها.

[2] التليلي المختار بن الطاهر : **ابن رشد وكتابه المقدمات** ، ص 197- 198.

[3] الأمير اللّمتوني الذي قاد المرابطين في معركة **كتندة ضدّ الإفرنج (ت514 هـ/1120م)** وهو أحد الأدباء المرابطين، ألّف باسمه **الفتح بن خاقان، كتابه قلائد العقيان، أنظر**: ابن الأبّار، **المعجم**،ج1، ص ص 55- 56.

فأجاب على ذلك بما هذا نصّه : "لا تختلف مذاهب أهل السنّة في أصول الديانات، وممّا يجب أن يعتقد من الصفات، ويتأوّل عليه ما جاء في القرآن والسنّة والآثار من المشكلات فلا يخرج أئمة الأشعرية، بتكلّمهم في الأصول، واختصاصهم بالمعرفة بها عن مذاهب الفقهاء في الأحكام الشرعيات التي يجب معرفتها فيما يعتدّ به عبادة من العبادات، وإن اختلفوا في كثير منها، فتباينت في هذا مذاهبهم، لأنّها كلّها على اختلافها مبنية على أصول الديانات التي يختصّ بمعرفتها أئمة **الأشعرية** ، وممّن عني بها من بعدهم، فلا يعتقد في أبي زيد وغيره ونظرائه ، أنّه جاهل بها، وكفى من الدليل على معرفته بما ذكره في صدر رسالته ممّا يجب اعتقاده في الدين، وأمّا **أبو بكر الباقلاني**، فهو عارف بأصول الديانات، وأصول الفقه على مذهب مالك رحمه الله، وسائر المذاهب، ولا أقف هل ترجّح عنده مذهب مالك رحمه الله على سائر المذاهب، أم لا؟ لأنّ المالكي هو من ترجّح عنده مذهب **مالك** على سائر المذاهب، بمعرفته بأصول الترجيح، ولا اعتقد أنّه أصحّ المذاهب من غير علم فمال إليه، والعالم على الحقيقة، والعالم بالأصول والفروع، لا من عني بحفظ الفروع ولم يتحقق بمعرفته الأصول، وبالله التوفيق".[1]

إنّ هذه الأسئلة الكثيرة الموجّهة "**ابن رشد الجدّ**"، ما تنوّه إلاّ بمكانته عند العامّة والخاصّة، الذين اعترفوا له بسعّة الإطلاّع ومقدرته على التصحيح، كما اعتبر مرجحا لأهل السنّة، المدافع عن آرائهم ومبادئهم، حاميا للمسلمين من أهل الزيغ، رادّا لشبههم، ولقد كان "**ابن رشد الجدّ**"، على قدر المسؤولية اتجاه المسلمين، بالأندلس والمغرب، فبادلهم ثقة بثقة وأعطاهم من وقته، ومن مجهوده وعصارة إنتاجه ما تمّ به الانسجام بين الجميع الذين التفّوا به، واجتمعوا حوله معتمدين على سداد رأيه.[2]

---

[1] ابن رشد، **الفتاوى** ، س2، ص ص1060- 1061.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 206.

وإن كانت له مواقف مغايرة اتجاه غلاتها، وهذا ما نلحظه أيضا في إحدى المسائل التي سئل عنها "**ابن رشد الجد**" حول المتطرفين من غلاة **الأشعرية**[1] ،حيث سئل عن قول الأشعرية في أنّه لا يكمل الإيمان إلا بمعرفة الأصول الأشعرية ومذهبهم ، ولا يصح الإسلام إلا بمعرفة استعمال أصولهم ومطالعتها وتحقيقها، وانّه يتعيّن على العالم والجاهل قراءتها ودراستها . فهل يصحّ ذلك؟.

قال "**ابن رشد الجدّ** ":" ... ما ذكرته عن الطائفة المائلة إلى أهل الكلام ، بعلم الأصول على مذهب الأشعرية ، من أنّه لا يكمل الإيمان إلا بعلم الأصول على مذهب الأشعرية ، من أنه لا يكمل ولا يصح الإسلام إلا باستعماله، ومطالعته فلا يقر به أحد من أئمتهم ... إذ لو كان الإيمان لا يكمل ، والإسلام لا يصح إلا بالنظر والاستدلال عن طريق العقل على القوانين التي رتّبها أهل الكلام على مذهب **الأشعرية** والمناهج التي نهجوها على أصلهم ... لبيّن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم للناس وبلّغه إليهم"[2]،ثم ساق أدلته في ذلك من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

كما أشار في هذه المسألة إلى أنه لا يجب تعليم قواعد المتكلمين للمبتدئين في قوله:" فمن الحقّ الواجب على ولاة أمر المسلمين، أن ينهى العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلّمين من الأشعريين ، ويمنعهم في ذلك غاية المنع مخافة أن تنبو إفهامهم عن فهمها، فيضلون بقراءتها ويلزمهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن ، ونبّه الله عليه عباده في محكم التنزيل إذ هو واضح لائح يدرك ببداهة العقل...فليبادروا بعد تعلم ما يلزمهم التفقه فيه من أحكام الوضوء ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام،وسائر الشرائع والأحكام ، ومعرفة الحلال في المكاسب والحرام"[3].

---

[1] ابن رشد : **المسائل** ،مج2، ص856.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، ص857.

[3] ، ابن رشد ، المصدر السابق، مج2 ص860-861.

كما أشار "**ابن رشد الجدّ**" إلى أنّه لا يجب أن يتعلم مذهب المتكلّمين إلا من تقدم في الدراسة في قوله:" أما من له حظ وافر في الفهم ، فمن الحظ له أن يقرأها إذا وجد إماما فيها يفتح عليه منغلقها ، لأنّه يزداد بقراءتها والوقوف عليها بصيرة من اعتقاده، ويعرف بذلك فساد مذاهب أهل البدع واضمحلال شبههم ، فيمكنه الردّ عليه، ويجوز بذلك وجه الكمال في العلم ويدخل به الصنف الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم : "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[1].

لقد قصد" **ابن رشد الجدّ** "من ذلك حفظ عقيدة الأمة من أن تدخلها الشبهة ، وهذا الموقف الذي اتخذه في فتاويه يتفق مع ما ذهب إليه حفيده ،" **ابن رشد الفيلسوف، وحجة الإسلام الإمام الغزالي**"، اللّذين حذرا من حشر العوام في قضايا علم الكلام، لأن ذلك يؤدي في نظرهما إلى الانقسام والفتنة[2].

كما أشار "**ابن رشد الجدّ** "إلى **فرقة المعتزلة** وآرائها في عدة مواقع من فتاويه من بينها مسألة سئل فيها حول آيات العلم في القرآن الكريم بين المعتزلة وغيرهم ، ساق فيها رأي أستاذه "**محمد بن أبي العافية**" ،وموقفه من أقوال "**أبي علي الفارسي**"، مبرزا آراء المعتزلة في آيات العلم في القرآن الكريم ناقضا لحججهم حولها.[3]

---

[1] ابن رشد : **المسائل**، مج2، ص861.

[2] أومليل علي: **السلطة الثقافية والسلطة السياسية ط3، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1998م، ص19**.

[3] ابن رشد، المصدر السابق،مج1، ص612وما بعدها.

ج ـ **مواجهة الزندقة و الشعوبية** :

وجد في البلاد الأندلسية عدة ظواهر غريبة على المجتمع الإسلامي و التي كانت ناجمة أكثرها من جو الاختلاط الذي عرفته **الأندلس** من مسلمين و نصارى و يهود و من هذه الظواهر سب **الرسول صلى الله عليه و سلم**، والسير في طرق ملتوية لإنكار النبوة عن طريق إنكار كرامات الأولياء، حيث سئل ابن رشد الجدّ عما يروى من كرامات الصالحين ، وبراهين عباد الله المتقين هل هي باطل يلزم إبطالها والتكذيب لها، أو حقّ يجب التصديق بها، والاعتقاد لصحتها ، وما وجه ما تعلّق به من أنكرها... فقال :"أنّ إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة بثّها في الناس أهل الزيغ، والتعطيل الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل ، ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين ولا يعتقدون أنّ لهم ربا وخالقا يفعل ما يشاء، ويقدر على ما أراد من جميع الأشياء ، كي يوقعوا في نفوس الجهال والأغبياء ، إبطال معجزات الأنبياء من ناحية إبطال كرامات الأولياء، إذ هي من قبيل واحد في أنّها ليست من مقدرات البشر"[1]، ثم واصل جوابه المطول مبيّنا أدلة وجود الكرامة، والعلاقة بينها وبين المعجزة.

كما كان **بالمغرب والأندلس** ظواهر للردة بين المسيحية و الإسلام [2]، هذه الأمور التي واجهها الفقهاء والقضاة بموقف حازم مطبقين في ذلك القواعد الشرعية في حق هؤلاء ومن ذلك ما كتب إليه من "**موسى ابن حماد**" قاضي حضرة **مراكش** سائلا عن رجل إسلامي شاع عليه أنّه بدين النصرانية ،حتى رفع أمره إلى القضاء ونص السؤال يقول:" جوابك رضي الله عنك في رجل كان على دين النصرانية ،فأسلم وأظهر الإسلام، وكثر سماع ذلك منه ورفع إلى السلطان أمره ما أوجب الكشف عن حاله ، ففتّشت داره فألقي فيها بيت يشبه الكنيسة ... وشهد شاهد ممن يعرف أحوال النصارى وأمور شرعهم بأنّ الشموع المذكورة مما يتقرب بها النصارى ... وأن اللوح الذي على أربعة

[1] ابن رشد ، **المسائل** ،مج1، ص509وما بعدها.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج2، ص1294وما بعدها.

قوائم يضع عليه قسيس النصارى الإنجيل حين قراءته إياه ، وأنّ العصا التي على رأسها عود مصلب مما يتوكأ عليها وقت قيامه لقراءة الإنجيل ،**فأجاب "ابن رشد"** قائلا: "إذا لم يثبت على هذا النصراني الذي أسلم وأظهر الإسلام طائعا؛ أنه يُسِرُّ النصرانية ويدين بها ببينة عدلة لا مدفع له فيها، فلا يحكم عليه بالقتل دون استتابة كزنديق بما وجد في داره أنّه مما يتشرع به النصارى في دينهم..." [1].

كما وجدت في فتاوى "**ابن رشد**" مسائل تتحدث عن الشعوبية في **الأندلس** ، كسبّ العرب و ذم اللغة العربية، والقول بأن الإسلام لا علاقة له بالعربية، وأنه بالإمكان أداء الشعائر بغير العربية ، ودراسة القرآن بغير العربية[2]، فلقد وجد في فتاوى"**ابن رشد**" ما يؤكد على أن هذه الظواهر فعلا كانت موجودة ولم تكن وليدة عصرنا الحالي، ومن ذلك ما كتب إليه حول **عقوبة من سب الرسول صلى الله عليه وسلم،واستهان بالقرآن ولغته** [3]، فأجاب **ابن رشد** على ذلك بأن قال :"تصفحت سؤالك هذا ووقفت عليه والواجب فيما شهد به على هذا الرجل الضعيف الدين أو الخارج عن ملة الإسلام أنه قال في **النبي صلى الله عليه وسلم** ، أن يسأل الشهود الذين شهدوا عليه بذلك عن الكلام الذي جرى قوله ذلك وكان سببا له، فإن تبين بذلك تبيّنا لا يشك فيه أنه قصد بذلك إلى الغض منه **صلى الله عليه وسلم** والانتقاص له والاحتقار لشأنه والوضع له عن مكانه ،ولم يكن عنده مدفع في البينة التي شهدت عليه بذلك وجب عليه القتل ، وإن لم يتبين أنه أراد بذلك سوى إثبات أنه من البشر ليس بملك من الملائكة وجب عليه الأدب الموجع إذ لم ينزّه النبي صلى الله عليه وسلم ... وبالله تعالى التوفيق لا شريك له وصلى الله على محمد خاتم رسله وسلم تسليما[4].

---

[1] ابن رشد ، نفس المصدر ،مج2، ص1294 وما بعدها.

[2] إحسان عباس ، **بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ**، ص432.

[3] ابن رشد ، **المسائل** ، مج2 ،ص1228ومابعدها.

[4] ابن رشد ، **المسائل**، مج2، ص1228.

وكتب إليه قاضي **جيان** في رجل شهد عليه أنّه شتم النبي صلى الله عليه وسلّم بشتم قبيح مرة وثانية وهو سكران وغير سكران ، **فأجاب ابن رشد** بهذا الجواب:" إذا ثبت على هذا الملعون بشهادة شاهدين ... أنّه سبّ النبي صلى الله عليه وسلم وأذاه بكلمة واحدة فما فوقها... ولم يكن عنده فيه مدفع، فالانتقام لله ورسوله منه بالقتل من غير استتابة واجب"[1]. ومثل هذه الفتاوى كثيرة في كتب النوازل منها ما ذكره "**ابن سهل الأسدي** "ي شأن زنديق عرف باسم **أبي الخير** شهد عليه شهود كثر من بينهم قضاة "**كالقاضي محمد بن عبد الله التجيبي**" ، **و"قاسم بن محمد**" بن صاحب أحكام الشرطة **بقرطبة** وغيرهم، أنهم سمعوا هذا الشخص يسبّ أبا بكر وعمر ، ويقول أنّ علي بن أبي طالب أحقّ بالنبوة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنّ الخمر حلال وأنّه لا وجود للعقاب والثواب وغيرها من الأمور التي تثبت زندقته وشعوبيته[2].

لقد عامل الفقهاء هذه الفئة المنحرفة عن الإسلام بموقف حازم محذرين السلطة وعامة الناس منهم ، متّخذين في حقهم إجراءات رادعة ، خوفا من تفشي هذه الظاهرة الدخيلة على المجتمع الأندلسي.

---

[1] ابن رشد ، نفس المصدر، مج1، ص274.

[2] ابن سهل : **نوازل الأحكام**، مج2، ص887وما بعدها.

د ـ أصل كتاب ابن رشد الحفيد فصل المقال:

وجد في فتاوى "**ابن رشد الجد**" فيا يتعلق بتاريخ الفلسفة أصلا لكتاب "**ابن رشد الحفيد**" "**فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال**"،الذي يتناول ثلاث قضايا فكرية هامة دار حولها الخلاف بين الفلاسفة والمتكلّمين، ألا وهي العا لم عند ابن رشد الحفيد والمعاد والعلم القديم والعلم الحديث، ويركز على علاقة الحكمة أو الفلسفة بالشريعة حيث **قال "ابن رشد الحفيد"** في هذا الشأن :"إذا كانت الشريعة حقا داعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحقّ ، فإن معشر المسلمين نعلم على القطع أنّه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع ،فإن الحق لا يضاد الحقّ بل يوافقه ويشهد له ، وإن كان قد سكت عنه فلا تعارض هنالك، وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي، وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفا، فإن كان موافقا فلا قول هنالك، وإن كان مخالفا طلب هنالك تأويله"[1].

بالرغم من أنّ هذه القضايا (**العالم، المعاد ،العلم القديم والحديث**) تعتبر أكبر من أن يوفيها ابن رشد الحفيد حقها في هذا الكتاب الصغير الحجم، لكنّه تناولها في كتبه الأخرى عندما ناقش فيها المتكلّمين في كتابه "**مناهج الأدلة** "، وعندما ردّ على "**الإمام الغزالي**" في "**تهافت التهافت**" ، وإنّما كان عرضه لهذه القضايا في كتاب "**فصل المقال**" من باب ضرب الأمثلة فقط ، وتقديم نماذج تطبيقية توضّح مقصده من هذا النصّ الذي هو في الأساس يدور حول التوفيق بين

[1] ابن رشد الحفيد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال** ، تحقيق محمد عمارة ، ط2، دار المعارف ، القاهرة ،د-س، ص31-32.

الفلسفة والشريعة، أبرز خلاله عنصرين مهمين ألا وهما التأويل واختلاف مراتب الناس[1]، و في هذا الشأن نقل **التجكتاني** عن **رينان قوله:**" إن المكتبة الأهلية بباريس تضم مجلدًا ضخما يحتوي على تلك الرسائل الفقهية التي كان يشار فيها وقد حوى هذا الكتاب فيما حوى فكرة جليلة ، ستراها مفصلة فيما بعد أجمل تفصيل لدى حفيده في محاولة التوقيف بين الدين و العقل ،فكأنما الحفيد أخذ على نفسه أن يتوسع في عرض آراء جده وأن يخرجها إلى حيز الوجود في أروع صورة وأكملها"[2]،

ولقد استشهد "**رينان**" على ذلك بعبارة وردت في المسائل في جواب" **ابن رشد الجد**" حول اختلاف أهل العلم في ما يولد عليه الأطفال في الدنيا ومصيرهم من جنة أو نار في الدار الآخرة ورأي مذهب أهل السنة من ذلك ، فأورد ابن رشد أن هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم كثيرا ، فمنهم من ذهب أنهم يولدون على الإسلام ومصيرهم الجنة ، ومنهم من توقف عن الحكم في ذلك أيّ أنّهم لا يولدون لا على كفر أو إيمان ، ومنهم من قال أن أولاد الإسلام يولدون على الإسلام وأولاد الكفر يولدون على الكفر، وأقوال أخرى كثيرة جدا أوردها "**ابن رشد الجدّ** "في إجابة مطولة حول الموضوع، فبعد عرضه لأقوال المتكلمين في هذا الشأن حصّل أقواله في أنه يجب التأويل في هذا الأمر تفاديا لتنافي العقل والدين لأنه مستحيل أن يوصف غير العاقل بكفر أو إيمان حيث قال:" فإذا ثبت وتقرر بقيام البرهان والدليل عليه، وجب أن يصرف بالتأويل إليه ما خرج عن ظاهره من الآثار لاستحالة ورود الشرع بما ينافي العقل[3] .

---

[1] ابن رشد الحفيد: **فصل المقال**، ص8 وما بعدها.

[2] ابن رشد : **المسائل** ، مج1، ص576 وما بعدها.

[3]ابن رشد، المصدر السابق، مج1، ص576 وما بعدها..

7ـ مظاهر من الحياة السياسية،التاريخ والأدب من خلال فتاوى ابن رشد الجد :

كشفت فتاوى" **ابن رشد**" من الناحية السياسية عن عدة مظاهر كتجاوزات رجال السلطة وأعوان الدولة وأخطاء من القضاة ، كما أبرزت استغلال بعض الوجوه لوظائفهم أو وظائف أقاربهم ليحتموا بهم ،كما تحدثت عن ظهور الثائرين على السلطة المغتصبين لأموال الرعية ،ولقد سلّطت الضوء من الناحية السياسية على **إمارة بني عباد باشبيلية** و التي وصفتها بأنها كانت متسلطة على السكان حيث أرهقتهم بالضرائب والجبايات.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في "**فتاوى ابن رشد**" في " تحبيس ما أصله أملاك عامة باعها "**ابن عباد**" واسترجعها "**يوسف ابن تاشفين**" "[1]، وأملاك في **إشبيلية** وهبت ثم بيعت وهي في كلتا الحالتين بيد غاصب لها[2]، وصلح متكرر بين ورثة من **باغة** لا يحيطون بالتركة وبين خزينة "**ابن عباد**"[3]،كما تقدم الفتاوى صورة أخرى و نوعا من أنواع الظلم المسلط على الرعية وهي أن بعض الخاصة في **الأندلس** في عصر الطوائف لم تكن تطبّق عليهم الأحكام الأمر الذي عطل المساواة بين المواطنين أمام القضاء، و قد نتج عن ذلك استغلال النفوذ في الاستيلاء على الأحباس[4]، وفي الغصب و في بيع الإكراه[5]،و فقدان الثقة في إشراف الدولة على تنفيذ الوصايا فمثلا وجدت ظاهرة غير مألوفة في المجتمع الأندلسي ، و هي أن يشترط الموصي في وصيته أن تنفذ الوصية دون مشاورة قاض ولا تدخل الحاكم[6].

---

[1]ابن رشد، المصدر السابق ، مج2، ص1197.

[2] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج1، ص237-238.

[3] ابن رشد ، المصدر السابق ،مج1، ص446وما بعدها.

[4] ابن رشد : **المسائل**، مج1، ص235.

[5] ابن رشد ، المصدر السابق ، مج1،ص237وما بعدها

[6] ابن رشد ، المصدر السابق، مج2، ص747.

كما أنّ "**فتاوى ابن رشد الجدّ**" لا تحتوي على نصوص الفقه النظرية فقط، بل لها قيمتها التاريخية والأدبية تتمثل في تقديم حصيلة خبرته المنقولة إلى مواقع العمل، تطبيقا وتنفيذا في البيوت والأسواق والطرقات وبيوت المال وقضايا التجارة والصناعة والزراعة والملاحة وميادين القتال والجهاد إلى غير ذلك من مناحي الحياة اليومية[1].

و تناولت" **فتاوى ابن رشد**" ثلاثة أحداث تاريخية انفردت بها لوحدها ألا وهي "**ثورة سعيد بن أحمد بن زيفل، بحصن شاقورة**[2]، حيث سئل "**ابن رشد**" حول استطاعة نقل الملكية بشهادة السماع ووضع عقد يثبت ثورة "**ابن زيفل**" سماعا ونص السؤال يقول " يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون "**سعيد بن أحمد بن زيفل**" بعينه واسمه ويعلمون أيام حياته فلقد ثار **بحصن شاقورة**، ورأس فيه واستولى عليه وعلى جميع جهاته أعواما كثيرة يجبي جميع فوائد ذلك البلد ويضرب الضرائب على الرعايا ويضم إلى نفسه جميع ما كان في تلك الجهات لبيت مال المسلمين إلى أن ظهر ذلك المال ونما، وكسب منه **بجيان** وغيرها أصولا ورباعا وأموالا ، ولا يعلمون له قبل قيامه في الحصن المذكور مالا ولا حالا يفيء بما اكتسبه..."[3] .

لقد وضح هذا السؤال وأعطى صورة واضحة عما كان يعيشه الأندلسيون تحت ضل هؤلاء الثائرين من ظلم واستبداد وتسلط وفرض لضرائب وجبايات غير شرعية أنهكت كواهلهم.

كما تناولت من الناحية التاريخية معركة "**كتندة سنة 514هـ/1121م** ،التي قادها" **أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين**"، أخو "**علي بن يوسف**"، وكتندة من أعمال **سرقسطة** استشهد فيها الكثير من المسلمين، من بينهم العالم الكبير" **أبي علي الصدفي**"[4]، حيث أشارت

---

[1] عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق، ص120.

[2] حصن شقورة منطقة من مناطق جيان وهي على نهر مرسية .إحسان عباس : **بحوث في الأدب والتاريخ** ،ص426.

[3] ابن رشد ، **المسائل** ، مج1، ص234. أنظر الملحق رقم 10.

[4] حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص434.

مسائل" **ابن رشد الجد"** إلى المفقودين في هذه المعركة في مسألة تناولت نساءهم تقول المسألة:"ما الصحيح عندك في نساء من فقد **بوقيعة كتندة** كم يضرب لهن من الأجل..."[1]، وتناولت فتاوى ابن رشد الجدّ هجوم "**ابن رذمير** على **الأندلس** ،حيث ذكر "**ابن الوزان"** في آخر الفتاوى ما يلي:"ثم اشتغل باله بأمر الطاغية ،فلم يقرأ عليه شيء إلى أن انقضت الكائنة بين المسلمين نصرهم الله وبينه أهلكه الله بموضع يقال له **أرنيسول** على مقربة من **قرطبة** ،وولى على عقبيه ، فاستخار الله تعالى القاضي أبا الوليد المذكور في النهوض إلى **المغرب** مبينا على **أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين** أدام الله أمره ،وأعز نصره، ما الجزيرة عليه."وقد سبق في فصل سابق التحدث عن هذا الهجوم بنوع من التفصيل. أما من الناحية الأدبية فسجلت قصيدة رثاء **لابن الأشتر الكوني**[2].

نستنتج في الأخير أنّ **فتاوى ابن رشد الجدّ** ، اكتسبت مكانة علمية بين كتب النوازل الأخرى واستطاعت أن تكون بمثابة حركة فقهية في عصر مؤلّفها وبعده في العصور المتتالية ، فأعلت من شأنه وزادته رفعة وتقدّما بين معاصريه وغيرهم من الفقهاء الذين جاؤوا بعده ،حيث يعتبر هذا الكتاب ثالث كتب **ابن رشد الجدّ** الفقهية التي ظهر فيها علمه وبرز فيها فقهه.

[1] ابن رشد : **المسائل** ، مج2، ص1244.

[2] ابن رشد، نفس المصدر ،مج2، ص1348وما بعدها.

الفصل الثالث

كتاب المقدّمات الممهدات واختصارات ابن رشد الجدّ

1-لمحة عن المدونة وشروحها.

أ-المدونة وآراء العلماء حولها.

ب-بعض اختصارات المدونة وشروحها والتعليقات عليها.

2-نسبة المقدّمات لابن رشد الجدّ

3-أصل طريقة كتابة المقدمات ومكانته كمرجع فقهي.

أ-أصل طريقة كتابة المقدّمات

ب-مكانته كمرجع فقهي.

4-اختصارات ابن رشد الجدّ

أ-اختصار الكتب المبسوطة.

ب-اختصار شرح معاني الآثار واختصار مشكل الآثار

ج-تلخيص الحسن والقبح للحكيمي.

5-آثار أخرى:

1-كتاب التقييد والتقسيم.

2-مقدمة في الفرائض وكتاب في الردّ على المرادي.

3-كتاب حجب المواريث ومختصر الحجب.

6- وفاته.

كتب **ابن رشد الجدّ** مؤلفات فقهية متنوّعة ،الأمر الذي يدلّ على تنوع علومه وغزارة معارفه، ويرجع الفضل في ذلك إلى تلاميذه الذين أدركوا مكانته العلمية ، فاجتمعوا حوله سائليه أن يكتب آراءه في مؤلّف مفيد حتى يستفيد منها هم والأجيال الذين يأتون من بعدهم ،هذا ما دفع ابن رشد الجدّ إلى تسجيل أفكاره[1]،حيث ألّف كتبا مفيدة زادته رفعة، وأعلت من قدره ومكانته بين معاصريه[2] ،و قد كان ابن رشد يدّرسها للطلبة في حلقات دروسه برغبة منه ،واستجابة لرغبة تلاميذه في الأخذ عنها و روايتها، فاستحسنها التلاميذ، و رووها عنه مباشرة أو بالإجازة العامة وشهدوا لها بفائدتها وأثنوا عليها ثناءً جميلا واعتمدوا عليه لأخذها منه [3].

ومن أهم هذه المؤلفات **كتاب المقدمات الممهدات لأوائل كتاب المدونة** الذي شرح فيه أوائل كتاب **مدونة سحنون بن سعيد التنوخي**، ومهّد فيه لفقه السنة المقارن لدى المالكية ،إذ انتهج فيه منهجا وسطيا بين فقه السنة وفقه المسائل ،كما قام فيه بالتأصيل لأمهات الأبواب وبذلك يكون قد مهّد فيه لظهور فقه مقارن للسنة[4].حيث يعتمد فقه السنة على استخراج القواعد من النصوص الأصلية من الكتاب والسنة و أصول المذاهب ، بينما يتميز فقه المسائل بأنه يعتمد على السوابق في الفتوى والقضاء كأساس لوضع القواعد الفقهية، لكن قبل التطرق إلى كتاب المقدمات

[1] ابن رشد :**البيان و التحصيل**, ج1،ص28.

[2]التليلي المختار بن الطاهر : **ابن رشد وكتابه المقدّمات** ،ص307.

[3]ابن رشد : **المقدمات** ،ج1، 9 و ما بعدها.

[4] يراد به جمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية على صعيد واحد، وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض، والفرق بينه وبين علم الفقه ، أن الفقيه غير ملزم بعرض الآراء الأخرى ومناقشتها، وإنما يكتفي بعرض أدلته الخاصة التي التمس منها الحكم ، بخلاف الفقيه المقارن فهو ملزم باستعراض مختلف الآراء والأدلة وإعطاء الرأي فيها .السيّد محمد تقي الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن**، ط2، مطبعة الأمير، 1997م، ص9 وما بعدها.

يجب التعريف أولا بالكتاب الذي كتب على أساسه، ألا وهو المدونة وما كتب حولها من شروح ومختصرات وتمهيدات وتعليقات وزيادات .

1ـ لمحة عن المدونة وما كتب حولها:

أ – المدونة وآراء العلماء حولها:

قامت" **المدونة**" بحفظ المذهب المالكي ، بعد ظهور "**الموطأ**" بالمدينة ، وعملت على نشر المذهب، وتركيزه خصوصا بمنطقة المغرب الإسلامي والأندلس ، و أصبح بها المذهب المالكي مدنيا بالتكوين والتأصيل ، مغربيا بالتدوين والشرح ، فاعتمد عليها المغاربة وتلقوها بقبول حسن، ورجّحت روايتها على غيرها لديهم، حيث انتقلت من المغرب الأدنى إلى أقطار **المغرب الإسلامي** ، كما انتشرت في **صقلية والأندلس الإسلامية** ، وذاع صيتها **بالمشرق الإسلامي**، وحازت بذلك على رضا العلماء والفقهاء، الذين أثنوا عليها واعتبروها المرجع الثاني للفقه المالكي بعد الموطأ[1].وأصبحت عمدتهم في القضاء والإفتاء في الفقه المالكي المرجح روايتها على غيرها، إذ أعجب بها الناس فحفظوها استظهارا على كبر حجمها وأكثروا من شروحها والتعليق عليها، وأصل المدونة "**الأسدية**" وهي عبارة عن أسئلة "**لأسد بن الفرات**" تحوّل بها إلى المذهب المالكي، وبعد مراجعة" **سحنون**" لها سميت "**مدونة سحنون**"، لأنّه هو الذي عمل على ترتيب أبوابها ،أما "**المختلطة**" فهي على نسخة "**ابن القاسم**" من "**المدونة**" ممّا لم يتناوله "**سحنون**" بتهذيبه.[2]

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص364.

[2] عياض: **ترتيب المدارك** ، تحقيق على تاويت الطنجي ، ج3، ص 291، عمر الجيدي **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص 177.

ومؤلفها "**عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي**"، أصله شامي من حمص، قدم أبوه مع جند الشام إلى إفريقية واستقر بها، أخذ العلم من علماء كثر ،حيث سمع **بإفريقية** من على بن زياد والعباس بن الأشرس، والبهلول بن راشد، وعبد الله بن غانم ، ومعاوية الصمادحي، ثم رحل إلى **المشرق** سنة **188هـ/797م**، فسمع **بمصر** من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وابن عبد الحكم، وشعيب بن ليث، ويوسف بن عمر، أما **بالمدينة** فسمع من ابن نافع، و معن بن عيسى، وأنس بن عياض وابن الماجشون وغيرهم، **وبالشام** من الوليد بن مسلم، وأيوب بن سعيد، **وبمكة** من ابن عينة ، وعبد الرحمن بن المهدي، ووكيع بن الجراح، وحفص بن غياث، ويزيد بن هارون، ويحي بن سليمان وغيرهم، ثم عاد إلى **القيروان** سنة **191هـ/ 807م**، فنشر المذهب المالكي بها وكان أول من أظهره، وقد مات مالك وسحنون عمره ثمانية عشر سنة، فكان خليفته في التمكين للمذهب [1].

وقد اجتمعت في "**سحنون**" ملكة الفقه، والورع الصادق، والصرامة في الحق ، والزهد في الدنيا وخشونة العيش، لا يقبل من أحد شيئا ولا يخش الملوك، شديد على أهل البدع ، فانتشرت إمامته وأجمع أمل عصره على تقدّمه وفضله [2].

و"**للمدونة**" أهمية كبيرة بين أمّهات المذهب المالكي ، ونقصد بالأمّهات الكتب التي حوت أقوال مالك وروايات وسماعات تلاميذه وتلاميذ تلاميذه وأشهرها أربع ، **"المدونة"** ، **و "الواضحة" "لعبد الملك بن حبيب"** ، و**"العتبية" أو" المستخرجة" للعتبي**، وهي الكتاب الذي شرحه" **ابن رشد الجد"** في **"كتابه البيان والتحصيل"**، و**"الموازية لمحمد بن إبراهيم بن المو**از"، وأضاف

---

[1] سحنون بن سعيد التنوخي المغربي: **المدونة الكبرى لمالك بن أنس الأصبحي،ويليها مقدّمات ابن رشد الجدّ لما اقتضته المدونة من الأحكام، للإمام الحافظ أبي الوليد بن رشد الجدّ وكتاب تزيين الممالك لمناقب سيّدنا الإمام مالك لجلال الدين السيوطي**، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ،بيروت 1994م،ج1،ص101وما بعدها.

[2] نفسه.

العلماء إلى هذه الكتب كتابا خامسا جعلوه من الأمهات أيضا ألا وهو كتاب "**محمد بن إبراهيم بن عبدوس**(**المجموعة**")،وتقع مدونة سحنون على رأس هذه الأمّهات فهي الأصل الثاني للمذهب بعد الموطأ والجامعة لأقوال مالك ، لذا كان علماء المالكية يقدّمونها على غيرها من الأمّهات ، ويحثون على الأخذ بها، ويبيّنون أهميتها[1].

حيث يقول "**ابن رشد الجد**":" فحصلت ـأي المدونةـ أصل علم المالكيين وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ رحمه الله، ويروى أنّه ما بعد كتاب الله أصحّ من الموطأ ، ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة"[2]. وقد ذكر "**القاضي عياض**" عن "**سحنون**" قوله:" عليكم بالمدونة فإنّها كلام رجل صالح وروايته[3]" ، وقصد بذلك "**عبد الرحمن بن القاسم**" ، تلميذ مالك المباشر الذي كان مستقرا **بمصر**، وقال فيها أيضا :" أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبيّنوها ، فما اعتكف أحد على المدونة ودارسها إلا عرف ذلك في ورعه، وزهده، وما عاداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه ولو عاش عبد الرحمن أبدا ما رأيتموني أبدا"[4]. وكان يقول:" إنّما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن ، تجزي في الصلاة عن غيرها ولا يجزي غيرها عنها"[5]. ونقل" **ابن رشد**" في ذلك أيضا :" أنّ نسبة المدونة إلى المذهب كنسبة أم القرآن إلى قراءة الصلاة ، يستغنى بها عن غيرها ، ولا يستغنى بغيرها عنها"[6]،وذلك لأنها من أقوال مالك رضي الله عنه أو لاجتماع ثلاثة من تلاميذه عليها

[1] البراذعي خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني: **التهذيب في اختصار المدونة**، دراسة وتحقيق محمد الأمين ولد محمد بن سالم بن الشيخ، مراجعة أحمد علي الأزرق،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبيّ، د-س، ج1، ص36.

[2] ابن رشد، **المقدّمات**، ج1، ص44.

[3] عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص274..

[4] عياض، نفس المصدر، ص274.

[5] عياض ، نفس المصدر،ص274.

[6] ابن رشد: **المقدّمات** ، ج1، ص44-45.

ألا وهـم ابـن القاسـم وأسـد وسـحنون، بخـلاف الـدواوين الأخـرى كالموازيـة والعتبيـة.

أما" **ابن رشد الجدّ"** فذكر في "**المقدمات" ما يلي:**" ودوّن ابن القاسم المدونة والمختلطة فجعلت أصل علم المالكيين ، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك رحمه الله، ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة ، والمدونة عند أهل الفقه ككتاب" **سيبويه"** عند أهل النحو وكتاب "**إقليدس"** عند أهل الحساب"[1] ،أما "**ابن عبد الرفيع التونسي"** فقال فيها " المدونة أجل كتب المذهب من إملاء "**ابن القاسم"** أجل تلاميذ "**مالك** "[2]، أما "**الشيرازي"** فقال فيها :" واقتصر الناس على التفقه في كتب "**سحنون"** ، ونظر سحنون فيها نظرا آخر فهذّبها وبوّبها ودوّنها وألحق فيها من خلاف أصحاب مالك ... وذيّل أبوابها بالحديث والآثار "[3] ،كما قال في "**طبقات الفقهاء"**:"ثمّ انتهت إليه الرئاسة في العلم ... وعلى قوله المعول بالمغرب، ، كما على قول ابن" المواز" ـ يعني روايته عن" ابن القاسم "ـ المعول بمصر ، وصنّف المدونة وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل لـه مـن الأصـحاب مـا لم يحصـل لـه مـن أصـحاب مالـك، وعنـه انتشـر علـم مالـك بـالمغرب[4]".

يستنتج من خلال هـذه أقوال في **المدونـة** أنها أصبحت المرجع الأساسي للفقه المالكي **بالمغرب والأندلس** ، لذلك اعتنى بها العلماء واختصروها وقاموا بشرحها سواء في الكتب المدونة عليهـا أو مـن خـلال الـدروس والمنـاظرات الـتي كانـت تقـام في الحلقـات.

---

[1] ابن رشد: **المقدّمات** ، ج1، ص44-45.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص366.

[3] عياض ، **ترتيب المدارك** ،ج1، ص274.

[4] الشيرازي الشافعي: **طبقات الفقهاء**، ص ص156-157.

ب/ بعض اختصارات المدونة وشروحها والتعليقات عليها:

بلغت عناية العلماء بالمدونة سواء بالمغرب أو الأندلس، أن حفظوها واستظهروها على يد شيوخهم وقاموا بتأليف مختصرات وشروحات وتعليقات وتقييدات كثيرة عليها من بينها:

شرح "**محمد بن سحنون**" منها أربعة كتب ، كما اختصرها "**أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي**" نسبا والقيرواني مولدا ، والذي قال فيه" **الشيرازي**" :"أنه يعرف بمالك الأصغر وبقطب المذهب، ويقال لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب ، فالشيخان "**ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهري**"، وقيل "**القابسي**"، والمحمدان ، "**محمد بن سحنون**" و"**محمد بن المواز المصري**"، والقاضيان" **أبو محمد عبد الوهاب وأبو محمد بن القصار**" البغداديين ، وانتشر من تأليف القاضي عبد الوهاب الرسالة في مختلف الأقطار الإسلامية ،و تنافس العلماء في اقتنائها حتى كتبت بالذهب"[1].

واختصرها "**أبو القاسم خلف بن القاسم الأزدي المعروف بابن البراذعي**" تحت عنوان "**كتاب التهذيب في اختصار المدونة**"[2]، ولقد انتشرت كثيرا، ويعد البراذعي من كبار أصحاب "**ابن أبي زيد القيرواني**" و "**أبي الحسن القابسي**" ، وهو من حفاظ المذهب ،ولقد قيل في كتابه " وقد ظهرت بركة هذا الكتاب بين طلبة الفقه ، وتميّزوا بتدريسه وحفظه ، وعليه كان معتمد أكثر الطلبة **بالمغرب والأندلس**، وقد شرح شروحا كثيرة من بينها شرح" **قاسم بن عيسى بن ناجي**"

---

[1] سحنون : **المدونة**، ج1، ص105.

[2] الدباغ : **معالم الإيمان** ، ج3، ص146وما بعدها.

(837هـ/1435م) الذي قيل فيه:"أما في زماننا فما المعول عليه شرقا وغربا ومن ينظر مدونة سحنون الذي هذا اختصارها يعلم فضيلة البرادعي في اختصاره"[1].

ومختصر المدونة "**لفضل بن سلمة بن حرير الجهني(319هـ/931م)**" المكنى أبا سلمة البجاني له كتاب في اختصار الواضحة وتنبيهات في الفقه، وكان ممن بلغوا الرتبة العالية في المعرفة بمذهب مالك والوقوف على الروايات واختلاف أصحابه، حتى أثنى عليه ابن حزم بقوله:"كان من أعلم الناس بمذهب مالك"[2].

واختصار المدونة "**لأبي عبد الله محمد بن عيشون الطليطلي (341هـ/953م)**" الذي كان من الفقهاء الحافظين لمذهب مالك العالمين بالفقه والفتوى، من أهل الصلاح والخير ،الزاهدين في الدنيا ، ألف كتبا منها أحاديث مسند مالك ،وكتابه هذا اختصر فيه المدونة إلا الكتب المختلطة منها[3].

واختصار المدونة "**لأبي عبد الله محمد بن رباح بن صاعد الأموي الطليطلي(358هـ/969م)**" الذي كان من الموصوفين بالفضل والصلاح ، المعتنين بالعلم والرواية له والحافظين لمذهب مالك المستفتين ببلده طليطلة ، إذ اشتهر كتابه هذا بين طلبة العلم وتداولوه بينهم وفضلوه على غيره[4].

---

[1] الدباغ : **معالم الإيمان** ، ص147؛ ابن فرحون،:**الديباج المذهب**، ج1، ص349وما بعدها.

[2] الحميدي :**جذوة المقتبس**، ص327. الضبي : **بغية الملتمس** ، 443.

[3] ابن فرحون :**الديباج المذهب**، 204.

[4] عياض ، **ترتيب المدارك**، ج2، ص122.

واختصار المدونة "**لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك الخولاني (364هـ/975م)**" المعروف بالنحوي، أصله من **بلنسية** ،وسكن **بجانة**[1] ،كان معروفا بالحفظ والمعرفة بالمسائل والمناظرة عليها [2].

و "**كتاب المغرب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري ألبيري**"، الذي اعتبره ابن فرحون من المفاخر الغرناطية ، وكان من المحدّثين البارعين والعلماء الراسخين، ومن الرواة الكبار الحافظين للرأي والحديث والمعرفة باختلاف العلماء ، المتفنّنين في العلوم والآداب ، وكان حسن التأليف، من أهمّ كتبه "تفسير القرآن"، و"المغرب في المدونة وشرح مشكّلها، والتفقه في النكت منها مع تحريه لفظها وضبطه لروايتها" ، إذ ليس في مختصراتها مثله،، حيث حاز هذا التأليف على الرضا والقبول من طرف الطلبة، وانتشر ذكره **بالمشرق** و**المغرب**[3].

وكتاب "**الملخص في اختصار المدونة لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد المصري القيرواني المعروف باللبيدي (ت466هـ/1074م)**"، وهو من تلاميذ "**ابن أبي زيد القيرواني**" و"**القابسي**" ، سمع من علماء إفريقية وتوفي بالقيروان، ذكر "**الدباغ**":" أنّه كان فقيها فاضلا محبا للصالحين ، يبحث عن مناقبهم وأحوالهم، له كتاب كبير في الفقه جمع فيه بين "**النوادر لأبي محمد بن أبي زيد**" و"**موطأ مالك بن أنس**" وغيره، جمع فيه مذهب مالك ، كما ألف كتابا في اختصار المدونة سماه الملخص، وكان ممن ينشدون الشعر ويحسنون القول فيه[4].

---

[1] بجانة ، بفتح الباء، وبعدها جيم مشددة، مدينة أندلسية مشهورة تقع قرب المرية ،كانت تعرف بأرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس، أسكنوا بها بنو سراج القضاعيين. أنظر: الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص79.

[2] عياض ، نفس المصدر، ج2، ص194.

[3] ابن فرحون : **الديباج المذهب** ، ج2، ص232.

[4] الدباغ : **معالم الإيمان** ، ج3، ص175.

وكتاب **المهذب في اختصار المدونة** ،وكتاب **مختصر المختصر في مسائل المدونة للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي** العالم الأندلسي الأصولي الشهير الذكر الذي قيل فيه:" لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي إلا عبد الوهاب والباجي لكفاهم"[1]، وغيرها من الاختصارات الكثيرة .

أما **شروح المدونة** ،فنذكر منها ما يلي:

"**شرح مسائل من كتب المدونة لابن عبدوس (ت298هـ/911م)**" في أربعة أجزاء، حيث لم يكن في عصره أفقه منه ، وهو رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصره، فضلا عن "**محمد بن سحنون**" ،و"**محمد بن عبد الحكم**"، و"**محمد بن المواز**" ، وهو صاحب كتاب المجموعة المعتمد في المذهب، وله شرح للمدونة وتفاسير في أبواب الفقه[2].

و"**شرح المدونة للقاضي عبد الوهاب**" الذي يعدّ من حفاظ **مذهب مالك** ، له تآليف مفيدة منها كتاب الأدلة في مسائل الخلاف، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وغيرها مما سبق ذكره.

" **شرح المدونة والتعليق عليها لأبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق التونسي (443هـ/1052م)**" الذي كان مدرسا في القيروان ، مستشارا فيها، تفقه "**على أبي عمران الفاسي**" وطبقته، حيث كان فقيها صالحا موصوفا بالفهم، مقدما في أجوبته ، من أهل النسك والإرادة ، كما كان متكلّما في أصول الدين ، يميل إلى النظر عارفا بالحديث ، كما قال فيه أبو حفص العطار:"إذا وافقني أبو إسحاق التونسي وعبد الواحد الكفيف لم أبال بمن خالفني"[3].

---

[1] مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص178.

[2] مخلوف : المرجع السابق ،ص105.

[3] الدباغ : المصدر السابق، ج3، 177.

وكتاب التقريب "**لأبي القاسم بن بهلول المعروف بالبرايلي** (**ت444/ 1053م**)"مفتي **بلنسية** في وقته ، ذكر "**عياض بن موسى اليحصبي**" أنّه كان من أهل العلم والجلالة ، وكتابه هذا هو عبارة عن شرح للمدونة سماه **التقريب**، انتفع به طلبة المذهب المالكي واستخدموه في المناظرة [1] .

وشرح المدونة "**لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي**"، الإمام العالم النظار المشهور في الفرائض كما وصفه مخلوف في شجرته، كان من كبار أئمة الترجيح ، الملازمين للجهاد أخذ العلم من علماء كبار" **كأبي عمران الفاسي**"، و"**أبي الحسن القابسي**" وغيرهم، ألف كتبا كثيرة منها ما كان في الفرائض ، أما شرحه هذا يعدّ من أهم الشروحات للمدونة لأنه أضاف إليه غيرها من الأمهات **كالواضحة و العتبية و الموازية**[2] .

وكتاب "**الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط**" "**لابن عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف الأنصاري**، (**ت576هـ/1181م**)"، الذي كان معروفا بالفقه والتوثيق حتى قيل فيه أنه كان أعرف أهل زمانه بكتب الوثائق، حيث تفقه بأبي محمد بن أبي جعفر، وقرأ عليه المدونة والعتبية ،كما تفقه بمشايخ قرطبة الكبار ، حيث كان من أحفظ أهل زمانه للمسائل ، وأسمع مع ذلك الحديث، ألف في شرح المدونة كتابه المعروف باسم الجامع البسيط، الذي توفي قبل إكماله[3].

وكتاب "**منهاج التحصيل في شرح المدونة لأبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي**" ، الشيخ الإمام الحافظ الفروعي، الذي كان ماهرا في اللغة العربية حتى أخذ عنه الكثير من العلماء

[1] مخلوف: **شجرة النور الزكية** ، ج1، ص ص164_165.
[2] مخلوف، نفس المرجع ، ج1، ص ص164_165.
[3] ابن الأبار :**المعجم**، ص304وما بعدها.

المشارقة، وقد لخص في هذا الشرح ما وقع للأئمة من تأويلات ، واعتمد في ذلك على كلام "**ابن رشد الجدّ**" والقاضي" **عياض** "، وتخريجات "**أبي الحسن اللخمي**"[1].

و"**شرح المدونة**"، "**لأبي عبد الله محمد بن خلف التونسي المعروف بالآبي (ت 828هـ/ 1426)**"[2] ، الذي كان من أعيان أصحاب "**ابن عرفة**" ومحقّقيهم، حيث كان أصوليا كثير الانتقاد لشيخه ابن عرفة مشافهة في دروسه، وكان ابن عرفة يقول في ذلك:"كيف أنام وأصبح بين أسدين الآبي بفهمه وعقله، والبرزلي بحفظه ونقله"، ومن تآليفه القيمة كتاب "**إكمال الإكمال في شرح صحيح مسلم**" ،وله "**شرح للمدونة**" ، و "**نظم وتفسير**"[3].

أما التمهيدات والتعليقات والتقييدات والزيادات على المدونة:

فنستهلها بذكر" **المقدمات الممهدات لأوائل كتاب المدونة لابن رشد الجدّ**" موضوع الدراسة الذي يعتبر المؤلف الوحيد له الذي اهتم فيه بالمدونة ورسومها. وكتاب" **النوادر والزيادات على المدونة لابن أبي زيد القيرواني**" الذي انتهت إليه رئاسة الفقه في عصره حيث كان يسمى بمالك الصغير، و كتابه مشهور معروف عند الفقهاء المالكية ، يزيد عن مائة جزء ، وقد سبق التحدّث عنه[4].

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص316.

[2] مخلوف ، **شجرة النور الزكية** ،ص351.

[3] مخلوف ، **شجرة النور الزكية** ،ص351

[4] الشيرازي، **طبقات الفقهاء**،ص160.

وكتاب" **التعاليق على المدونة لأبي عمران الفاسي، (430هـ/1039م)**"[1] الذي استوطن القيروان وأصبح من كبار فقهائها خلال **القرن 5هـ/11م** ، وقد وصف بالحافظ العالم حيث جمع حفظ المذهب المالكي إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معانيه ، وكان ممن يقرؤون القرآن بالسبع ويجوّده مع معرفته بالرجال وتعديلهم وهو الذي قيل في شأنه" لو اجتمعت في مدرسة أنت وعبد الوهاب بن نصر، لاجتمع فيكما علم مالك ، أنت تحفظه وهو ينصره ، ولو رآكما مالك لسرّ بكما"[2].

وكتاب "**التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة** للقاضي **أبي الفضل بن موسى اليحصبي**" الذي كان فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب مما سبق التطرق إليه ، وسبب تأليفه هذا الكتاب هو أنّ بعض أصحاب "**القاضي عياض**" طلبوا منه شرح كلمات صعبة وألفاظ ليس من السهل فهمها على طلبة العلم مما اشتملت عليه الكتب المدونة والمختلطة ، مع الاعتناء باللغة العربية وغريبها، والتعريف بأسماء رجال مهملة بالمدونة ، مع بيان الألفاظ الفقهية الواقعة بهذه الكتب، وأصل اشتقاق فروعها وأصولها مع ذكر كلام المشايخ الكبار في ذلك ، وتعليقاتهم عليها.[3]

وكتاب **التبصرة لأبي الحسن اللخمي القيرواني** ، وهو عبارة عن تعليق على المدونة مشهور ومعتمد في المذهب ، اهتم فيه **اللخمي** بتخريج الخلاف في المذهب وتتبع الأقوال ، ولقد اتبع نظره في الكثير من الأحيان، وخالف المذهب فيما ترجح عنده ، فخرجت اختياراته عن قواعد المذهب.وغيرها من الشروح و الاختصارات والتعليقات .

---

[1] الشيرازي ،المصدر السابق، ص161.

[2] الدباغ، المصدر السابق، ص160 وما بعدها.

[3] القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة**، تحقيق محمد الوثيق – عبد النعيم حميتي، ط1، دار ابن حزم، بيروت2011، ج1، ص7.

2 ـ نسبة المقدمات لابن رشد:

أجمعت معظم المصادر التاريخية على نسبة كتاب "**المقدمات الممهدات**" إلى "**ابن رشد الجد**" إلا بعض الباحثين المحدثين ممن لم يفرقوا بينه و "**بن رشد الحفيد**"، من بينهم "**محمد فريد وجدي**" الذي نسبه في **دائرة معارفه** إلى "**ابن رشد الحفيد**"، واعتبره ثاني تأليف له في قوله: " و له كتاب "**المقدمات في الفقه**"[1]، و"**سركيس يوسف إليان**" في "**معجم مطبوعاته**" حين ترجم **لابن رشد الحفيد** ،اعتبره سادس مؤلفاته[2].

إنّ هذه النسبة غير صحيحة؛ لأن الثابت أن "**ابن رشد الجد**" ألف كتاب المقدمات بطلب من بعض أصحابه ، هذا ما صرح به شخصيا في كتابه "**البيان و التحصيل "قائلا:"** و لقد كان بعض الأصحاب سألني أن أمهد في أول كتاب منه "أي البيان و التحصيل "، مقدمة تنبني عليها مسائله من الكتاب والسنة ، ويرّد إليه القياس عليها من الربط و التقسيم و التحصيل بمعانيها، فرأيت أن أختصر ذلك لأني جمعت جملا وافرة مما كنت أورده في أول كتاب منها للأصحاب المجتمعين إليّ للمذاكرة فيها والمناظرة ، أقدّمه وأمهّده من معنى اسمه، و اشتقاق لفظه، وتبيين أصله من الكتاب والسنة، و ما اتفق عليه أهل العلم من ذلك ،واختلفوا فيه ووجد بناء مسائله عليه ،وردها إليه بالتقسيم و التحصيل لمعانيها جريا على سنن شيخنا "**أبي جعفر بن رزق رحمه الله**"، وطريقته في ذلك واقتفاء للأثر فيه، و إن كنت أكثر احتفالا منه بذلك ...إلى أن **قال** :" ووصلت ما جمعته من ذلك بعض ما استفرد القول فيه من أعيان المسائل وقعت في المدونة ناقصة مفرقة، فذكرتها مجموعة ملخصة مشروحة بعللها، واجتمع من ذلك تأليف مفيد ينتهي لأزيد من 25 جزء سميته **بكتاب**

---

[1] وجدي محمد فريد: **دائرة معارف القرن العشرين** ، دار الفكر ،بيروت، مج4، ص 228.

[2] سريكس يوسف إليان: **معجم المطبوعات العربية و المعربة**، مؤسسة الثقافة الدينية ،القاهرة، ج1، ص 109.

المقدمات لما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات و التحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات ".[1]

وصرح تلاميذ" **ابن رشد"** بنسبتها إليه كالقاضي "**عياض"** في كتابه "**الغُنية** "[2]، و"**ابن الوزان"** "جامع الفتاوى ، "**ابن بشكوال"** في كتابه" **الصلة"** [3]و غيرهم. و شرع **ابن رشد** في تأليفها بعد وفاة شيخه "**ابن رزق** (**ت 477هـ-1084م**) "، ودليل ذلك ترحّمه عليه لما ذكر اسمه في" **المقدمات"** قائلا :" جريا على سنن شيخنا الفقيه "**أبي جعفر بن رزق رحمه الله"**[4]. وصنّفها قبل البدء في تأليف : **البيان والتحصيل** أي قبل سنة **508هـ/1112م**.

ولم تذكر المصادر و المراجع تاريخا مضبوطا لبداية تأليف "**ابن رشد"** للمقدمات، و لا تاريخ نهاية كتابه، رغم ما قام به من ضبط بالنسبة **للبيان والتحصيل** ، و لا يعني ذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين من عدم عناية "**ابن رشد"** به بل كلا الكتابين مهمّان عنده ،وعند طلبته على السواء وهما متكاملين في نظره ، ومما يدل على اهتمامه بها أنها كانت آخر كتبه التي عكف على تدريسها وإسماعها للطلبة إلى أن أصيب بالمرض الذي أودى بحياته، ولقد طلب إلى تلميذه "**الفقيه أبي مروان بن مسرة"** قراءتها عليه في بداية جمادى من سنة **508هـ/1112م**[5] .

وذكر" **ابن الوزان"** في فتاوى ابن رشد ما يلي:" و سألنا معشر أصحابه العودة إلى الحلقة للإسماع بنفسه **الشرح أو المقدمات** ، فمال إلى رغبة في **المقدمات**، وأذن بقراءتها عليه**الفقيه أبا**

---

[1] ابن رشد : **البيان و التحصيل**، ج1، ص31.

[2] عياض : **الغنية**،ص54.

[3] ابن بشكوال: **الصلة** ،ج2،ص546.

[4] ابن رشد ، **المقدمات**،ج1،ص ص9-10.

[5] التليلي المختار بن الطاهر،، المرجع السابق،ص463.

مروان بن مسرة ...في الأصل الذي أنسخه رضي الله عنه لنفسه ،وهو الذي استنسخ الناس منه وهو المسودة التي نقل منها ذلك الأصل و تحوّل بها حتى انتهى من الكتاب إلى الجزء التاسع عشر ... وذلك في العشر الأواخر من جمادى الآخرة المؤرخة من السنة"[1]، و أثبت "**ابن رشد الجدّ**" في شأن **كتاب المقدمات** ما يلي ... إلا أنه كتاب لم يلخص بعد..."[2].

من خلال هذين النقلين يمكن أن نستنتج ما يلي:

❖ أنه أتم تأليف **كتاب المقدمات** و بقي في مسودته إلى سنة **517**هـ/**1123م** و لم يكمله **ابن رشد الجدّ** في الأصل المنقول في المسودة إلا بعد انتهائه من **البيان و التحصيل** ،وفي سنة **520هـ/1126م** كان الأصل الذي استنسخه **ابن رشد** بنفسه والذي أعاد كتابته والمقارن بالمسودة، هو الذي كان الطلبة يقرؤونه بحضوره ويستنسخون منه.

❖ أنه جلس لإسماعه و تدريبه في أخريات حياته تلبية لرغبة تلاميذه حيث أسمع منه 18 جزء وتوقف عند الجزء التاسع عشر.

❖ جمع هذا الكتاب في جزءان يحتويان على سبعة و عشرين جزءًا، و الملاحظ أن **ابن رشد** كان شديد العناية بمصنفاته والدليل على ذلك طول المدة التي قضاها في تصنيفها و نقلها من مسودتها إلى الأصول التي استنسخ منها الناس[3].

[1] ابن رشد ، **الفتاوى**، س3، 1517.

[2] ابن رشد ، **البيان و التحصيل**، ج1، ص3.

[3] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص465.

والهدف من تأليف هذا الكتاب يبدو واضحا من خلال كلام **ابن رشد** ممثلا فيما يلي :

أ ــ تأصيل كتب المدونة لغويا، و ذلك بالحديث عن المعنى اللغوي، و الأصل الاشتقاقي للمصطلحات الرئيسية للأبواب، و تشريعيا ببيان أصل الموضوع و أحكامه الأساسية من الكتاب والسنة. ويعكس هذا التأصيل ما شعر كبار الفقهاء إزاء المدونة ، إذ إنها تقوم على أجوبة غير مباشرة للإمام " **مالك**" بن أنس، سُجّلت عن "**عبد الرحمن بن القاسم**" خالية من أدلتها من القرآن والأحاديث النبوية ،حتى أنه تراجع عن بعض اجتهاداته عنها.[1]

ذكر "**التجكتاني**" محقق مسائل "**ابن رشد**" أن "**عبد السلام سحنون بن سعيد**" قد يكون أول من تفطن لذلك فألحق بآخر رسوم "**المدونة**" أحاديثاً قليلةً و أثارً تؤيد بعض المسائل حيث لم يكن راضيا عن اتجاه التقليد الذي طبع مسائلها كما طبع "**ابن القاسم** و**أسد بن الفرات**"، أما "**المدونة**" فقد دخلت إلى **الأندلس** في فترة مبكرة جدًا لكن لم يكتب لها أن تتطور في ظل الجوّ الجديد لأن **الأندلس** في هذه الفترة لم تكن إلا دار مسائل ولم تبدأ فيها بعد المحاولة لجعلها دار الحديث ودارًا للمنهج الأصولي إلا في أيام "**محمد بن عبد الرحمن** (**ت 273هـ/887م**)"[2] .

حمى هذا "**محمد بن عبد الرحمن**" دعاة التجديد وحاملي لواء تلقيح المالكية الأندلسية في أحد القواعد الفقهية من الكتاب و السنة بدلا من أخذها بواسطة استقراء المسائل من بينهم" **بَقِيْ**

---

[1] ابن رشد: **المسائل**،ج1،ص56.

[2] يكنى **أبا عبد الله**، ولي بعد أبيه **عبد الرحمن بن الحكم** ،كان محبا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث عارفا به حسن السيرة ، وهو الذي شجع **بَقِيْ بن مخلد** على نشر العلم ورواية الحديث.أنظر ترجمته: الحميدي :**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، ص11.

بن مخلد"[1]، لكن دعوتهم هذه لم تنجح في ظل هذه البيئة إلا بظهور حل وسيط بين فقه المسائل و فقه السنة شق طريقه :**أبو جعفر بن رزق**"، و أقامه "**ابن رشد الجدّ**"، و تتجلى هذه الوسطية في كتاب" **المقدمات**" من خلال الاستدلال بنصوص الكتاب و السنة ، وباستخدام قواعد أصول الفقه على أمهات القواعد الفقهية ثم تبقى بعد ذلك التفصيلات والأحكام الجزئية، و بصفة عامة فإن فقه المسائل هو الذي تمت له السيطرة في **الأندلس**،كما سيطر في **المغرب** منذ ظهور "**مدونة سحنون" و" مستخرجة العتيبي**"، رغم وجود" **الموطأِ**" و كتب أخرى للحديث.

ولقد زاد من تعلق المغاربة و الأندلسيين بفقه المسائل ظهور فكرة المختصرات التي بدأت "**بمحمد بن عبد الحكم (ت214هـ/829م)**"، و التي بظهورها تخلى الفقهاء عن المدونة نفسها واقتصروا على مختصراتها "**كتهذيب المدونة لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم البراذعي**"، و"**مختصر المدونة لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني**(ت**386هـ/996م**)،والتي أصبحت مرجع الفقه والقضاء في المذهب المالكي إلى أن ظهر" **مختصر أبي عمر عثمان بن أبي بكر ابن الحاجب**" الذي اهتم به المغاربة و بشروحه وجعلوا منه المرجع الأساسي إلى أن احتل مكانه "**مختصر خليل بن إسحاق**" الذي دخل إلى **المغرب سنة 805هـ/1402م**، فأقبل المغاربة عليه حتى قال البعض:" نحن خليليون إن ضل ضللنا"[2].

---

[1] من كبار المحدثين وأئمة الدين والزهاد الصالحين له مصنفات كثيرة منها **تفسير القرآن** ، ومصنف كبير رتبه على أسماء الصحابة ومصنف في فتاوى الصحابة ، وغيرها. أنظر ترجمته : الحميدي ، المصدر السابق ،ص177.

[2] ابن رشد، **المسائل**،**ج1**، ص 57-58.

وخلاصة ما يمكن قوله في هذه النقطة أن التأصيل اللغوي و التشريعي كان أحد الأهداف لكتاب المقدمات.

ب ـ عرض مواطن الاتفاق و الاختلاف بين أئمة المذاهب في بعض أمهات المسائل، و أحيانا الخلاف خارج المذهب خاصة بين المالكية من جهة و الشافعية و الحنفية من جهة أخرى ، هذا الاختلاف و الاتفاق هنا لا يصل إلى مستوى ذكر أسباب الاختلاف و إن ذكرت فهي غالبا في نطاق فقه المسائل ، ونادرا ما تكون في نطاق الأمور الشرعية (الكتاب و السنة) و أدوات أصول الفقه.[1]

ج ـ تكميل مسائل" **المدونة**" بذكر ما لم يذكر موزعا بين الأبواب ويتعلق بموضوع واحد،[2] وباعتبارها أصل المذهب المالكي المرجح روايتها على غيرها **من المغاربة و الأندلسيين** كتب عليها الكثير من المصنفات سواءً كانت مختصرات أو شروح ، ففيها كانت مذاكرتهم ومناظرتهم.[3]

لذلك فإن "**المقدمات**" كتتمة لها نالت عناية خاصة لدى **المغاربة و الأندلسيين** منذ صدورها وتتجلى تلك العناية في رغبة الكثيرين تدارسها من بينهم "**أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجد الفهري**" الذي أخذها مناولة عن "**ابن رشد الجد**"، و أجاز بها "**أبو القاسم أحمد بن رشد** وقام إلى الفقيه **أبو زيد عبد الرحمن الرقعي الفاسي** "الذي كتب" **نظم مقدمة ابن رشد**"، وقام إلى الفقيه **أبو** باختصارها "**محمد بن إبراهيم الرعيني المرسي**"، و"**أبو عبد الله محمد بن سعيد الفاسي**

---

[1] ابن رشد : **المسائل** ، ج1،ص59.

[2] ابن رشد ،نفس المصدر ،ج1، ص60.

[3] عياض: **ترتيب المدارك**، ج3،ص 299.

السراج" ، كما قام بشرحها الكثير من العلماء من بينهم "**محمد بن إبراهيم التتائي**"[1] الذي كتب عليها كتابه الذي سماه "**خطط السداد والرشد شرح نظم مقدمة ابن رشد في الفقه المالكي**"[2].

وقد أثنى عليها مؤلفها قائلا :" و اجتمع من ذلك تأليف مفيد لم يسبقن أحد ممن تقدم إليه إلا أن الكتاب لم يتلخص بعد ، فإذا تلخص بعون الله تعالى ، ونقل من مسودته إن شاء الله و جمعه الطالب إلى هذا الكتاب أي "**البيان و التحصيل**" ، حصل على معرفة لما لم يسعه جهله من أصول الديانات و أصول الفقه ،و عرف العلم من طريقه ،و أخذه من بابه و سبيله ،وأحكم رد الفرع إلى أصله ، واستغنى بمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات، وحصل على درجة ما يجب تقليده من النوازل المعضلات ،ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غير آية من كتابه ووعدهم برفيع الدرجات "[3].

ويبدو أنه لم يكن "**لابن رشد الجد**" شرحًا آخر للمدونة غير "**المقدمات**" ، لأنه لو كان له شرح آخر للمدونة لكان أشار لذلك في مقدمة كتابه "**البيان و التحصيل**" الذي يعتبر أو يعّد آخر كتبه الفقهية وكان قد أشار فيه للمقدمات . كما أنه ذكر في المقدمة أن المدونة في غير حاجة للمزيد من الشرح لأن بها من الشروح ما يزيد عن الحد، و ذلك بخلاف "**العتيبة**" التي لم تشرح بعد .

---

[1] هو الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي الفقيه المالكي القاضي المصري ، كان أديبا ومحدثا متفننا أنظر: التتائي المالكي محمد بن إبراهيم: **خطط السداد والرشد شرح نظم مقدمة ابن رشد في الفقه المالكي**، تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي،ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان2016م، ص6.ابن رشد: **المسائل**، **ج1**،ص60.

[2] التتائي ، نفس المصدر ، ص6.

[3] ابن رشد: **البيان و التحصيل**، ج1،ص32.

كما أن كتب التراجم و الفهارس لا تشير إطلاقا إلى أن "**لابن رشد**" كتاب آخر على المدونة غير" **المقدمات**"،وبذلك فإن الكتاب المطبوع تحت عنوان "**الجامع من المقدمات المنسوب إلى ابن رشد الجد**" هو عبارة عن جزء من كتاب "**المقدمات**" اختتمه به سلك فيه مسلك إمامه وإمام عصره "**مالك بن أنس**" الذي يعتبر أول من صنع هذه الترجمة في كتابه "**الموطأ** "، و لقد نهج هذا النهج الكثير من المؤلفين بعده ،فمنهم من جعلها في كتاب خاص سماه كتاب الجامع مثل "**أبي محمد القيرواني**" في كتابه " **كتاب الجامع في السنن والآداب و المغازي والتاريخ** " ،ومنهم من نهج منهج **مالك** مثل القاضي "**أبو محمد عبد الوهاب البغدادي**"[1] في كتابه" **المعونة**"، و"**أبو الوليد بن رشد الجد**" في كتابه" **المقدمات**"[2].

إلا أن كتاب "**الجامع من المقدمات**" يصلح أن يكون مصنفا منفردا لما احتواه من سيرة **الرسول صلى الله عليه وسلم** وأمور هامة وضرورية للمسلم ، وفضائل مكة والمدينة والعلماء. كما جعل **ابن رشد الجد** لكتاب الجامع مقدمة خاصة به بين فيها هذه الفوائد، حيث قال "... إني لما ضمنت الجزء الأول من كتاب" **المقدمات**" بيان ما يجب اعتقاده من المعتقدات التي أوجبها الله عز وجل على المكلفين من عباده ...رأيت أن أختمه بجزء جامع يحتوي على ما تتم معرفته من العلم بنسب **النبي صلى الله عليه وسلم** وأزواجه وأولاده وعيون سيرته وأخباره من حين مولده إلى وقت وفاته وعلى جمل ما تحوي معرفته مما يجب على الإنسان في خاصته أو يحرم عليه أو يستحب له أو

---

[1] هو **أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي** ولد سنة **362هـ/973م**، كان زاهدا عابدا كثير الحفظ، فقيها وأديبا كما كان شيخ المالكية في عصره وعالمهم ، له آثار علمية كثيرة منها **كتاب التلقين** ، **كتاب المعونة** وغيرهم . أنظر : القاضي عبد الوهاب : **المعونة على مذهب أهل المدينة** ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1998م،ج1، ص7.

[2]ابن رشد : **الجامع من المقدمات**، علق عليه وخرج أحاديثه فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان 2003م، ص2 وما بعدها.

يكره أو يباح له في مطعمه ومشربه وملبسه وجميع شأنه وعلى بيان فضل **مكة** و**المدينة** وفضل "**مالك**" وإمام دار الهجرة ومقدار مرتبته في العلم والله الموفق للصواب..."[1] .

3- أصل طريقة كتابة المقدمات ومكانته كمرجع فقهي:

أ- أصل طريقة كتابة المقدمات الممهدات:

اهتم **ابن رشد الجدّ** في كتابه المقدمات بكل ما جاء في المدونة من رسوم وكتب ، مهد وقدّم لها أحسن تقديم ، وذلك بتبسيط موضوعاتها وتحليلها عن طريق سلك عدة مناهج وطرق منها:

1- الاعتناء بالناحية اللغوية : حيث كان كلما يضع عنوان كتاب يبيّن معنى أسمائه ، واشتقاق ألفاظه، ومثال ذلك ما ورد في كتاب الوضوء الذي وضع له فصلا في معرفة اشتقاقه قائلا:" الوضوء في اللغة مشتق من الوضاءة ، وهي النظافة أيضا والحسن ، ومنه قيل فلان وضيء الوجه، أي تنظيفه، فكأنّ الغاسل لوجهه أو لشيء من أعضائه وضئه أو نظفه بالماء وحسنه... ، أما في الشرع فلا ينطلق إلا على غسل أعضاء على وجه مخصوص."[2] حيث أثبت ابن رشد الجدّ الاستعمال اللغوي للوضوء ، ثمّ عرض المعنى الشرعي، مبيّنا أنه لا يطلق إلا على غسل جملة أعضاء على وجه الخصوص حيث أبرز العلاقة بين الاستعمالين اللغوي والشرعي [3].

ونفس الأمر بالنسبة لكتاب الصلاة والصيام والاعتكاف حيث استفتح لهم فصولا لمعرفة اشتقاقهم ومعناهم اللغوي ، ثمّ ساق المعنى الاصطلاحي أو الشرعي ، فمثلا في كتاب الاعتكاف قال:"الاعتكاف في كلام العرب هو الإقامة واللزوم يقال منه : اعتكف فلان مكان كذا إذا أقام فيه

[1] ابن رشد : **الجامع من المقدمات**، ص3 وما بعدها.

[2] ابن رشد : **المقدّمات** ، ج1، ص67وما بعدها.

[3] التليلي، المرجع السابق، ص475و ما بعدها.

ولازمه ، ومنه **قول الله عزّ وجلّ** :" **وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**"[1]، أيّ مقيما وملازما، وقال عزّ وجل:" **مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُون**"[2] أي ملازمون ، وقال:" **فَأَتَوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ** "[3] أي يلازمونها ويقيمون على عبادتها، وهو في الشريعة الإقامة على ما هو عليه في اللغة ، إلا أنه في الشريعة الإقامة على عمل مخصوص لا يتعداه على شرائط قد أحكمتها السنة في ذلك "[4] .

لقد بيّن **ابن رشد الجدّ** المعنى اللغوي للاعتكاف بالأمثلة المستقاة من القرآن الكريم، ثم أورد المعنى الاصطلاحي رابطا الصلة بين المعنيين اللغوي والشرعي.وهذا ما قام به في معظم الكتب التي أوردها في المقدمات ، بالرغم من أنه لم يلتزم منهجا واحدا في عرض المعاني اللغوية ، فهو أحيانا يعرض فصلا واحدا لبيان معنى الاسم لغة وشرعا رابطا بينهما كما ورد في كتاب الجهاد ، وكتاب الحج ، والعمرة، وأحيانا أخرى يعرض فصلين متتابعين ن فصل لمعرفة اللغوي ، وفصل لمعرفة المعنى الشرعي، مثلما ورد في كتاب الصلاة وكتاب الصيام ، والمعاني اللغوية التي أوردها ابن رشد الجدّ اختلف في اختصارها وإيجازها ، وكان يختار منها ما يراه أقرب إلى الصواب ويرجح بين المعاني[5](أنظر كتاب الصلاة).

2- كما اهتم **ابن رشد الجدّ** في أوائل الكتب التي أوردها في **المقدّمات** بتبيين أصل أسمائها من الكتاب والسنة ، وعقد فيها فصولا بيّن فيها المشروعية والحكمة والحكم الشرعي من ذلك ودليله

---

[1] **سورة طه، الآية 97.**

[2] **سورة الأنبياء،الآية 52.**

[3] **سورة الأعراف، الآية138.**

[4] ابن رشد : **المقدّمات** ، ج1، ص190.

[5] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص477.

النقلي والعقلي[1]، ومثال ذلك ما أورده في كتاب العقيقة حيث قال: " والعقيقة من الأشياء التي وردت في الجاهلية فأقرت في الإسلام ، **روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال** : كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ، ولطخنا رأسه بدمها ، ثمّ كنا في الإسلام إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بالزعفران ،فهي سنة من سنن الإسلام وشرع من شرائعه ، إلا أنها ليست بواجبة عند **الإمام مالك رحمه الله** وجميع أصحابه، وهي عندهم من السنن التي الأخذ بها فضيلة وتركها غير خطيئة، والدليل على ذلك أن **الرسول صلى الله عليه وسلم** سئل عن العقيقة **فقال:"لا أحب العقوق، وكأنه كره الاسم وقال : من ولد له ولد وأحب أن ينسك على ولده فليفعل"**، وما روي أنّ **الرسول صلى الله عليه وسلم قال** : " **الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه ويسمى**"،ويدل ذلك على وجوبها، وتأويل ذلك عندنا على أنّ ذلك كان في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك بقوله :من أحب أن ينسك على ولده فليفعل، فسقط الوجوب"[2].

لقد أورد **ابن رشد** ذلك عند حديثه عن المعنى اللغوي ، حيث وضح فعل العرب في الجاهلية بدم العقيقة ، وعدول الإسلام عن مظاهرها غير المقبولة في الإسلام ، وسنّه فقط للسنة الحميدة في القيام بالعقيقة ، موردا حكمها عند الإمام مالك وأصحابه مبيّنا أنّ القيام بها فضيلة والعدول عنها غير خطيئة[3].

---

[1] التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق ، ص448.

[2] ابن رشد: **المقدّمات** ج1،347.

[3] التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات** ، ص482.

3 ـ قام بذكر ما اتفق عليه أهل العلم وما اختلفوا فيه ، وتوضيح سبب الخلاف ، وعرض الأدلة التي توافق مذهب مالك أو مذهب غيره، والأدلة التي تؤيد رأيه ورأي بعض العلماء المالكيين ، كما قام بالردّ على المخالفين داخل وخارج المذهب المالكي[1].

4 ـ اهتم ببناء مسائل كل كتاب عليه وردها إليه وربطها بالتقسيم لها والتحصيل لمعانيها حيث تعرض إلى جميع الكتب التي تناولتها المدونة بالتحقيق، فأصل لها وبني عليها وفرّعها وقسمها، وأورد الأقوال و النقول عنها ، مبيّنا مواطن الإجماع ومواضع الاختلاف موضحا ما اتفق عليه علماء من علماء المذهب المالكي، وما اختلفوا فيه، مصوبا ومصححا ، مضعفا رأيا ومرجحا آخر مؤيدا في ذلك المذهب المالكي وناصرا لأقواله وأدلته بالاستدلال والشرح رابطا المسائل بأصولها ، وموجّها الفروع ومحصلا لمعانيها مستشهدا في الكثير من المواضع بوقائع وأحداث من مجتمعه مدعما لرأيه[2].

5 ـ اهتم أيضا بمسائل كانت في المدونة مشتتة غير مكتملة ، فجمعها ولخّصها وشرحها وبيّنها ووجّهها تكميلا لتعليقاته على المدونة ،و توضيحا لما أشكل منها وتحصيلا لأمّهاتها الغامضة شارحا لها عارضا لأقوال من تقدمه من الفقهاء الذين كتبوا على المدونة أو اختصروها أو كتبوا تقييدات عليها موردا القواعد الأصولية المالكية عليها مع التعرض للخلاف ، وذكر الاحتجاج لمذهبه[3].

6 ـ أما أصل طريقة كتابة "**المقدمات الممهدات**" فقد صرح "**ابن رشد الجدّ**" و كتب بقلمه بأن هذه الطريقة، وهذا المنهج الذي استفتح به كتب المدونة ورسومها ، كانت من إيحاءات شيخه ابن رزق، ومن طريقة تدريسه ومناظراته ومذاكراته التي كان يجمع حولها الطلاب ، فابن رشد الجدّ اتبع واقتفى آثار شيخه" **أحمد بن محمد بن رزق الأموي**" فهو القائل:"لقد كان –أكمل الله كرامته

[1] التليلي ، المرجع السابق، ص485.
[2] التليلي، المرجع السابق، ص485.
[3] التليلي، المرجع السابق، ص493.

– أفقه من شيوخه ،وأنفع للطلاب منهم "[1]، وبرّر ذلك بقوله:"وليس ذلك بغريب فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ومبلّغ حديث إلى من هو أوعى له منه، والتوفيق بيد الله يؤتيه من يشاء... فله الفضل والسبق لأنه نهج الطريق، وأوضح السبيل ،ودلّ عليه بما كان يعتمده من ذلك مما لم يسبقه من تقدّم من شيوخه إليه"[2].

لذلك تأثر به" **ابن رشد الجدّ"** وانتفع بعلمه ،واقتفى أثره في حلقات دروسه ومناظراته وحرص على نفع الطلبة ، سالكا نفس السبيل في تكوين التلاميذ والطلبة ، ولقد بلغت إعجابه بطريقة أستاذه في التدريس أن سأله عن مصدرها ، وهل كان شيخه الفقيه ابن القطان يسلكها؟ وإلى أي مدى كان يحتفل بها في مناظراته ؟ فأجابه بأن" **ابن القطان** "لم يكن يعتني بما اعتنى به هو، وإنما كان يأتي بما كان يأتي به "**ابن أبي زيد القيرواني"** فقط في أوائل الكتب في مختصره ،حيث قال **"ابن رشد الجدّ"**:"فلقد سألته رحمه الله تعالى عما كان يستفتح به شيخه أبو عمر بن القطان مناظراته في ابتداء كتب المدونة فقال لي:كان لا يزيد على ذكره ابن أبي زيد في أوائل الكتب من مختصره"[3].

فهذه الطريقة التعليمية من مبتكرات **أحمد بن محمد بن رزق الأموي** ، وهي التي قام باقتباسها تلميذه **ابن رشد الجدّ** من دروسه ومن مجالسه العلمية هذا ما أثبته وصرّح به في قوله :"جريا على سنن شيخنا الفقيه أبي جعفر ابن رزق رحمه الله تعالى وطريقته في ذلك واقتفاء لأثره فيه"[4].

---

[1] ابن رشد: **المقدّمات،** ج1، ص9وما بعدها.

[2] ابن رشد : نفس المصدر ، ج1، ص10وما بعدها.

[3] ابن رشد : **المقدّمات** ، ج1 ص11.

[4] ابن رشد : **المقدمات** ، ص1، ص52 ، وما بعدها.

بالرغم من أنّ كتب التراجم والحوليات لم تثبت من أنّ **ابن رزق** قد ترك مؤلفات في هذا الباب تسمح بالاطلاع عليها والتعرف على طريقتها لإجراء المقارنة بينها وبين طريقة ابن رشد الجدّ ، كما أنّه لو دوّن طريقته لما ذكر ابن رشد الجدّ أنه اقتبسها من مجالس المناظرات ، واقتفى أثرها نتيجة للاستماع إليها والتأثر بها في حلقات دروس الفقه ولما اقترح بعض الطلاب على **ابن رشد الجدّ** أن يجمع طريقته في تأليف مفيد ألا وهو كتاب المقدّمات[1].

يبدو أنّ طريقة ابن رشد التعليمية امتازت عن طريقة ابن رزق بميزتين أساسيتين وهما:
1 – أنّ هذه الطريقة التعليمية كانت أكثر توسعا في المقدّمات ، وبصفة خاصة في كتاب الوضوء حيث صرح" **ابن رشد الجدّ**" بنفسه :" وإن كنت أكثر احتفالا منه في ذلك سيما في أوائل كتاب الوضوء ، فإني كنت أشبع القول فيه ببناء إياه على مقدمات من الاعتقادات في أصول الديانات وأصول الفقه في الأحكام الشرعيات لا يسع جهلها ولا يستقيم فنّ من الفنون قبلها "[2]. وتمثل توسّعه في هذه الطريقة بتدوين مقدّمات في العقيدة وتمهيدات في أصول الفقه ، أما الفصول الخاصة بالعقيدة فهي: فصل في وجوب التفقه، وفصل في معرفة شروط التكليف ، وفصل في وجوب الاستدلال وفصل في وحدانية الله تعالى [3].

أما في **أصول الفقه** فلقد خصص فصلا في الطريق إلى معرفة أحكام الشرائع ، وفصل في وجوب القياس جعل له 12 فصلا فرعيا أهمها الفصل الأول الذي خصصه لبيان دليل القياس، ثم أورد فصولا أخرى تتحدّث عن وجوب طلب العلم والتفقه في الدين والوسائل المعينة على ذلك[4] .

---

1 التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص505.
2 ابن رشد: **المقدّمات** ، ج1، ص9.
3 ابن رشد ، نفس المصدر ، ج1، ص11وما بعدها.
4 ابن رشد ، المصدر السابق، ج1، ص14وما بعدها.

كما أورد فصلا خصصه لتحديد القول بالإيمان والإسلام، وضح فيه منهج أهل السنة بالأدلة وردّ فيه على" **المعتزلة"** ، والمتبع للمسائل التي تتحدث فيها "**ابن رشد الجدّ**"عن أصول الدين يستطيع أن يقول عنه أنّه متكلم ، وهو القائل أنّ المتكلم هو العالم بأصول الديانات.وحتى المتبع للمسائل التي تناولها في أصول الفقه تظهر أنه أصولي عارف بمواقع ومواطن الإجماع ومواضع الخلاف،مبيّنا آراء" **الإمام مالك** الأصولية ومناهجه في استخراج الأحكام ومناهج أتباعه الذين وافقوه وخالفوه في مسائل معينة[1].

2 ـ كانت أشدّ اهتمام ببعض المسائل التي جمعت من مختلف الكتب ن وكانت معتنية بأعيان فروع وردت في المدونة مشتتة في عدة مواضع منها ، فقام بجمعها ليكمل جوانب كلّ فرع منها ، وليتم شرحه وتوجيهه ، معتمدا أسلوبا ملخصا ، وسالكا طريق التعليل والتبيين لإزالة الغموض ، وضبط معالم كلّ مسألة[2] .

إنّ اهتمام" **ابن رشد الجدّ"** بإكمال نواقص المسائل ولمّ شتاتها، وشرح الغامضة منها وتحليلها يظهر مدى تميّز طريقة ابن رشد الجدّ التعليمية عن طريقة ابن رزق ، فهي تعين على الفهم السريع لمختلف جوانب الموضوع الذي تهيأ الكلام فيه كما تبين مدى التنظيم المنتهج في كلّ كتاب والترتيب الحسن المتبع في كلّ فصل[3].

---

[1] ابن رشد ، المصدر السابق، ج37وما بعدها.

[2] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق، ص 510.

[3]التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات،** ص 510.

ب ـ مكانته كمرجع فقهي :

كتاب "**المقدمات** "كتاب مختلف عن الكتب الأخرى، فهو لا يعتبر من كتب الفروع و لا من كتب الأصول، وإنما هو مصنّف مختلف سجل تأملات فقيه مالكي بلغ رتبة الاجتهاد المذهبي ، ينظر في مسائل "**المدونة**" في جميع كتبها ويحللها بإيجاز اعتمادا على القواعد الأصولية ، ومذاهب أهل السنة، وناصرا في الغالب للمذهب المالكي بالنص و القياس، لذلك يحتل مكانة هامة في عصره و بعد عصره ؛ حيث قام بتحقيق **المدونة** تحقيقا بيّن مذهب وعقيدة مؤلفه، وعرض مواقف" **ابن رشد الجدّ**" منها الموافقة و المعارضة ، فهذا الكتاب يمثل مرحلة جديدة من التآليف المالكية ، و نظرة جديدة إلى المدونة ،و إلى أمّهات الكتب في المذهب المالكي ، وهذا ما جعل" **ابن رشد الجدّ**" يعتبر كتابه هذا مرجعا أساسيا لأنه احتوى الكثير من أقوال العلماء، وما طالعه من مصنفات كثيرة توفرت لديه[1].

ولقد عرف تلاميذ "**ابن رشد**" قيمة هذا الكتاب، فاهتموا به رواية وحفظا، و قاموا بنسخه وأسمعوه لتلاميذهم ،وشهدوا له بدقته، و سلامة معلوماته الفقهية ، فأخذوا منه، و اعتمدوا على آرائه و أقواله[2] ، من أمثلة ذلك ما قام به "**أبو الحسن الرجراجي**"[3] في **كتابه "منهاج التحصيل"** الذي شرح فيه "**المدونة**" و ما وقع للأئمة من التأويلات، و اعتمد فيه على كلام "**ابن رشد**" والقاضي "**عياض**" و تخريجات" **أبي الحسن اللخمي**".

[1] التليلي المختار بن الطاهر، المرجع السابق ، ص563-564.

[2] التليلي ، المرجع السابق ،ص564.

[3] من علماء القرن السادس للهجرة ، كان ماهرًا في اللغة العربية ،أخذ من جماعة من العلماء بالمشرق , فهو الموصوف بالفقيه الحافظ ، أنظر ترجمته التنبكتي : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ،ص200.

وما قام به "**خليل**" إذ نقل عن "**ابن رشد**" و اعتمد عليه من مختصره ، كما أخذ عنه شرّاح "**مختصر خليل** من بينهم **بهرام**(**ت 803هـ-1402م**)" [1] الذي نقل في شرحه على خليل في **المقدمات**. و **المواق**(**ت 897هـ-1992م**) الذي أورد العديد من النقول من **ابن رشد** من كتابه المقدمات في كتابه " **التاج و الإكليل لمختصر خليل**"[2].

كما نقل "**محمد بن إبراهيم التتائي** (**ت942هـ/1535م**)"[3] في كتابه "**فتح الجليل**"[4] عن "**ابن رشد الجد**" في مقدماته ، و"**عبد الباقي الزرقاني في حاشيته**" [5] وغيرهم. وممن اعتمد عليه أيضا **زروق** (**ت899هـ/1493م**) في "**شرح رسالة أبي زيد القيرواني**" مثل قوله:" **قال ابن رشد** [6]" ومثل قوله " و كون الاحترام و السلام متفقا عليهما بالوجوب هو المعروف و نص عليه ابن

---

[1] **هو قاضي قضاة تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عوض الدميري مولده(734هـ/1035م)** كان فاضلا في مذهبه ولي قضاء المالكية سنة **791هـ/ 1390م** ،له مؤلفات كثيرة منها شرح الإرشاد في ست مجلدات وغيرها.أنظر ترجمته : التنبكتي:**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ص147وما بعدها.

[2] المواق محمد بن يوسف: **التاج والإكليل لمختصر خليل**، مخطوط بمكتبة الملك سعود، قسم المخطوطات تحت رقم 226 ، 2/1569، أنظر الورقة رقم 5.

[3] التنبكتي : المصدر السابق ، ص335،؛ مخلوف :**شجرة النور الزكية**، ص272.

[4] تحصلت على نسخة مخطوطة مصورة طبقا للأصل من المكتبة الإلكترونية **تحت عنوان فتح الجليل على شرح مختصر الشيخ خليل** ،موزعة من طرف أبو مديان اليزيد آنا الزاك.

[5] الزرقاني ،عبد الباقي : **شرح مختصر سيدي خليل ومعه الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني هو وحاشية العلامة محمد بن الحسن بن مسعود البناني** ، ضبطه وصححه وخرج آياته، عبد السلام محمد الأمين،دار الكتب العلمية ، بيروت 2002م، ج1، ص122.

[6] زروق: **شرح الرسالة** ،دار الفكر ، 1982م، ج1، ص90.

رشد"[1]. ومما يظهر أهمية "**المقدمات**" بين الكتب الفقهية المالكية و عناية العلماء بها ما نظمه "**عبد الرحمن بن علي الرافعي**" في قوله:

أسـأل الله بلوغ القـــصد — لنـــظمنا فرائض ابن رشد

و ربـــــما لغيـــــره زيادة — نزيدها لكي تحصل الإفادة

لكهل أو شيخ أو صبيان — أو من يريد علم هذا الشأن[2]

4ـ اختصارات ابن رشد الجدّ:

" **لابن رشد الجد"** مجموعة من الاختصارات ،وآثار أخرى كانت بمثابة دفاع عن العقيدة الأشعرية ومذهبه المالكي ،حيث قام ابن رشد باختصار تلك الكتب ومناقشتها و الزيادة عليها ، فهي بذلك ليست اختصارا فحسب ، وتتمثل فيما يلي:

أـ اختصار الكتب المبسوطة :

الكتب "**المبسوطة**" أو "**المبسوط في اختلاف أصحاب مالك و أقواله**"[3]، هي **من تأليف "يحي بن إسحاق بن يحي الليثي أبو إسماعيل"**[4]، الفقيه المشاور (**ت 363هـ/ 974**) ،كان له

---

[1] زروق: **شرح الرسالة** ج1، ص90

[2] عبد الرحمن الرافعي : **نظم مقدمة ابن رشد** ، ص6.

[2] الرافعي، نفس المصدر ،ج1، ص65.

[4] انظر ترجمته ابن الفرضي : **تاريخ علماء الأندلس** ،ج2،ص51 و ما بعدها ؛ الضبي: **بغية الملتمس**،ج2، ص670، ؛ مخلوف : **شجرة النور الزكية** ، ص77.

سماع من أبيه و علماء كثر من مختلف المناطق، ألف كتاب " **المبسوط في اختلاف أصحاب مالك و أقواله"** ،و هذا كتاب يضم بين دفتيه اختلاف الرواية عن "**مالك**" و اختلاف الاجتهاد بين أصحاب" **مالك"**، فهو من المؤلفات و المصنفات التي تعالج الخلاف داخل المذهب في نطاق الرواية الفقهية[1] ، و أثبتت سائر المصادر اختصار"**ابن رشد**" لهذا الكتاب ، "**فعياض**" عده ثالث تأليف لشيخه "**ابن رشد الجد**" ، أثبت أنه سمع منه قوله :" وجالسته كثيرا و استفدت منه وسمعت بعض كتابه في اختصار المبسوطة من تأليفه يقرأ عليه، و ناولني بعضها ، و أجازني الكتاب المذكور و سائر رواياته "[2]، و "**ابن بشكوال**" اعتبره ثالث تأليفه ،"ذكرا إياه على ما سبقه منها"[3]، وذكره "**ابن خير الاشبيلي**" بعد "**المقدمات**" و" **البيان و البيان التحصيل**" تحت عنوان "كتاب **اختصار المبسوط ليحي بن إسحاق** " [4]،و غيرها من المصادر الكثيرة ، التي امتزجت بشخصيته وأوردت تآليفه.

و"**ابن رشد الجد**" لم يختصر كتب "**ابن إسحاق**" مباشرة [5]، و إنما اختصرها قبله الأخوان "**أبو عبد الله محمد و أبو محمد عبد الله**" الذين كانا من جملة فقهاء قرطبة ، سمعا من أبيهما و "**أحمد بن مطرف**"، و هما الذين قاما "**باختصار الكتب المبسوطة**" و تقريبها [6]ابنا " **إبان بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار المكنى أبا القاسم**" ، يعد من الفقهاء الصالحين، روى

---

[1] ابن رشد: **المسائل**،مج1، ص65.

[2]عياض: **الغنية**،ص55.

[3] ابن بشكوال: **الصلة** ، ج1، ص546؛ الحطاب: **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل** ، ج1، ص49؛ كحالة : **معجم المؤلفين**، ج7،ص228.

[4]ابن خير، **فهرسة ما رواه شيوخه**، ج1 ،ص299.

[5] ابن رشد، **المسائل** ، مج1،ص66.

[6] ابن فرحون : **الديباج المذهب** ،ج2، 385؛ ابن بشكوال: **الصلة** ،ج1،ص24

عن أبيه ، وعرض عليه القضاء فلم يقبله ففرض عليه فرضا، فحكم بين الناس يوما واحدا ثم هرب، فسمع الأمير بذلك فقال:**" هذا رجل صالح"** [1] . وهذا ما أكّده "**ابن فرحون"** في ترجمة" **أبو إسماعيل يحي بن إسحاق"** في قوله: " ألف الكتب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك و أقواله وهي التي اختصرها **محمد و عبد الله** ابنا" **إبان بن عيسى"** ثم اختصر ذلك الاختصار" **أبو الوليد بن رشد** ".[2]

ب ـ اختصار شرح معاني الآثار و كتاب اختصار مشكل الآثار:

كلا الكتابين "**لأبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي(ت321/933م)**" رئيس الحنفية بمصر،أخذ العلم عن "**أبي جعفر بن عمران"**، وكان شافعيا يقرأ على أبي إبراهيم المزني، فقال له يوما والله لا جاء منك شيء فغضب لذلك، وانتقل إلى ابن أبي عمران ، فلما صنّف مختصره قال :" رحم الله أبا إبراهيم، لو كان حيا لكفّر عن يمينه، وصنّف اختلاف العلماء، والشروط وأحكام القرآن ، ومعاني الآثار[3].

وهذين الاختصارين واجهة الدفاع عن المذهب المالكي الذي دافع "**ابن رشد"** طوال حياته للتمكين له، كما هو شأن جميع شيوخ المالكية قبله، إلا أن **ابن رشد** يقف في هذا المقام ضد الحنفية التي لم تجد يوما مكانا لها **بالأندلس** التي تبنت مدرسة إمام الهجرة "**مالك بن أنس** (المالكية)" واعتبروا أنفسهم المدفعين عنها، لذلك واجه الفقهاء والسلطة السياسية على حد سواء مذهب

---

[1] أنظر ترجمته الخشني: **تاريخ قضاة قرطبة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ،ط2، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، القاهرة ، بيروت،1989، ص34 و ما بعدها ؛ عياض : **ترتيب المدارك**،ج4،ص259 وما بعدها.

[2] ابن فرحون: **الديباج المذهب** ،ص358.

[3] الشيرازي: **طبقات الفقهاء**، ص142.

الأحناف مواجهة عنيفة ، فكل من ثبت انه حنفي حكم عليه بالنفي[1]، وهذا ما جعل "**ابن رشد الجدّ**" يتوجه لاختصار بعض كتبه للوقوف ضد الحنفية.

ج –تلخيص الحسن و القبح:

هو كتاب "**لمحمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيمي (ت567هـ/1172م)**" الذي كان من الفقهاء المالكية المشهورين، له مؤلفات كثيرة منها ، تفسير القرآن، أسباب نزول القرآن وغيرها [2]،لقد ذهب أحد الباحثين إلى أن هذا الكتاب يمثل دفاع عن نظرية جمهور الحنفية في أن الحسن و القبح عقليان ، يدركهما العقل قبل الوحي، و ربما هذا الأمر جعل "**ابن رشد الجد**" يهاجمهم في تلخيصه ،ويدافع عن نظرية المالكية **بالمغرب** و**الأندلس** والتي هي نفس الوقت نظرية **الأشعرية** الذين يقولون أن الحسن و القبح يتحريان بالوحي و لا دخل للعقل في ذلك، ومن ثم فلا مسؤولية على الإنسان إلا بعد الوحي[3].

---

[1] ابن رشد: **المسائل**،مج1،ص62 و ما بعدها.

[2] **أنظر ترجمته** : الدارودي : **طبقات المفسّرين** ،ج2،ص09.

[3]ابن رشد: **المسائل** ، مج1،ص ص64-65.

5 ـ آثار أخرى:

أ- كتاب التقييد و التقسيم:

ذكر هذا الكتاب "**أحمد بابا التنبكتي**" في ترجمته **لابن الربيع سليمان الونشريسي** (**ت705هـ/1306. م**) ، حيث أورد أن الربيع نقل يوما مسألة في مسح الخفين عن ابن رشد ،فكذبه أحد تلاميذه، وكان حافظا "**للمقدمات" و" البيان و التحصيل"** ،فغضب الشيخ، و نزل عن كرسيه و هو يقول :" أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، و ترك الإقراء يومين ، وفي الثالث اجتمع به طلبته ، و كانوا يجتمعون به قبل ذلك ،و لا يكلمونه إعظاما له"[1] ،فقال للتلميذ الذي كذبه :" أتكذبني في النقل و قد نصحتك أياما كثيرة، فما كان جزائي منك إلا هذا فقال: يا سيدي ذكرت أ **ابن رشد** لم يتكلم عن مسح الخفين في مقدماته ، و لا ذكر ذلك في بيانه، فجبذ الشيخ **كتاب التقييد والتقسيم**ودفعه إليه ، فقبّل عند ذلك يده و اعتذر له ورجع"[2].

ب– مقدمة في الفرائض:

تختلف هذه "**المقدمة** "عن كتب" **ابن رشد**" الأخرى لأنه إذا كان "**البيان و التحصيل**" موجها للفقهاء و من يتولون الإفتاء و القضاء ، فإن هذه المقدمة موجهة أساسا إلى المسلم غير الفقيه الذي يريد تأدية فروضه بصورة سلمية من صلاة و زكاة و صيام و حج بداية زيادة على تكملة في الطهارة بنوعيها المائة الترابية هذا هو محتوى المقدمة في أسلوب سهل و بسيط الأمر الذي جعل لها مكانة على المستوى التعليمي [3].

---

[1] التنبكتي: **نيل الابتهاج** ،ص ص183_184.

[2] التنبكتي، **نيل الابتهاج** ،ص184.

[3] ابن رشد : **المسائل**، ج1،ص67.

ج ـ كتاب الردّ على المرادي :

ردّ ابن رشد الجدّ في هذا الكتاب على "**أبو بكر بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي** "الذي كان عالما في الفقه ومتكلّما ، حتى قيل عنه أنه أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى المغرب الأقصى، تناول ابن رشد الجدّ في هذا الكتاب ما يتعلق بالنية في الوضوء والغسل والتيمم ، وأشار إليها مؤلّفها في كتاب المقدمات محيلا القارئ إليها لإكمال وجهة نظره[1].

د ـ كتاب حجب المواريث و كتاب مختصر الحجب:

ذكرهما "**ابن خير الاشبيلي**" في فهرسة ما رواه عن شيوخه [2] ،فضلا عن مؤلفات أخرى "**كرسالة في العبادات**" و" **القضاء في أرض الصلح و الهدنة**"، و "**كتاب القضاء في الأرضيين**" و" **الكفارة**" [3] و"**فهرسة ابن رشد**"[4] .

6_وفاة ابن رشد الجدّ:

بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل في مجال القضاء والإفتاء والسياسة والتأليف توفي القاضي "**أبو الوليد محمد بن رشد الجدّ" بقرطبة**، وقد نقل لنا تلميذه "**أبو الحسن بن الوزّان**"، الذي تعلّق بدروس شيخه كثيرا، فلازمه طيلة حياته ما يلي: "إلى هنا انتهى ما جمعته من مسائل التي سئل عنها

---

[1] ابن رشد : **المقدّمات** ، ج1، ص75؛ لعطاوي، المرجع السابق، ص117؛التليلي المختار بن الطاهر ، المرجع السابق، ص349.

[2] ابن خير: **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ، ص333.

[3] ابن رشد، **المسائل**،مج1،ص68-69.

[4] مخلوف : **شجرة النور الزكية** ،ص129.

"**القاضي أبو الوليد بن رشد**" شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، فيما عنيت بجمعه وقراءته على مرور الأيام وتعاقب الأعوام، مسألة إلى أن وقع المرض الذي قضى عليه رحمه الله[1].

فبعد عودة "**ابن رشد الجدّ "من مراكش** سنة **520هـ/1127** من المهمّة التي ذهب لقضائها، والتي همّت أمر المسلمين **بالأندلس،** طلب إليه تلاميذه وأصحابه العودة إلى إسماع كتبه "**الشرح أو المقدّمات**" المؤلّف الذي حاز أو نال أكثر الطلب، فأمر" **ابن رشد**" تلميذه "**الفقيه أبا مروان بن مسرّة**" بقراءتها عليه أوائل جماده من **عام 520**هـ، وتواصلت القراءة إلى العشر الأواخر من الشهر المذكور، وهي العشر التي أصابه فيها المرض[2].

فبقي "**ابن رشد**" في بيته ملازما الفراش أشهر عدة، إلى أن وافته المنيّة هذا ما نقله لنا تلميذه "**ابن الوزّان**" فيما يلي:"وأصبح يوم السبت في العلّة التي أصحبته مدّة أربعة أشهر ونصف شهر، حتى أفضت به إلى قضاء نحبه، ولقاء المرتقب من محتوم ربّه، فتوفي رحمه الله وأزلفه لديه، وأرضاه ليلة الأحد، وهي ليلة إحدى عشر من ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة وقد اتفقت سائر المصادر التي ترجمت "**لابن رشد**" على هذه السنّة،" **فعياض**" في كتابه "**الغنية**" أثبت سنة الوفاة قائلا:"توفي **ابن رشد رحمه الله** في ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة" ،**و"ابن بشكوال**" هو آخر أثبت سنّة الوفاة مع تحديد اليوم وتاريخ الدفن قائلا:"توفي عفا الله عنه، ليلة الأحد وتوفي عشيّ يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنّة **520هـ/1127م**"[3].

وكان مدفنه بمقبرة" **العبّاس بقرطبة**"[4] أو" **عبّاس**"[1] أو" **بني العبّاس**"[2] ، بالروضة المنجازة مدفن سلفه، أقام عليه الصلاة ابنه "**أبو القاسم أحمد**" الذي أثنى عليه "**ابن الوزّان**"، فوصفه :"بالفقيه

---

[1] ابن رشد، **الفتاوى** ،س3، ص 1517.

[2] ابن رشد، **الفتاوى** ،س3، ص 1517.

[3] ابن بشكوال، **الصلة** ، ج2،ص 547.

[4] ابن بشكوال، نفس المصدر، ج2، ص 547.

النبيه، الفاضل الشبيه بأبيه، في كرم الخلال وشرف الشمائل"[3]،وحضر جنازته كثير من الأندلسيين فكان يوما حافلا حيث تأسف على وفاته خاصّة الناس وعامتهم وأثنوا عليه كثيرا [4]، كما صوّر "**ابن الوزّان**" أحدث تلك الجنازة قائلا:" وكان مشهده حفيلا، والتفجّع عليه جليلا، لم ير أحد من أهل زماننا مشهدا أكثر تهوّلا، ولا تفجّعا، فلقد كان رحمه طود علم، وإنسان فضل وحلم وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة وفذّ رجاحة وأمانة"[5].

وقد تنافس الأدباء في تأبينه وتسابق الشعراء في رثائه وكان الثناء منهم عليه حسنا جميلا[6]، منهم الأديب "**أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المعروف بابن الأشتر كوني**"[7].الذي نظم قصيدة في رثاء **ابن رشد**[8] هذه أبياتها.

يا هل أمض عليك ذلك المضجع	أما هل جرى بسوى النجيع المدمع
فهل سما لك والحوادث جمة	نبأ تخرّ له الجبال الخشّع
رزء أحال على الرزايا بعده	فالقرح من نكي عليه أوجع

---

[1] الضبيّ : **بغية الملتمس**،ج1، ص 74.

[2] ابن عذاري : **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،ج4، ص 74.

[3] ابن رشد، **الفتاوى** ،**س3**، ص 1525.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 74.

[5] ابن رشد: **الفتاوى** ،س3، 2525.

[6] ابن بشكوال : **الصلة** ، ج2، ص 547.

[7] فقيه مالكي، كان مقدّما في اللّغة العربية، شاعرا محسنا، له مقامات من تأليفه. أنظر: ابن بشكوال، نفس المصدر ، ج2، ص 556.

[8] أنظر: ابن رشد، **الفتاوى** ،س3،ص1526و ما بعدها .

أودى ابن رشد ذو الرشاد وإنّما أهوى به طـــود وأجدب ممـــرع

وقد بكـــاه وليت ذلك بدافـــع عنه الـردى حتى الحمـام الموقـع

أأبا الوليـد وكـــل قلب واجـد لو أن وجد في مصـــابك ينفـــع

أطويت في ثوب الحيـــاة مطهرا لا زال عن مسك التقى يتضـــوّع

ومضيت لا ثوب الثناء مقلص عنـك الغـداة ولا بعـد يرقـــع

لكن قضيت وبرد فضلك سابغ ويثنيـــه عنـك الكريـــم الأروع

فيا آفلا غربت به شمس الضحى عجبا لشمس بعد فقدك تطلـع

أن يرم بعدك كـــلّ ناد مشـرق وقد يرى بك وهو أزهـر أسطـع

وقد تركت بهـــا شـهابا ثاقبـــا يزكـــوا على مرّ الزمان وينصـع

علم كما وضح الصبـاح لنـــاظر ما زال يفـرق بالصواب ويصـدع

فهو الدليــــل إذا تحيّر سالـــك نهج الهدى وهو الطريق المهيـع

رغبت إليك وأنت عنها راغب دنيـا تغر أخا الحيـاة وتخـد

وقد زهدت وأنت حملك راجح والناس في الدنيا ذئـــاب جوّع

فازت قداحك واللبيب مشمّر يجري إلى أمر النجاة ويســـرع

فلرب خطب الليالي قـــــادح قد قـــام منك به ذراع أوســـع

فقربته عز الكريـــم وربّـــــما أمسى بها سواك بها يذل ويخضع

حتى سموت إلى مراتبك الـتي فوق السهى تعلوا الرجال وتفرع
كانت الدنيا قبيل وفاتـــه تزداد في رتب الكمال وتـــمرع
فاليوم عزت بالخمار حيانها وتطلب(...)على العمارة
وعزاؤنـا أأبا الولـيد برزئكـم أنّ المنيـــة منهـل أو مشـرع
فسقى ثراك وكان مثلك للرضا سجي تهمى بالعشـي وتهمـع
وأحلك الرحمـــن من رضوانـه رتب العلى فلك المحل الأرفـع
لله أ،ت لهـا وقد حزت المدى وتركت أفراس الحلايب تطلـع[1]

هكذا غادرنا **أبو الوليد ابن رشد الجد** وغادرتنا هذه الشخصية الفذة التي سجلت بصماتها في التاريخ الإسلامي **للأندلس** بأحرف من ذهب بما خلّفته لنا من مؤلفات قيمة تنافس العلماء في تدارسها واختصارها ، فهو وان مات بالجسد، فإن فكره مازال ينشر بين الطلبة سواء في العلوم الشرعية أو في التاريخ الإسلامي.

نستنتج في الأخير أن **ابن رشد الجد** كان من المكثرين في ميدان التأليف لذلك تعددت تصانيفه وتنوّعت[2]، فكان منها في ميدان الحديث و منها في علم الكلام إلا أن أغلبها كان في الفقه المالكي وما تفرع عنه و لقد أشادت المصادر و أثنت عليه في هذا المجال بعبارات كثيرة في هذا المجال ،كالمعترف له بصحة النظر و جودة التأليف، كثير التصانيف المطبوعة ،كان مطبوعا في هذا الباب حسن القلم والرواية[3] ،وصاحب التصانيف الجليلة في الفقه و الأصول و الفروع و الخلافيات.

[1] ابن رشد ، **المسائل**، ج2، ص1348.
[2] عياض ، **الغنية**، ص54.
[3] نفسه.



توصلت هذه الدراسة إلى نتائج بقدر الأهمية تتمثل فيما يلي:

❖ بسطت حقيقة هامة من الحقائق تمثلت في السلطة الفقهية و مكانة العلماء في عهد المرابطين **بالأندلس** ، و هذا ما أبرزناه عند التحدث عن الحياة السياسية و تطور الحركة الفقهية خلال عصر **ابن رشد الجد** أي عصري الطوائف و المرابطين ، حيث بيننا ما كان للفقهاء و العلماء بصفة عامة من دور بارز في الحياة السياسية لهذه المنطقة .

❖ إن الدارس للحركة الفقهية خلال عصر **ابن رشد** و تطورها يلحظ حقيقة هامة و هي أنها رغم الاضطرابات السياسية التي عرفتها **الأندلس** خلال هذا العصر ، فلقد ظلت تسير بصورة جيدة و محافظة على ازدهارها حيث كان هذا العصر حافلا بنوابغ العلماء الذين أسهموا إسهاما كبيرا في نشاط الدراسات الفقهية، و أضافوا الكثير من إنتاجهم إلى المكتبة الإسلامية ، وعملوا طول حياتهم على أن يكون لهم دورًا فعالا و جهدًا ملموسًا في تراث هذه الأمة و فكرها.

❖ أن العالم الإسلامي في النصف الأخير من **القرن 5هـ/11م** النصف الأول من القرن **6هـ/12م**، كان يمثل ثقافة واحدة، لأن الإسلام ساوى بين المسلمين على اختلاف أجناسهم و أزال ما بينهم من حواجز رغم تعدد الكيانات السياسية في العالم الإسلامي إلا أن ذلك لم يمنع من حرية التنقل بين أقطاره، فلم تكن هناك أنظمة أو قواعد تحول دون التنقل بين أجزاء العالم الإسلامي ، و هو ما سهل لفقه العلماء من تحصيل العلم و المعرفة . فالدارس لهذا الجانب من الحركة العلمية و الفقهية يلحظ رحلة عدد كبير من العلماء إلى **المشرق** و انتقال عدد كبير من علماء **المشرق** إلى **الأندلس** ، و مما لا شك فيه أن لهذه الرحلات أثر كبير في نهوض العلوم و الآداب فيها ، و يظهر هذا الأثر في بداية القرون الأولى من تاريخها لأنه ما إن وصل القرن الخامس هجري والسادس هجري حتى ضعف هذا الأثر و خف تياره ، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما وصلت إليه الحركة العلمية على العموم **بالأندلس** خلال عصر **ابن رشد الجد** من رقي و تطور ، فلقد بلغت أوجها في هذه الفترة

خاصة بعدما عرفته **الأندلس** من تغير لأوضاعها ،وازدهار لحضارتها ، وهذا الأمر يعطينا تفسيرًا واضحا لظهور علماء و فقهاء أندلسيين ليس على مستوى **الأندلس** فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي **كابن حزم الظاهري** ، و **ابن عبد البر النمري** ، **وابن رشد الجد** موضوع دراستنا رغم أنهم لم يرحلوا إلى **المشرق** للأخذ من علمائه.

❖ إن شخصية **ابن رشد الجد** تعد من الشخصيات التاريخية الإسلامية التي تركت أثرا بعيد المدى سواءً كان ذلك على مستوى الفقه أو السياسة ، فمن النادر جدًا أن نجد شخصية استطاعت أن تمثل مجتمعها أحسن تمثيل و تقاسم الدولة مسؤولياتها، و جزءً من همومها محافظة على سمعتها ،ومنزلتها في المجتمع، حيث كان **ابن رشد الجد** من ألمع علماء أو شيوخ العصر **بالأندلس** خلال النصف الثاني من القرن **5هـ/11م**، أوائل القرن **6هـ/12م** و من المحيين للفقه المالكي المجدّدين شبابه في ظل دولة عرفت فضل الفقهاء ، و لقد أشاد **بابن رشد الجد** الكثير من الباحثين من بينهم **حسين مؤنس** في كتابه **شيوخ العصر بالأندلس** حيث عده من ألمع العلماء في الفقه و الجاه العريض بها، بعد **أبو الوليد الباجي** وأكثرهم وأنبههم ذكرًا بعد **أبو علي الصدفي**، فهو الذي آلت إليه مشيخة العلماء **بالأندلس** فضلا عن مشيخة الفقه حيث قال: " وكان ملاذ الناس ومؤولهم في تلك السنين العصيبة التي شهدت اشتداد الضغط النصراني على **الأندلس** ، و ما صحب ذلك من اضطراب و قلق متزايدين" .

وكان ممن عايش أحداث عصره ، فدعا إلى الوحدة و نبذ التفرق سواء كان ذلك في عهد الطوائف أو المرابطين ، أين برز على رأس علماء عصره باعتباره أكبر سلطة فقهية أو علمية **بالأندلس**، و لعله في ذلك كان يستعيد مرارة اليأس من المحاولة التي قيام بها كبراء الفقهاء قبله في إصلاح أوضاعها و التقريب بين ملوكها، كما كان من علماء عصره السابقين إلى توحيد **المغرب و الأندلس** تحت سلطة واحدة متمثلة في سلطة المرابطين، و كل ذلك كان من منطلق و قناعة دينية ثابتة تتمثل في وجوب الوقوف إلى جانب من يقدر الإسلام

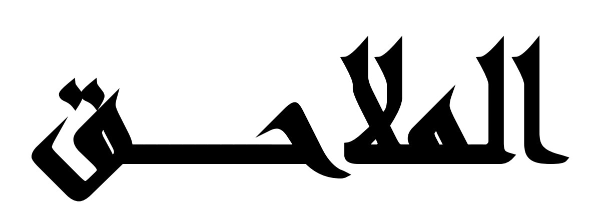
و يرفع شأنه ، خاصة بعدما لمسوا في سلطة المرابطين من تقدير للعلم و أهله، و في ظل هذه الدولة كان **أبو الوليد ابن رشد** ينشط في صالح شعبه و ينوب عنه في الحديث إلى السلطة المرابطية ،و ظل على هذه الحال إلى أن وافته المنية.

❖أن **أبو الوليد ابن رشد** كان يحتل مكانة علمية خاصة في العهد المرابطي ، حيث كان يمثل نموذجا للفقيه المرابطي ،كما كان يمثل أكبر سلطة إفتائية في عصره ، و أحد الفقهاء الذين احتلوا مكانا ضمن ذلك الصنف من الفقهاء المجتهدين الذين اعترف باجتهادهم المذهبي بعد أن أغلق باب الاجتهاد المطلق ، ففي الكثير من الأحيان كانت مواقفه اجتهادية، إذ كان قادرًا على اتخاذ مواقف في فتاويه لا يعود فيها إلى رأي سابق، كما أصبحت عليه عادة الفقهاء المالكية في تقيّدهم الشديد بتقليد الشيوخ ، إذ كان فعلا من المستنبطين للفقه الحاذقين له العارفين بمستويات الاجتهاد ، فضلا أنه كان بارعا في مختلف العلوم الشرعية من حديث و تفسير و علم الكلام ولغة ،و من أمثلة تميزه في المجال اللغوي ما نلمسه في **كتابه المقدمات** الذي وضع في كل باب من أبوابه فصلا لمعرفة اشتقاقه و إثبات معناه ، أما تميزه في علم الحديث فكان بمعرفته للرواة و أقوالهم و اطلاعه على كتب السنة و أسانيدها، أما في علم الكلام فالأسئلة الكثيرة الموجهة إليه في هذا المجال ما تدل إلا على بروعه فيه و معرفته به مما سبق التحدث فيه، كما تنوّه بمكانته عند الخاصة و العامة الذين اعترفوا له بسعة الاطلاع و مقدرته على التصحيح كما اعتبروه مرجعا لأهل السنة و مدافعا عن آرائهم و مبادئهم حاميا للمسلمين أهل الزيغ رادًا على شبههم، و لقد كان **ابن رشد الجد** على قدر من المسؤولية اتجاه المسلمين و يصوّر لنا هذا الوضع صورة واضحة عما كان للفقهاء من أثر على الفكر في هذه المرحلة و سلطتهم التي وصلت إلى درجة اختيار للأمة ما يصلح تدارسه فيدرس و ما لا يصلح فيمنع من إطار الشرع الإسلامي حافظا على عقيدة الأمة.

❖أن **ابن رشد الجد** كان له أثر كبير في الحركة الفقهية **بالأندلس** خلال النصف الثاني من القرن 5هـ-11م النصف الأول من القرن 6هـ/12م، حيث كان من المكثرين في ميدان

التأليف ، فتعددت مؤلفاته و تنوعت ، فكان منها في الحديث و منها في علم الكلام، إلا أن معظمها كان موجها للفقه المالكي و ما تفرع عنه ، **ككتاب المقدمات** ، و **كتاب البيان** و **التحصيل** ، **و كتاب الفتاوى** و غيرها، و لقد أشادت المصادر و أثنت عليه في المجال بعبارات كثيرة كصاحب التصانيف الجليلة في الفقه و الأصول و الخلافيات ،و المعترف له بصحة النظر و جودة التأليف ، و غيرها من الأوصاف.

❖لقد توصلت هذه الأطروحة في الأخير إلى حقيقة هامة لم توضح من قبل باحثين آخرين ، وهي أن **ابن رشد الجد** يعتبر شخصية كبيرة في تاريخ الإسلام و في تاريخ التشريع الإسلامي و أن ومكانتـــــــه لا تقـــــل عـــــــن مكانـــــــة حفيـــــــده الفيلســـــــوف.


الملاحـــق

الملحق رقم 1: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالقرآن الكريم في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بالقرآن
الجزء الأول	22
الجزء الثاني	16
الجزء الثالث	13
الجزء الرابع	8
الجزء الخامس	29
الجزء السادس	11
الجزء السابع	7
الجزء الثامن	5
الجزء التاسع	10
الجزء العاشر	15
الجزء الحادي عشر	6
الجزء الثاني عشر	8
الجزء الثالث عشر	7
الجزء الرابع عشر	12
الجزء الخامس عشر	3
الجزء السادس عشر	13
الجزء السابع عشر	61
الجزء الثامن عشر	74
المجموع 320 مسألة	

العلوي: المرجع السابق، ص417، بتصرّف.

الملحق رقم 2: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالسنّة النبوية في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بالسنة النبوية
الجزء الأول	40
الجزء الثاني	25
الجزء الثالث	20
الجزء الرابع	17
الجزء الخامس	8
الجزء السادس	7
الجزء السابع	18
الجزء الثامن	22
الجزء التاسع	23
الجزء العاشر	17
الجزء الحادي عشر	13
الجزء الثاني عشر	7
الجزء الثالث عشر	11
الجزء الرابع عشر	20
الجزء الخامس عشر	6
الجزء السادس عشر	9
الجزء السابع عشر	67
الجزء الثامن عشر	78
المجموع 407	

العلوي المرجع السابق، ص421-422، بتصرف.

الملحق رقم 3: جدول بياني للمسائل المستدل بها بالإجماع في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بالإجماع
الجزء الأول	مسألة واحدة
الجزء الثالث	مسألة واحدة
الجزء السادس	مسألة واحدة
الجزء السابع	مسألة واحدة
الجزء السادس عشر	مسألة واحدة
الجزء الثامن عشر	مسألة واحدة
المجموع 6 مسائل	

العلوي ، المرجع السابق، ص431، بتصرف.

الملحق رقم 4: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالقياس في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بالقياس
الجزء الأول	3
الجزء الثاني	3
الجزء الثالث	4
الجزء الرابع	4
الجزء الخامس	3
الجزء السادس	2
الجزء السابع	4
الجزء الثامن	4
الجزء التاسع	2
الجزء العاشر	1
الجزء الحادي عشر	6
الجزء الثاني عشر	8
الجزء الثالث عشر	7
الجزء الرابع عشر	1
الجزء الخامس عشر	2
الجزء السادس عشر	3
الجزء السابع عشر	2
الجزء الثامن عشر	3
المجموع 62 مسألة	

العلوي ، المرجع السابق، ص432. بتصرف.

الملحق رقم 5: **جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالقول الصحابي في البيان والتحصيل.**

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بقول الصحابي
الجزء الأول	5
الجزء الثاني	3
الجزء الثالث	1
الجزء الرابع	5
الجزء الخامس	4
الجزء السادس	1
الجزء الثامن	1
الجزء التاسع	6
الجزء العاشر	2
الجزء الحادي عشر	1
الجزء الثاني عشر	2
الجزء الثالث عشر	1
الجزء الخامس عشر	2
الجزء السادس عشر	6
الجزء السابع عشر	9
الجزء الثامن عشر	9
المجموع 58 مسألة	

العلوي، المرجع السابق، ص439، بتصرف.

الملحق رقم 6: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بعمل أهل المدينة في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بعمل أهل المدينة
الجزء الرابع	**1**
الجزء الخامس	**1**
الجزء السابع	**3**
الجزء التاسع	**1**
الجزء التاسع عشر	**4**
المجموع 10 مسائل	

العلوي ، المرجع السابق، ص439-440، بتصرف.

الملحق رقم 7: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالعرف والعادة في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل	عدد المسائل المؤصلة بالعرف والعادة
الجزء الثالث	1
الجزء الرابع	3
الجزء الخامس	4
الجزء السادس	1
الجزء السابع	1
الجزء الثامن	4
الجزء الحادي عشر	1
الجزء الثاني عشر	2
الجزء الثالث عشر	1
المجموع 18 مسألة	

العلوي، المرجع السابق، ص 451، بتصرّف.

الملحق رقم 8: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بسدّ الذرائع في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل.	عدد المسائل المؤصلة بسدّ الذرائع
الجزء الأول	2
الجزء الثاني	1
الجزء الثالث	1
الجزء الرابع	4
الجزء الخامس	2
الجزء السادس	4
الجزء السابع	12
الجزء الثامن	1
الجزء التاسع	8
الجزء العاشر	1
الجزء الحادي عشر	4
الجزء الثاني عشر	5
الجزء الخامس عشر	1
الجزء السابع عشر	3
الجزء الثامن عشر	3
المجموع 52 مسألة	

العلوي ، المرجع السابق، 451-452، بتصرف.

الملحق رقم 9: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بمراعاة الخلاف في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل.	عدد المسائل المؤصلة بمراعاة الخلاف
الجزء الأول	8
الجزء الثاني	6
الجزء الثالث	1
الجزء الرابع	1
الجزء الخامس	4
الجزء السادس	2
الجزء السابع	2
الجزء الثامن	4
الجزء التاسع	1
الجزء العاشر	1
الجزء الحادي عشر	1
الجزء الثاني عشر	1
الجزء الرابع عشر	5
الجزء السادس عشر	3
الجزء السابع عشر	1
الجزء الثامن عشر	3
المجموع 44 مسألة	

العلوي، المرجع السابق، ص463-464، بتصرف.

الملحق رقم 10: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالاستحسان في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل.	عدد المسائل المؤصلة بالاستحسان
الجزء الأول	3
الجزء الثاني	4
الجزء الرابع	3
الجزء الخامس	1
الجزء السادس	3
الجزء السابع	5
الجزء الثامن	3
الجزء التاسع	1
الجزء العاشر	2
الجزء الحادي عشر	3
الجزء الثاني عشر	4
الجزء الثالث عشر	1
الجزء الرابع عشر	1
الجزء الخامس عشر	1
الجزء السادس عشر	5
الجزء السابع عشر	1
المجموع 41 مسألة	

العلوي ، المرجع السابق، ص464 بتصرّف.

الملحق رقم 11: جدول بياني لعدد المسائل التي استدل بها ابن رشد الجدّ بالمصالح المرسلة في البيان والتحصيل.

أجزاء البيان والتحصيل.	**عدد المسائل المؤصلة بالمصالح المرسلة**
الجزء الثاني عشر	1
الجزء الثالث عشر	3
المجموع 4 مسائل	

العلوي، المرجع السابق، ص 469.

الملحق رقم 12: قسم من فتوى ابن رشد لأمير المسلمين علي بن يوسف في أي العملين أفضل في هذا الزمان، هل الحج أم الجهاد لأهل الأندلس والعدوة.

كتب إليه رضي الله عنه، أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام اله أمره وأعز نصره، يسأله هل الحج أفضل لأهل الأندلس أو الجهاد؟

فأجاب: "تصفحت رحمنا الله وإياك سؤالك هذا، ووقفت عليه، وفرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة التي جعلها الله شرطا في الوجوب، لأن الاستطاعة القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال وذلك معدوم في هذا الزمان، وإذا سقط فرض الحج لهذه العلو صار نقل مكروها لتقحم الغرر فيه، فبان بما ذكرناه أن الجهاد الذي لا تحصى فضائله في القرآن والسنن المتوترة والآثار أفضل منه، وأن ذلك أبين من أن يحتاج إلى السؤال عنه..."[1]

[1] ابن رشد : **الفتاوى**، س2، ص1021

الملحق رقم 13: فتوى ابن رشد على سؤال الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عما اغترفه المسلمون من أموالهم بأيدي النصارى الداخلين إلى قرطبة من طليطلة باسم التجارة أيام الصلح.

فأجاب: "...إن كان التجار من أهل طليطلة أعادها الله، خرجوا منها بعد أن أغارت سيرتهم على بلاد المسلمين فأسرت الرجال، وأخذت الأموال فلا عهد لهم، لأن العهد في الدخول إلى بلاد لمسلمين في التجارة وإنما أعطوه على أن يكفوا عن المسلمين ولا يغيروا عليهم فيأسروهم، ويأخذوا أموالهم، فالواجب أن يرهنوهم وما معهم من الأموال، فيما أخذت السرية الخارجة من عندهم من أسرى المسلمين وأموالهم، حتى يصرفوا ذلك إليهم، فإن أجابوا إلى ذلك وفعلوه بقيت الهدنة على ما كانت عليه، وإن أبو ذلك انقضت وعادت حربا وكان التجار المرتهنون أسرى للمسلمين وأموالهم فيئا لهم، ومن أثبت من الناس في شيء ما وجد بأيديهم أنه ماله وملكه أخذته السرية المذكورة الخارجة من طليطة بعد المهادنة قضى له به "[1].

[1] ابن رشد : **الفتاوى** ،س3،ص1423.

الملحق رقم 14: شرط الموصي أن تنفذ وصيته دون تدخل قاض أو حاكم.

" من أوصى بوصية أو افكاك أسارى أو غير ذلك من وجوه البر وجعل تنفيذ الوصية إلى رجل أجنبي أو لوراثة وشرط في تنفيذ وصيته دون مشاورة قاض ولا تعقب حاكم هل لأحد من الحكام نظر في شيء مما يفعله المنفذ وارثا كان أو أجنبيا وقد شرط الموصي للوصي ما تقدم ذكره أم لا ؟وهل يفترق الوارث من ذلك أم أجنبي؟.

فالجواب عن ذلك أن شرط الموصي عامل نافذ في أنه لا يجوز لحاكم ولا قاض أن يتعقب شيئا من ذلك ولا ينظر فيه كان المتولي لذلك وارثا أو أجنبيا ....." [1]

[1]ابن رشد : **المسائل** ، ج2 ،ص 747وما بعدها

الملحق رقم 15: جواب ابن رشد الجد حول نقل الملكية بشهادة السماع (إثبات ثورة ابن زيفل سماعا):

" يشهد من تسمى في هذا الكتاب أنهم يعرفون سعيد بن أحمد بن زيفل ... فلقد ثار في حصن **شاقورة** ...واستولى عليه وعلى جميع جهاته أعواما كثيرة يجبي جميع فوائد ذلك البلد ويضرب الضرائب على الرعايا ويضم إلى نفسه جميع ما كان في تلك الجهات لبيت مال المسلمين إلى أن ظهر ذلك المال ونما وكسب منه **بجيان** وغيرها أصولا ورباعا وأموالا ولا يعلمون له قبل قيامه في الحصن المذكور مالا ولا حالا يفي بما اكتسبه ولا اكتسبه ولا ببعضه.شهد بذلك كله من علمه حسب نصه وأوقع شهادته في هذا الكتاب إذ سألها في محرم سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، تصفح رضي الله عنك وأرضاك العقد المنتسخ فوق هذا السؤال وقف على أصوله وفصوله فإنه انعقد في التاريخ المذكور وشهد شهداء بنسخه بعضهم وعلى السماع بعضهم وقال بعضهم إنما أعرفه كان قائدا بالحصن المذكور لا غير ، هل يجب بذلك على من في يده أصول ابن زيفل المذكور بشراء أو بوراثة حق؟ أفتنا به مأجورا إن شاء الله تعالى فأجاب أيده الله: تصفحت رحمنا الله وإياك سؤالك والعقد الواقع فوقه ووقفت على ذلك كله ولا تجوز شهادة السماع في هذا ولا يستخرج بها من يد أحد شيء ولو شهد العقد بالشهادة فيه على البث والقطع لوجب أن يضم إلى بيت مال المسلمين ما يوجد من أصوله بيد ورثته وأما ما قد فات منها بالبيع فلا سبيل على المشتري في شيء منها و الله ولي التوفيق برحمته."[1]

---

[1]ابن رشد :**المسائل**، ج1، ص234

الملحق رقم16: فتوى ابن رشد الجدّ في نساء المفقودين في معركة كتندة

قال:" أما من فقد بوقيعة كتندة ، فالذي أراه في ذلك واعتقده مما قيل فيه أن يتلوم لامرأته من يوم ترفع أمرها سنة كاملة يبحث فيها عن أمره فإن لم يوقع له على خبر اعتدت امرأته وتزوجت إن شاءت وقسم ماله بين ورثته، وإن كان لها شرط من المغيب فأخذت بشرطها وطلّقت نفسها نفذ ذلك من فعلها وإن لم يكن من البلد حاكم فعدتها ثلاثة أقراء إن كانت من أهل المحيض أو ثلاثة أشهر إن كانت يائسة عن المحيض.[1]"

[1]ابن رشد، **المسائل**،ج2، ص1244.

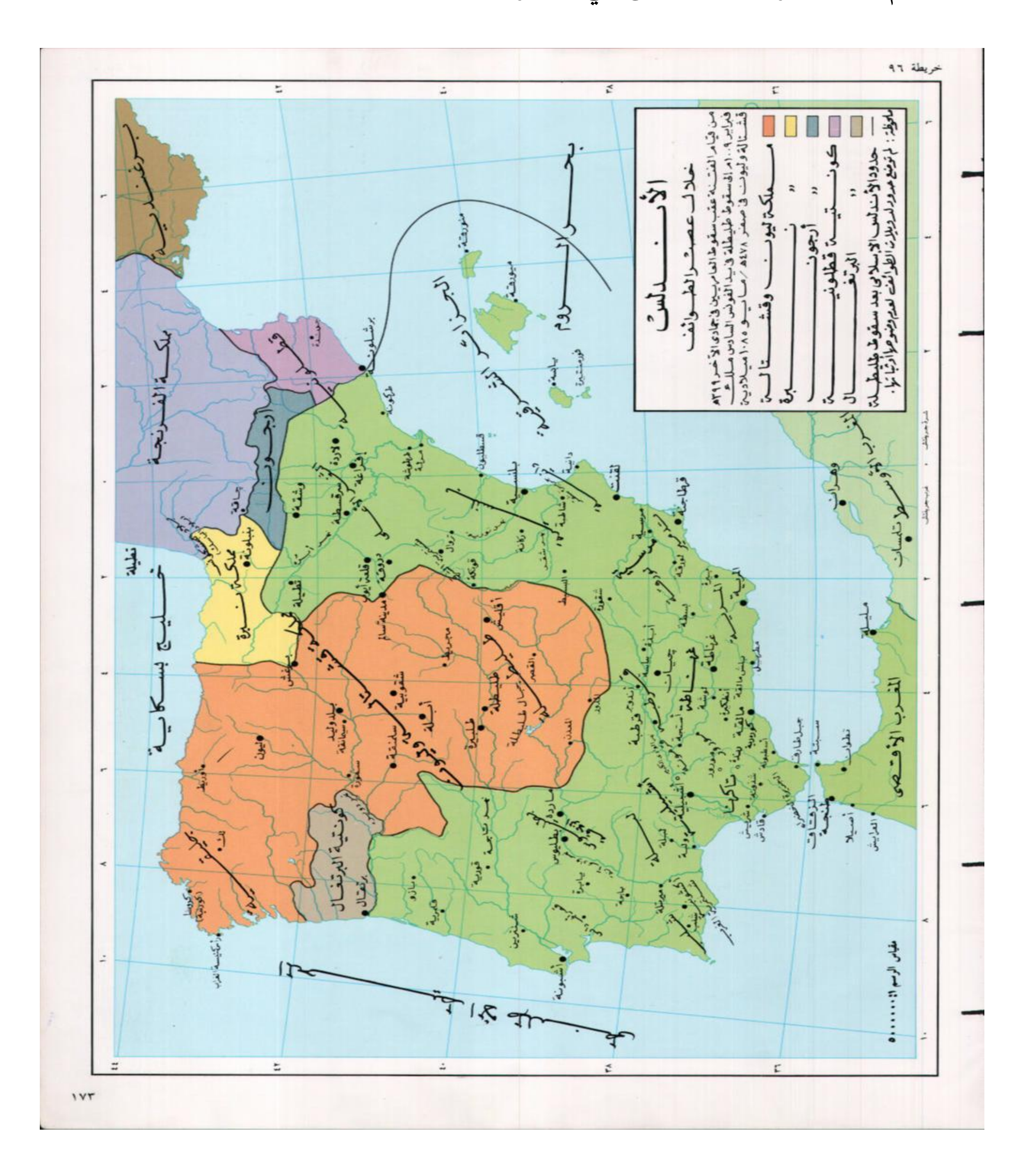
الملحق رقم17: إجازة ملاح لنقل حمولة تين من أشبيلية إلى سبتة:

"سئل القاضي أبو الوليد بن رشد عن رجل أكرى ملاحا ليحمل له من أشبيلية إلى سبتة مائة عدل من تين على البحر فقبضه إياها وألقاها في مركبه واندفع بها والبحر طيّب فحملها لمدينة سلا من غير ضرورة .

فجاوب رضي الله عنه: يلزم الملاح حمل التين من أشبيلية إلى سبتة ولا يلزمها من سلا إلى سبتة وهو قول ابن القاسم فقيل له قد أفتى غيرك بأن يرد التين من سلا إلى سبتة ما أحب الملاح أو كره ويلزم الملاح ضمانها إن هلكت في طريقه من سلا إلى سبتة ... سئل عنها في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسمائة"[1].

[1]ابن رشد : **المسائل** ،ج2، ص1121.

الملحق **رقم 18: خريطة للأندلس في عصر ملوك الطوائف.**[1]



[1] مؤنس حسين :**أطلس تاريخ الإسلام**،ط1، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،1987م،ص173.

الملحق رقم19:نسخة خطية من مخطوط فتاوى ابن رشد الجدّ تحمل رقم3307 بالمكتبة العامة بالرباط بخطّ أندلسي[1].

النسخة الخطية (ر) رقم: ٣٣٠٧ بالمكتبة العامة بالرباط.
بخط أندلسي.

٨٤

[1] ابن رشد: **المسائل**،ص84

قائمة المصادر والمراجع

➢ **القرآن الكريم:**

➢ **المصادر المخطوطة:**

التتائي محمد بن إبراهيم (**ت942هـ/1535م**).

-فتح الجليل على شرح مختصر الشيخ خليل ، مخطوط موزع من طرف أبو مديان اليزيد آنا الزاك(نسخة مصورة طبقا للأصل من المكتبة الإلكترونية).

ابن سلمون بن علي بن عبد الله، الغرناطي(767هـ/1364م).

-العقد المنتظم فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، تحت رقم 1366.

المواق محمد بن يوسف.

- التاج والإكليل لمختصر خليل، مخطوط بمكتبة الملك سعود، قسم المخطوطات تحت رقم 226 ، 2/1569.

➢ **المصادر الفقهية المطبوعة:**

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (**430هـ/1039م**).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق محمد عبد القادر عطا الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1997/1418م.

الأصفهاني ،شمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد:

بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق محمد مظهر بعا ، مركز إحياء التراث الإسلامي.

الأسنوي ،جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الشافعي:

نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق الشيخ محمد بخيت المطيعي، مصر.

البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي :

جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2002م.

ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(ت768هـ/1368)

مجموع الفتاوي، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم ساحة وأبنه محمّد، مكتبة المعارف، الرباط، د، ت.

التتائي المالكي محمد بن إبراهيم:

خطط السداد والرشد شرح نظم مقدمة ابن رشد في الفقه المالكي، تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي،ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان2016م

ابن الجلاب البصري ، أبو القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن (ت378هـ/989م):

التفريع، ط1 ، دراسة وتحقيق حسين بن سالم الدهماني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987 .

الحطاب ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الرعيني(ت 954هـ/1548م):

مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبطه وشرح آياته وأحاديثه، الشيخ زكريا عميرات، طبعة خاصة، عالم الكتب، الرياض، السعودية 1423هـ/2003م.

خليل بن إسحاق الجندي (ت776هـ/1375م):

ختصر خليل ومعه شفاء الغليل في حلّ مقفل خليل لمحمد بن غازي العثماني، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه للطباعة والنشر ، القاهرة 2008م.

ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي الفقيه (520 هـ/1127م).

فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن الطاهر التليلي، دار إحياء التراث الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، قطر-بيروت، 1407هـ/1987م.السفر 1،2.

مسائل أبي الوليد بن رشد الجدّ، تحقيق محمّد الحبيب التجكتاني، الطبعة الثانية. دار الجيل. دار الآفاق الجديدة، بيروت، المغرب 1414هـ/1993م. المجلد الأول والثاني

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق محمّد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.ط

المقّدمات الممّهدات، لبيان ما اقتضته رسوم المدونة ، تحقيق محمود حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.الجزء الأول .

المقدمات الممهدات ، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت . لبنان 1988م، الجزء الثاني.

الجامع من المقدمات، علق عليه وخرج أحاديثه: فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان 2003م.

ابن رشد الحفيد فيلسوف قرطبة(ت 595هـ/1199م):

فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، تحقيق محمد عمارة ، ط2، دار المعارف ، القاهرة ،د-س.

ابن أبي زيد القيرواني،أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن:

النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1999م، الجزء الأول.

ابن سهل ، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأزدي الجياني(ت486هـ/1083م):

الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد بن عبد العزيز التويجري، ط1، 1995م.

الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي(ت790هـ/1389م):

الاعتصام، مراجعة و تدقيق مكتب البحوث و الدراسات دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان، بيروت2016،

الموافقات في أصول الشريعة،تحقيق وشرح عبد الله دراز-محمد عبد الله دراز، تخريج الآيات وفهرس الموضوعات عبد السلام عبد الشافي محمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية

الرافعي الرقعي ، أبو زيد عبد الرحمن الفاسي المالكي (من علماء القرن التاسع هجري):

نظم مقدمة ابن رشد في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ويليه منظومة مبطلات الصلاة للولي البكري سيدي محمد الرقيق وعليهما تقريرات من شرح التتائي، نشر سنة 1975م

زروق ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي(ت899هـ/1495م):

شرح الرسالة ،دار الفكر ، 1982م، الجزء الأول.

الزرقاني ،عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد (ت1099م/1689م):

شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل ومعه الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني و هو حاشية العلامة محمد بن الحسن بن مسعود البناني ، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد السلام محمد الأمين،دار الكتب العلمية ، بيروت 2002م.

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي(ت794هـ/1393م):

البحر المحيط في أصول الفقه، قام بتحريره عبد القادر عبد الله العاني ، مراجعة عمر سليمان الأشقر، ط2، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة 1996م.

ابن سحنون محمد (ت256هـ/870م):

كتاب الأجوبة ، ط1، تحقيق حامد العلوني، دار سحنون- دار ابن حزم، تونس- بيروت، 2011م،

سحنون بن سعيد التنوخي المغربي (ت240هـ/854م):

المدونة الكبرى لمالك بن أنس الأصبحي،ويليها مقدّمات ابن رشد الجدّ لما اقتضته المدونة من الأحكام، للإمام الحافظ أبي الوليد بن رشد الجدّ ،وكتاب تزيين الممالك لمناقب سيّدنا الإمام مالك لجلال الدين السيوطي، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ،بيروت 1994م.

الشعبي المالقي، أبو المطرف عبد الرحمن بن القاسم (**ت497هـ/1104م**)

كتاب الأحكام، تحقيق الصادق الحلوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

الشيرازي الشافعي، أبو إسحاق(**ت 476هـ/1084م**):

طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان ، د-ت.

ابن عمر يحي (**ت289هـ/902م**):

أحكام السوق، تحقيق علي مكي، د -ط، د-ت.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (**ت505هـ/1111م**).

إحياء علوم الدين بذيله، المغنى يحمل الأشعار في تفريج ما في الأحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، تحقيق محمد دالي بسطة، الطبقة الثالثة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت 1419هـ، 1998م.

المستصفى من علم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ،**د-ط** ، **د-دار نشر** ، المدينة المنورة

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، (**ت 799هـ/1398م**).

تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار الكتب العلمية، المطبعة العامرية الشرقية، بيروت- مصر 1301هـ.

الفيروزباذي أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي.

اللمع في أصول الفقه، تحقيق، عبد القادر الخطيب الحسني، ط1، دار الحديث، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين، 2013

اللخمي أبو الحسن علي بن محمد (**ت 478هـ/1086م**):

التبصرة ، تحقيق أحمد عبد الكريم نجيب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر ،د ،ت.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحي (ت 914هـ/1511م)

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، مطبوعات دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981م.

عبد الوهاب القاضي، أبو محمد علي بن نصر المالكي(ت466هـ/1074م):

المعونة على مذهب أهل المدينة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل،الشافعي، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1998م.

التلقين في الفقه المالكي ومعه في الحاشية كتاب تحصيل ثلج اليقين في حل معقدات التلقين للفقيه اللغوي أبي الفضل السجلماسي، ط1،تحقيق وتعليق الشيخ الفقيه أبي محمد الحسني **التطواني** وأبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 2004م.

عياض بن موسى اليحصبي وولده محمد:

مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، تحقيق محمد بن شريفة ، ط 2، 1997م ،دار الغرب الإسلامي.

- **مصادر الطبقات والتراجم:**

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت665 هـ- 1286).

التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1956/1375م، جزئين.

المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (**ت594هـ/120م**)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، دار المصري، دار الكتب اللبناني، القاهرة، بيروت 1990.

المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة 1410هـ/1989م.

ابن أبي أصبيعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت 686هـ/1270م).

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

ابن بسّام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، (ت543هـ/1147م)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصفى البدري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 419هـ/ 1998م، المجلد الثاني.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ، تونس –ليبيا، 1979م.

ابن بشكوال، أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك (ت578هـ/578هـ).

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، نشره وصحح أصله عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة 1999، جزأين.

الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة –بيروت، 1979م.

التنبكتي أحمد بابا (ت963هـ/1036م).

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المطبعة الجديدة، فاس، طبعة حجرية.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج،إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، وضع حواشيه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية ، ط1، منشورات الدعوة الإسلامية ،طرابلس 1989م. جزءان .

ابن الجزري، الحافظ بن خير محمد بن محمد الدمشقي.

غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق بوجستراسو، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1932م.

الحميدي، أبي محمد بن أبي نصر، فتوح بن عبد الله الأزدي (ت488هـ/ 1096م).

جذوة المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، الطبعة المولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067–1636م).

كشف الظنون عن أسامي العلوم والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت1992م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت 529هـ/1134م).

قلائد العيقان في محاسن الأعيان، الطبقة الأولى، مطبعة التقدم العلمية، مصر 1320هـ.

مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائي 1302هـ.

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1283م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1991، الجزء السادس.

الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد(ت361هـ/971م):

تاريخ قضاة قرطبة، تحقيق ابراهبم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت 1410هـ/1989م.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ/1540م).

طبقات المفسرين، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري(ت696هـ/1298م):

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلّق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور– محمد ماضيور، نشر المكتبة العتيقة بتونس ـ مكتبة الخانجي بمصر،تونس– مصر ، الجزء الثاني.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان(ت 748هـ/1348م):

العبر في خير من غبر، تحقيق أبو هاجر محمّد بن سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، **د، ت.**

تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1956م.

سير إعلام النبلاء، بهامشه إحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محي الدين أبي سعيد عمر بن غلاّف العمري،الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الرابع عشر.

ابن الزبير، أبو جعفر بن الزبير العاصمي (ت 708هـ/1308م).

صلة الصلّة، تحقيق عبد السلام الهرّتس، سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1413هـ/1993، القسم الثالث.

ابن الزيّات، أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ت617هـ/1260م).

التشّوف على رجال التصوّف، تحقيقي أحمد التوفيق ، الطبعة الثانية، منشورات كلية الآداب والبحوث الإنسانية، الربّاط، 1997م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.

بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركاه ،بيروت ،1963م.

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت902هـ/1498م):

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل ، بيروت ، د-ت، ج11

الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، الشافعي المصري (ت973هـ-1585م).

الطبقات الكبرى، المسماة بلوا قح الأنوار في طبقات الأخيار، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، 1408هـ/1988م، الجزء الأول.

الضبي، محمد بن يحي بن عميرة (ت 599هـ/1203م).

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت 1410هـ/1989م.

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، جزئين.

ابن عسكر أبو عبد الله، وأبو بكر بن خميس.

أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق، عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1420هـ/1999م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي (ت54هـ/1147م).

الفهرس ، تحقيق أبو الأجفان- محمد الزاهي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1980.

عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، صبطة وصححه محمد سالم هاشم، الطبقة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ/1998م،مجلّدين.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي- عبد القادر الصحراوي ،ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1983م.ج1، 2، 3، 4، .

الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض،(**467-544هـ/1083ـ 1149م**)تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت.1402هـ/1982م.

ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحيّ:

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المركز التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د-ت، المجلد الثالث والرابع.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت 799هـ/1398م).

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن يحي الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.الجزء الأول ، والثاني.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن يوسف بن الأزدي (ت403هـ/ 1013م)

تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت.

ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي(ت1025هـ/1316م).

جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1994م.

درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمود الأحمدي أبو النور، ط1، مكتبة العقيقة –دار التراث، تونس- القاهرة، 1971م.

القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف.

أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق إبراهيم أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة 1953.

المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد:

رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير بكوش- مراجعة محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م

المراكشي، عباس بن إبراهيم السملالي.

الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب منصور، الطبعة الثانية المطبعة الملكية، الرباط، 1419هـ، 1998م.

المراكشي،ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري (ت703هـ/1303م)

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، طبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م.

الذيل والتكملة، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1973م.

النباهي، أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ق8/14م).

تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،تحقيق مريم الطويل، الطبقة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.

ابن مريم ،أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني:

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تحقيق محمد بن أبي شنب، طبع بالمطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه ،الجزائر 1908م.

- **المصادر التاريخية والجغرافية والموسوعات الأدبية التاريخية:**

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م)

الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.

الإدريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت 548هـ/1158م):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1414هـ/1994م،.

البكري أبو عبيد الله عبد العزيز (ت 487هـ/194م).

كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1968م.

البغدادي، إسماعيل باشا

هدية العارفين، وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1955، المجلد الأول والثاني.

ابن حزم، أبو محمد علي بن حزم الظاهري (ت456هـ/1064م).

-رسالة التلخيص لوجوه التلخيص(رسائل ابن حزم الظاهري)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.

الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم.

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975.

صفة جزيرة الأندلس ،منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،إ ليفي برفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة القاهرة 1993م

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م).

-معجم البلدان، الطبقة الأولى، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1988م.

ابن حيان القرطبي (ت 467هـ/1076م)

-المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت 368هـ/979م).

-كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله (ت776هـ/1374م).

-تاريخ إسبانيا الإسلامية وكتاب أعمال الأعلام في من قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، الطبقة الثانية، دار الكشوف القاهرة 1393هـ/1973م. الجزء 1، 2، 3.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن (ت808هـ/1406م):

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1991، الجزء السادس.

المقدمة، طبعة مخرجة الأحاديث على كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر2010م.

الدمشقي، أبي عبد الله بن أبي طالب الأنصاري.

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1419هـ/1998م.

ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت 1110هـ/1699م):

المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد الشمام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة، تونس، 1987.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان، 748هـ/1348م.

–تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

الرشاطي أبو محمّد (542هـ/1147م)، وابن الخرّاط الأشبيلي (581هـ/1186م):

الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق، إيميليومولينا، وخاثينتوبوسك بيلا، سلسلة مصادر أندلسية، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1999م.

الزيري عبد الله بن بلقين.

مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة المسماة كتاب التبيان، تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر–القاهرة، 1955م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن على بن عبد الله القاسي (ت726هـ/1325م)

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، المكتبة التاريخية، د.ت.طبعة حجرية

السيوطي جلال الدين عبد الرحمن:

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباجي الحلبي وشركاه، بيروت، 1967م.

السرّاج، محمّد بن محمّد الأندلسي (ت 1149هـ/1730م)

–الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيل، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة712هـ/1311م).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج،س، كولان، وليفي بروفسال، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت 1980م. الجزء الثالث.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، 1980م.الجزء الرابع.

ابن عبدون ، محمد بن أحمد التجيبي :

–رسالة في الحسبة ، (منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب)،اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتاريخية والاجتماعية : إ.ليفي بروفنسال ،مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة 1955م.

ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله:

رسالة في آداب الحسبة والمحتسب،(منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب)،اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتاريخية والاجتماعية : إ.ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية،1955م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن العربي المعافري المالكي (543هـ/1148م).

–العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، شرح أحاديثه وعلق عليه محمود مهدي الإستمبولي، دار الصادر، بيروت، د.ت.

كتاب شواهد الجلة والأعيان في مشاهدة الإسلام والبلدان، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996.

ابن عياض ، أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض (ت575هـ/1179م):

–التعريف بالقاضي عياض، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ط2،مطبعة فضالة ،المحمدية ، المملكة المغربية .

الغرناطي الأندلسي، ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الله (ت685هـ/1226م).

ـ المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964م،

ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتابي (منتصف القرن السابع)

ـنظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

ابن الكردبوس ،أبي مروان عبد الملك التوزري(من علماء القرن السادس الهجري).

ـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء، الطبعة الأولى، تحقيق عبد القادر بوباية،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان2009م.

مؤلف مجهول.

–الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1339هـ/1979م.

المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الخضرمي القيرواني (ت489هـ/1196م).

ـ كتاب الإشارة في أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، 1981م.

المراكشي، عبد الواحد (ت581هـ/1185م)

–المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1419هـ/1998م.

المقري، التلمساني أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م).

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1968م.ج1، 2، 4،3.

ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت، حكومة المملكة العربية السعودية، د،ت،

مؤلف مجهول :

– بيوتات فاس الكبرى ، شارك في تأليفه ابن الأحمر ،دار المنصور للطباعة الوراقة ، الرباط 1972م.

اليعقوبي، أحمد بن محمد بنأبي يعقوب بن واضح.

–كتاب البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي 1408هـ/1988م.

➢ المراجع العربية:

أمين ،أحمد

–ظهر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م،.

–ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت2004م.

أمليل علي.

– السلطة الثقافية، والسلطة السياسية، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

الأشقر عمر سليمان:

تاريخ الفقه الإسلامي، د–ط، دار النفائس – مكتبة الفلاح، الأردن 1990

بطاش كبرى زادة ،مصطفى

– مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1985م.

عبده ،أحمد إدريس :

–فقه المعاملات على مذهب مالك مع المقارنة بالمذاهب الأخرى في أصول المسائل وعيونها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر ، 2000م،

عباس، إحسان

– تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية، درا العلم للملايين، بيروت، 1995.

ـ بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م. 1969م

–تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة ،ط2، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان 1969م. **13–**

––تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة ـ دار الشروق،بيروت ـ عمان1997م.

بدر ،أحمد.

– دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، مطابع ألف باءه دمشق، 1969م

بوتشيش ،إبراهيم القادري

– مباحث في الحياة الإجتماعية عصري المرابطين والموحدين، الطبقة الأولى، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.

بيضون ،إبراهيم:

- الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

بدران، أبو العينين بدران:

-تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود، دار النهضة العربية ، بيروت

بونار ،رابح:

- المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الطبقة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م.

بن بية ،محمد محمود عبد الله

- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، الطبعة الأولى، دار الأندلس الخضراء، درا إبن حزم، جدة، بيروت، 2000م.

بلغيث ،محمد الأمين

- النظرية السياسية عند المرادي، وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م.

البشري ،سعد عبد الله.

- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، الطبعة الأولى، الرياض،

بنعبد الله ،عبد العزيز:

-معلمة الفقه الإسلامي ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

التركي عبد الله بن عبد المحسن :

بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1994م

التليلي، عبد الرحمن:

- ابن رشد الفيلسوف العلم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتوزيع والعلوم، تونس، 1998م.

التليلي، المختار بن الطاهر

– ابن رشد وكتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م.

التازي، عبد الهادي:

التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم "عصر المرابطين" ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، 1987م،

الجيدي ،عمر:

– محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987م.

الجراري،عباس

–صبابة أندلسية، دراسات مهداة إلى يوسف بن تاشفيت، الطبعة الأولى منشورات نادي الجراري، الرباط، 1416هـ/1995م.

الجابري ،محمد عابد

–ابن رشد، سيرة وفكر، دراسة ونصوص، الطبقة الأولى، بيروت،

حجي محمد:

نظرات في النوازل الفقهية، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب1999م.

حمداوي ،جميل:

– فقه النوازل في الغرب الإسلامي، نحو مقاربة تأصيلية، شبكة الألوكة ، د–ت .

الحجوي الثعالبي، محمد بن الحسن:

–الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة ، تونس، د ت،

حسن ،على حسن.

-الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، الطبقة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

حسن، ابراهيم حسن.

-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، الطبقة الخامسة عشر، دار الجيل، بيروت، 1998م.

أبو حويج ،مروان سليم

أصالة التفيق التربوي في الفكر الأندلسي، الدار الجامعية، الكويت، 1997م.

أبو خليل شوقي.

-الزلاقة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، الطبعة الثانية، دار الذكر، دمشق، 1998.

دندش ،عصمت عبد اللطيف

-الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل لموحدين، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

-أضواء جديدة على المرابطين، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

-دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مع تحقيق رسائل أبي بكر العربي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984/1404م.

رجب عبد الحليم ،محمد،

-العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1985م.

أبو الريان، محمد علي.

- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبقة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

أبو زهرة ،محمد.

- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

السحمراني، أحمد:

-التصوف منشؤه، ومصطلحاته، الطبعة الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

السلاوي الناصري،أحمد (ت1315هـ/1897م)

-الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر خالد الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء 1372هـ-1954م

الساحلي ،حمادي :

-فصول في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

السمعاني أبي المظفر:

- قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق محمد حسن هيوتو، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م.

السيّد محمد تقي الحكيم :

-الأصول العامة للفقه المقارن، ط2، مطبعة الأمير، 1997م

سالم ،عبد العزيز:

-المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

السعدي عبد الرحمن وغيره:

موسوعة المسائل الفقهية الميسرة ، ط1، دار الفكر ، بيروت 2010م

الشواظ ،محمد بن الحسين .

- القاضي عياض وإمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، 1994.

الشيبي ،محمد رضا:

-أدب المغاربة الأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، الطبعة الثانية، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 1404هـ / 1984م.

الشرنباصي السيد ، فراح حسين، أحمد:

-أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، د.ت.

الصالح ،صبحي:

-النظم الإسلامية منشأتها وتطورها، الطبقة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/1968م.

صالح المنصور،محمد:

-العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، الطبعة الأولى، منشورات جامعة فان يونس، بنغاري، 1995.

العبادي ،أحمد مختار :

-في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2001م.

عبد المنعم ،حسين حمدي:

-التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الطبقة الأولى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997م.

العروي ،عبد الله:

-مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي.

العبيدي، حمادي:

-ابن رشد وعلوم الشريعة

العكاوي، رحاب:

- ابن رشد فيلسوف قرطبة، أعلام الفكر العربي، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، بيروت، 1979م.

ابن عبد الرحمن ،عبادة – أبو أدهم،رضا كحيلة:

-المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية، مصر، 1418هـ/1997م.

العراقي، عاطف :

-النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، 1993.

عتيق ،عبدالعزيز:

-الأدبي العربي في الأندلس، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1946م.

العلوي علي:

-المنهج الاجتهادي لابن رشد الجد من خلال البيان و التحصيل ، دار ابن جزم ، تونس

عنان، محمد عبد الله:

-دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، عصر الطوائف وبداية المرابطين الطبقة الثانية مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

-دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، الطبقة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر، القاهرة، 1922م.

عبدة أحمد إدريس :

فقه المعاملات على مذهب مالك مع المقارنة بالمذاهب الأخرى في أصول المسائل وعيونها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر ، 2000م

الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف:

-دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1914هـ/1999م

فروخ ،عمر:

–الأدب العربي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع.

أبو الفضل محمد:

– دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1996م..

الفيومي ،محمد إبراهيم:

–تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، 1417هـ/1997م

فضل الله ،مهدي :

–الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م.

الكتابي ،محمد بن إبراهيم بن جعفر:

الاجتهاد و المجتهدين بالأندلس و المغرب،ط1، تقديم: الكتابي الشريف بن حمزة بن علي ،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،1425هـ/2004م

كنون ،عبد الله:

–النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1395م/1995م.

لطفي جمعة، محمد:

–تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية، بيروت، 1945م.

محمود ،حسن أحمد:

_قيام دولة المرابطين، الطبقة الثانية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1992.

مؤنس، حسين:

– تاريخ المغرب وحضارته من الفتح إلى الغزو الفرنسي، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، مصر، 1992.

–معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ، القاهرة، 2000م.

–شيوخ العصر الأندلس، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

المجذوب ،عبد العزيز:

-الصراع المذهبي بإفريقيا إلي قيام الدولة الزيرية ، ط2، الدار التونسية للنشر ،1995.

أبو مصطفى، كمال السيّد:

-دراسات في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997م.

أبو مصطفى،كمال:

– جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة ، **الإسكندرية ، 1997**

المنصور، محمد، المغراوي، محمد:

التاريخ وأدب النوازل، الطبقة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

مقديش، محمود:

-نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على زاوي، محفوظ محمود، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.

محمود ، السيّد:

تاريخ دولتي المرابطين والموّحدين ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

محمد سعد، محمد :

دليل السالك لمذهب مالك في جميع العبادات والمعاملات ، دار الندوة ،د –ط، د-ب، 2001م،

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360):

-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد الخيالي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1424، 2003م، المجلد الأول والثاني.

المختار محمد ، المامي محمد:

المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات ، 2000م.

مصطفى الهروس:

المدرسة المالكية الأندلسية ، إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأتها وخصائصها، المملكة المغربية 1997م.

نصر الله ،عباس سعدون:

_دولة المرابطين في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية بيروت، 1985/1404م.

الهرفي، سلامة محمد سليمان:

-دولة المرابطين في عهد على بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، القاهرة، 1985/1405م.

هيكل ،أحمد:

- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

الهروس مصطفى:

المدرسة المالكية الأندلسية ، إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأتها وخصائصها، المملكة المغربية 1997م.

الولاتي ،محمد يحي بن عمر المختار:

-إيصال السالك في أصول الإمام مالك، تحقيق مراد بوضاية، ط1، الدار الأندلسية –دار ابن حزم،بيروت 2006م

➢ **الرسائل الجامعية :**

بلغيث، محمد الأمين:

ـ الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة مقدمة نيل دكتورة دولة في تاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، إشراف: عبد الحميد حاجيات ،جامعة الجزائر، 1423هـ-1424هـ/2002-2003م.

بن الذيب ،عيسى:

-المغرب والأندلس في عهد المرابطين، دراسة اجتماعية واقتصادية (480-540هـ/1056-1145م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة في التاريخ الوسيط ، إشراف: أحمد شريفي، جامعة الجزائر2، 2009.

عباسة، العيد:

-قاعدة مراعاة الخلاف وأثرها في الفقه الإسلامي، أطروحة ماجستير، إشراف: أحسن زقور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2006-2007م،2009م.

هارون، فاطيمة:

- السلطة العلمية بالأندلس في عهد المرابطين، ابن رشد الجدّ نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف سامية أبو عمران 2009م -2010م.

- **الموسوعات والقواميس والمعاجم:**

أبو حبيب، سعدي:

ـ القاموس الفقهي لغة اصطلاحا، ط2، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، 1988م.

زينب ،نجيب.

ـ الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، دار الأمير الدولية للثقافة والنشر، بيروت، 1995م.

الزركلي.

-الأعلام، قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال والمتحربين المستشرقين، الطبقة الثانية عشر، دار العلم للملايين، بيروت 1998م.

سركيس ،يوسف إليان:

ـ معجم المطبوعات العربية و المعربة، مؤسسة الثقافة الدينية ،القاهرة، ج1.

العفيفي، عبد الحكيم

ـ موسوعة ألف حدث تاريخي، الطبقة الأولى، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

أبو عمران، الشيخ وآخرون.

ـ معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995م.

العنبتاوي، عدنان:

ـ حكاينا في الأندلس، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، 1998.

كحالة ،عمر رضا

ـ معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، د ت.

عيد يوسف، فرحات يوسف:

– معجم الحضارة الأندلسية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 2000.

وجدي، محمد فريد :

ـ دائرة معارف القرن العشرين ، دار الفكر ،بيروت، مج4.

➢ **المراجع الأجنبية :**

01- Clifford Bosworth (Edmund): **Les dynasties musulmanes**, traduit de l'anglais par Yves Thoraval, Sindbad, Paris, 1996.

02- Clot (André): **L'Espagne Musulmane VII^{e} - XV^{e} siècle**, Library académique, Perrin, paris1990.

03- Dozy : **Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie**, Leyde, 1932, Tome III.

04- Dufourque (Charles Emmanuel) **La vie quotidienne dans l'Europe medieval sous la domination arab** , édition Hachette, Paris, 1987.

05- **Encyclopédie de l'Islam, 2eme** édition, leiden- Paris ; T .

06- Montran (Robert): **L'Espagne Musulmane**, Paris, 1992.

➢ **المراجع المعربة:**

- **أشباخ ،يوسف:**

الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تحقيق عبد الله عنان، ط2 مؤسسة الخانجي، القاهرة 1956م.

- **بروكلمان، كارل:**

تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بنية أمين فارس، منير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م.

- **ربيرا ،خوليان:**

التربية الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية،ترجمة طاهر علي مكي، الطبعة الثانية، دار المعارف ، القاهرة،1994م.

ـ رسلر، جاك:

–الحضارة العربية، تعريب أحمد خليل، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1993م.

ـ ليفي بروفنسال.أ

–الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.د–ت

ـ موراني ،ميكلوش :

دراسات في مصادر الفقه المالكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

➢ **الدوريات والملتقيات:**

ـ **بن إبراهيم ،سالم** ،" الإمام أبو بكر العربي، العطاء والرحلات"، (ملتقى دولي تحت عنوان الحضارة الإسلامية بالأندلس في ق 8هـ/12م، **منشورات المجلس الإسلامي الأعلى**، الجزائر، 2007).

ـ **أبو الأجفان محمد** : "الفتاوى الأندلسية وتقويم تحقيق فتاوى ابن رشد" ، التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، تيطوان، 1991م.

ـ **بنسنباع مصطفى** ، ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي،(**الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**)، القسم الخامس، تحت عنوان العلوم الشرعية".

ـ **بن حمادي عمر** ، "من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، نسبة الفتاوي إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره"– (**مجلة دراسات أندلسية**، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس ، 2001، العدد الخامس والعشرون).

– **حجي محمد**: "المستخرجة للعتبي والمقدّمات لابن رشد أكبر إسهام أندلسي في الفقه المالكي"، (بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، التاريخ، العلم والمجتمع، غرناطة ، نوفمبر 1989م).

ـ **الدباغ عمر**، "ابن عطية المحاربي وتفسيره المحرر الوجيز" (**مجلة دعوة الحق**، مجلة شهرية، المغرب، المحمدية، 1994، العددان، 305، 306).

ـ **دنون طه ،عبد الواحد**:" أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس،" نموذج تطبيقي من كتاب المعيار للونشريسي، أعمال ندوة دولية تحت عنوان الحضارة الأندلسية في الزمان والمكان، مطبعة الفضالة ،1993م

. **شيخة ،جمعة** ، التصوف بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر للميلاد، "(**مجلة دراسات أندلسية**، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، 1419هـ/1999م، العدد الحادي والعشرون)".

ـ **أبو عمران الشيخ**، "ابن رشد وبعض المفكرين المعاصرين له"، (ملتقى دولي تحت عنوان الحضارة الإسلامية بالأندلس في ق 8هـ/12م، **منشورات المجلس الإسلامي الأعلى**، الجزائر 2007).

ـ **لعطاوي ،فتحي بن سعيد**:"الإمام ابن رشد الجدّ رحمه الله ومكانته العلمية"،(مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الثاني ، ماي، 2016م).

ـ **المصري، جميل عبد الله** ، "الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس"، (**مجلة الجامعة الإسلامية**، المدينة المنورة، 1406هـ، العددان، 69،70).

ـ **مزيان ،عبد المجيد** ، "العقلانية الرشدية في علم الشريعة"، (**مؤتمر ابن رشد** من 3 إلى 8 ذو الحجة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجزائر 1393هـ/1978م، ج2)،

– **المغراوى، محمد** : "مسائل العملة و الصرف و الأسعار في العهد المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد" ،(منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية. المملكة المغربية ،الرباط1974م).

– **محمد صالح عبد الله** : "المصلحة المرسلة وتطبيقاتها المعاصرة"، (**مجلة جامعة دمشق**، العدد الأول ، 2000م).

الفهارس

1- **فهرس الأعلام.**

2- **فهرس الأماكن والبلدان**

3- **فهرس الكتب.**

4- **فهرس الموضوعات**

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والقبائل والطوائف

-أ-

-م-

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: شخصية ابن رشد الجدّ ومكانتها الفقهية

1-مساره التعليمي ونشاطه العلمي.

2-علاقته بالسلطة المرابطية:

3- منزلته الفقهية:

الباب الثاني

أثر ابن رشد الجدّ في الحركة الفقهية

الفصل الأول: كتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل العتبية

الفصل الثاني: كتاب الفتاوى لابن رشد الجدّ

الفصل الثالث: كتاب المقدّمات الممهدات واختصارات ابن رشد الجدّ